



قصة أيام مذكرات الشيخ كشك



الشيخ عبد الحميد كشك

عبد الحميد كشك

قصة أيام
مذكرات الشيخ كشك



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا
وعظيماً وحبيبنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد .. فإن الدهر مدرسة ..
أساتذتها الأيام والليالي وعلى كل عاقل أن يكون بصيراً بزمانه !!

والأيام مطية ابن آدم . فهنيئاً لمن استعملها في طاعة الله ، قال صلوات الله وسلامه
عليه : اغتتم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل
فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .

وقال عليه السلام : لا تزول قدما عبد من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن أربع :
شبابك فم أبليت؟ وعمرك فم أفنته؟ ومالك من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ وعملك
ماذا صنعت فيه!! والكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه
هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

وجل جلال الله إذ يقول : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ .
وإذ يقول : ﴿ أنحسبم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ !!

فعل أولى الأبصار أن يعبروا ويعلموا أن الحياة ألم ينقضه أسل ، وأدل منهذمه عمل .
وعمل ينهبه أجل ، وبعد ذلك يُجزى كل أمرىء بما فعل ، فما الإنسان في جيل إلا ذرة في
فضاء ، وما الجيل في الزمان إلا لبنة في بناء ، وما الزمان إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء !!

دقات قلب المرء قائلة له :

إن الحياة دقائق وثوان

فارفع نفسك بعد موتك ذكرها

فالذكر للإنسان عمر ثان

واصبر على نعم الحياة وبؤسها

نعم الحياة وبؤسها سيان

هذه قصة أيامي بملوها ومرها ، وضحكها وعبوسها، وليلها ونهارها ، أقدمها إلى الذين يريدون أن يأخذوا من الأيام عبرة ؛ فهي تجربة نصف قرن من الزمان كان فيها العرق والدموع ، واليقظة وهجوع ، والحرية والسجون ، عسى الله أن ينفع به من أراد أن يأخذ من الأيام عبرة .

عبد الحميد كشك

قصة أيامي

أكتبها بما تيسر من التقدير ، وتقدير من التيسير . وأمرکز عناصرها لأساسية ، وأعصر مراكزها الأصلية ، والله ولي التوفيق .

الاسم : عبد الحميد عبدالعزيز محمد كشك

المولد والنشأة

ولدت في العاشر من مارس ١٩٣٣ في بلدة شبراخيت إحدى مراكز محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية من أبوين ليسا من ذوى البسطة في المال ، فالمال ظل رائل وغازية مسترحمة ، وكان ترتيبى الثالث بين ستة من الأخوة ، ولدت سليما معافى ، من الأمراض وما إن بلغت السادسة من عمري حتى أصيبت عيناى برمد صديدى اختفت بسببه إلى حلاق القرية ، ومازلت أذكر وأمى تعلمنى إلى محل الخلاق حيث كان يعث بروده في عيني مما أدى إلى ضياغ العين اليسرى ، وبقيت اليمنى وبها ضعف كأنها تشكو ضياغ أختها ، فظللت بها أصارع شدائد الحياة حيث ذهبت إلى جمعية تحفيظ القرآن الكريم لأعوض عن نور البصر بنور من كتاب الله الكريم ، كان والدى يعمل تاجرا في محل صغير ، وأشهد أنه لم يكن من الذين يجدون ما ينفقون ، بل كان ممن يلهث وراء الحصول على لقمة العيش يشق لأنفس حيث أعباء الحياة ثقل بها كاهله . وقد كان جدى لأبى من الذين يحفظون القرآن لأبناء البلدة وترى على يديه أناس يتبعوا مكانا كبيرة في علوم الإسلام ويوم مات جدى لم يترك درهما ولا دينارا ، إنما ترك لنا تقوى الله ، فكانت الأسرة المكونة من الوالدين وستة من الأولاد وجلة لأبى تعيش قاعة راضية سعيدة ، إذ ليست السعادة ن الانتشاء بالكتوس المترعة أو الاستمتاع بالغيد الأماليد ، إنما السعادة في الرضى حيث يقول الصادق المعصوم عليه السلام : «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس» كنا جميعا في مراحل التعليم مما ضاعف أعباء الحياة وتكاليفها حيث لم يكن أحد منا يستطيع أن يسعى طلب الرزق .

وبعد أن حفظت القرآن في البلدة التحقت بمعهد الإسكندرية الدينى ، وكان هذا المعهد ميزة حيث كان الطلاب يلجئون إلى مسكن على حساب الأزهر ، وكان بين مبنى الدراسة

ومبى سكن مزرعة اكتست سوب احضر من نزرع النضر، وأذكر أن هذا المعهد كان به نخبة من الأساتذة العلماء أذكر منهم شيجين جيبين كان هماً أثر طيب في تكوين شخصيتي : الأستاذ أحمد الكومي وهو عالم غزير المعرفة في تفقه والحدب والتفسير ، وقد عوضه الله عن نور البصر ذكاء القلب، وكان له موقف ذكره بالعرف والشكر في تحويل مجرى حياتي وسوف أعرض له في حينه .

ولأستاذ محمد مصطفى جاد وكان له باع ضوئ، ومعرفة واسعة بعلوم العربية من النحو والصرف والأدب مما جعلني أعشق هذه العيون وأهواها وكأنها بالنسبة لي الماء والضبء وافوء .

عندما كنت في السنة الثالثة الابتدائية وقد بلغت من العمر ستة عشر عاماً لأنني التحقت بالمعهد بعد حفظ القرآن وكان عندي ما يقرب من ثلاثة عشر عاماً .. أذكر بعدما أدبت متحال سنة الثالثة الابتدائية وعدت إلى بدني لقضاء عطلة الصيف جلست مع بعض الإخوة زملاء بعد ما صلينا البصر وأحدنا بأصراف الأحديث بيننا طرح أحدنا سؤالاً قال فيه : من منكم يستطيع أن يلقي درساً على خصمين في أحد مساجد بلدة ؟ وجاءت الإجابة مني بأني أستطيع ذلك بمشيئة الله تعالى : وكان ببلدنا ثلاثة مساجد : المسجد البحري ، والمسجد « نوسطاني » ، ومسجد اجمعية وخرت المسجد البحري لإلقاء أول موعظة ، وحددت الزمان بعد صلاة الفجر ، وسألت رفيقاً أن يلهمني ما أقول . وصلينا الفجر وما أن سلم الإمام المسلمين حتى انتفضت واقفاً دون ما تردد وكسرت حاجز الخوف الذي كان بيني ومحاطة الناس . لم يكن عندنا في المعهد الأستاذي من الزاد العلمي ما يمكننا من إرشاد الناس ووعظهم فقد كانت العلوم تدور بين النحو والصرف والفقه والتاريخ والجغرافيا والقراءات السبع للقرآن الكريم ، لذا وقفت أجول بخاضري في أي علم أتكلم وما إن ذكرت المقدمة التي اشتملت على البسمة والشهادتين حتى حضر بذهني هذا الحديث الجامع : « سبعة يظلهم الله تحت ظنه » مع شيء من سيرة النبوة التي كنا ندرسها في السنتين الأولى والثانية من القسم الابتدائي .. واستغرقت موعظة حوالي ثلث الساعة تلقيت بعدها لتهان لطيفة من المصلين ، والتشجيع عبارات الله والقبول ، مما دفعني إلى الأمام فعكفت على قراءة التفسير لبعض الآيات ، والشرح لبعض الأحاديث ، وبعد أن كنت أعظ الناس في الفجر في المسجد البحري أضفت إلى ذلك درس لعصر في المسجد « الوسطاني » ، والشيء الذي لم أكن أتوقعه من الإخوة زملاء أنهم سرعان ما فاصوني العدا حسداً من عند أنفسهم ، لكني استعنت بالله عليهم وتذكرت ما قاله العلامة ابن هشام في أول كتابه : قطر الندى :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم غيري من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فم لي ولهم ما لي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

صعود المنابر

كان عبدالملك بن مروان يقول : إنما شئنا صعود المنابر ؛ ذلك لأن أسر مسئولية فخشية المنبر لا تحتمل التمثيل لأن الواقف على درجة إنما يتأسى بسيد الخلق وحبب الحق .

كان عمي الشيخ عبدالفتاح كشك مأذون البلد يقوم بإلقاء خطبة الجمعة في الجامع « الوسطاني » وذات يوم وبعد ما بلغه أنني أقوم بإلقاء الدروس في المساجد كمنى إلقاء خطبة الجمعة في مسجده ، وكان هذا المسجد أكبر مساجد البلدة ويضم نوعيات مختلفة من البشر : ما بين تاجر وموظف ، وصانع ، واستعنت بالله ، وصعدت المنبر لأول مرة ودار موضوعها حول محاربة الفساد الإداري في البلدة ، وبدأت في الكلام عن تحريم رشوة في نطاق قوله **عَلَيْهِ** : « لعن الله الراشي والمرتشى والمرائش » وتناولت فيها ما يدور في مستشفى من إهمال للعرضي وسوء معاملتهم مما دفع مديرها إلى أن يتقدم بشكوى ضدي من أمور المركز . وبدأت المشاعب عندما هاجت عقارب الحقد في قلوب الشائنين ، لولا انتهاء العطلة الصيفية وبدء العام الدراسي . مما أسدل ستاراً مؤقتاً على تلك المأسى ودخلت العام الدراسي ؛ السنة الرابعة الابتدائية وهي شهادة . وأعلنت جمعية الشبان المسلمين عن مسابقة في القرآن الكريم حفظاً وتجويداً .

وعكفت على قراءة القرآن العظيم ودراسة أحكامه ودخلت المسابقة . ثم أقيمت إجازة نصف العام وكنت قد شعرت بعنى اليمنى تأخذ في الضعف وداخلني شعور رهيب بألم دفين وكأني كنت أنظر من وراء الحجب لأستشرف ماذا ينتظرنى كمن يساق إلى الموت وهو ينظر ، فحياتي حياة علم ومدارسة وحاسة البصر بعد حاسة السمع في تحصيل العلم ، فماداً أصنع لو فوجئت يوماً بأنتي في حاجة إلى من يأخذ بيدي بعد أن كنت حراً طليد ؟ ثم ماذا أصنع عندما أكون في حاجة تأس إلى من يقرأ لي علوموا أدخل بها الامتحان وأحرص بها على تربي في النجاح . وكان صوت السنين السابقة الأول ؟ ثم ماذا أصنع قبل هذا وبعد عندما أجدني رهين المحسين : « تبيت والعمى » مقيد الحرية محدود الحركة ؟ وبين علامات الاستهتام تعاطم أمامي وتبسة كأنها الجبال الشواخ إذا بوالدى يقطع عليّ هذ نصمت الرهيب بيشرى طيبة . قال : إن جمعية الشبان المسلمين أرسست بطريق التليفون . أنت قد حصلت على جائزة قدرها خمسة جنيهات . وكان لهذا النبأ وقع ضيق على نفسي ش هامت عيني لعموم كأنها وكأنهن حمامة وصقور . ولكن سرعان ما نشر خبر في أحد بلدت

وصارت الجنبهات الخمسة محسمة على ألسنة الناس . وتوفعت بعد ذلك أمرا : أن العين
حق وأن الله أمرنا أن نستعبد من شر حامد إذا حسد

هي الأيام لا تبقى عزيزا وساعات السرور بها قليلة
إذا نشر الضياء عليك نجم وأشرف فارتقب يوما أفوله

وصحبتني والدي إلى الإسكندرية ليصرف الجائزة مستعينا به على بعض شئناذ الأيام
بعد ما عضه الدهر بنابه وأناخ عليه بكلكله .

كان والدي يعطيني كل شهر خمسة وأربعين قرنا بالإضافة إلى بعض الخبز وخبز
الذي كنت أحمله إلى الإسكندرية .

ومرت الأيام سريعة وكلما تشق فجر وأضاء به بردت الظلمة في عيني وقيل
الامتحان بشهر عدنا إلى بلدنا لندكر وقد أوشكت الدنيا أن تحكم حقائقها من حولي . وكأني
أمتنى تخفي سريعة إلى سجن العمى . ولما عزمنا على الرجوع لأداء الامتحان كانت تروني
فكرة هزنتي من الأعماق هزا عنيفا : هل إذا ذهبت لأداء الامتحان وحدي سأستطيع
أن أعود من هنالك وحدي؟ وتوكلت على الله وأدبت امتحان شهادة الابتدائية وما أن فرغت
من أداء الامتحان حتى كنت إذا أخرجت يدي لم أكد أرها وبحولي من نظيفة لم يسر كوا
أنتى كلف بصري ؛ ذلك لأنني كنت أنتقل في أماكن محدودة حصص أيام كنت بصيرا فكنت
أتحسس الخطى بناء على عهد مضى . لكن الموقف الذي كنت منه في حرج هو أنني كيف
أعود؟ وكيف أسافر وحدي؟ هل أرسل إلى والدي؟ ولكن كيف؟ من الذي سيكتب لي
الرسالة التي تخبره بحالي وأنا الذي لا أستطيع أن أكتب؟ وأحير كان لا بد أن انصرف فقد
أوشك الطلبة على الرجوع إلى بلادهم فهل سأظل وحدي؟! وهدى الله إلى أن أقصد زميلا
عهدت فيه طيبة القلب أمليت عليه خطابا بحجة أنني متعب لا أستطيع الكتابة وقد كنت
كذلك . ووصلت الرسالة إلى والدي وعلى جناح السرعة ريثه يأتي مهرولا . كنت قد عدت في
ركن من أركان المعرفة كنييا كاسف البال ، قليل الرجاء ، يعترضني الجوع ، ويعاني
البؤس . ووقع على صمتي العميق صوت والدي يلقى عني سلام . ومد يده مصافحا دون
أن أراه . فأحطت يدي الطريق إلى يده . وكان رحمه الله تعالى ذكيا سرعان ما أدرك أن في
الأمر شيئا . وبيرة حزينة قال لي : ماذا حدث؟ وعلى سبيل سرعة قلت له : لقد أصحبت
لا أرى شيئا . فما كان منه إلا أن قال : لا تحزن ، وسوف أحسن على علاجك حتى ولو
بعث توبى هذا ، وأخذني من يدي وتوجهنا إلى بسا . وغفقت عزم على لزوم جنى
والأقسى حدا .

ورغم أن والدي قد ناءت بكاهله الأعباء وأثقلته الأرزاء ؛ فالأولاد كثر ، وجسده قد
ضعف حيث أصيب بمرض صدرى ، إلا أنه أخذ يعمل على توفير شيء من المال للعلاج .

و ذات يوم أخذني إلى بسا مجاور حيث هناك طبيب قد ذاع صيته . وكان نصرانياً وبعد
توقيع ككشف عمى مس في ذن والدي بكلمات جعلته يفقد اتزانته . ولكنه أتبعها بقوله :
سأجرى به عملية ولا بأس مع الحياة . وأخذني والدي عائدين إلى منزلنا . وعلى درج سلم
عبادة حديثه إعجاباً خفيفة فجلسنا حتى يفتق فأجرى الله على لساني هذه الآية :

« وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون »

فقل بصوت خفيض فيه رنة حزن عميق : اللهم أنزل علينا البصر ورضنا بما
برضيت . وعدت إن نبيت بي أن أذن الله لنا بالرجوع للعلاج حيث ظلمت عاما كاملاً أتردد
على عبدة هذا الضيب الذي جعل من عيني حفلا للتجارب ، وتحكم وجودى هذه المدة
بصوية تحت العلاج عرفت ماذا اشتر هذا الطبيب . قد تصاب العين بما يسمى
« الكتركت » أى نياه البيضاء وهي لا تؤذى البصر لكن ضيب العيون لا يستطيع
أن يجرى الجراحة بعين إلا بعد أن تفقد الإبصار تماما وعندئذ يقال إن المياه قد استوت
فيدخل المريض ومعها قائد يقوده . وبعد إجراء العملية وكشف الضمادات عنه يرى أحسن
بما كان يرى من قبل . عندئذ يقول الناس إن هذا لطبيب قد أبرأ الأكمه فقد ذهب إليه فلان
وفلان فعاد البصر بعد فقده . أما ما أصبت به أنا فكان يسمى الجلوكوما « المياه الزرقاء »
وهي أخطر ما تصاب به العيون إذ أنها تأكل البصر كما تأكل النار الحطب ، ودون جدوى
رجعت كما أتيت . كل ذلك والأسرة في حالة بؤس ، فالموارد قد ضعفت وأعباء الحياة في
ازدياد . وذات يوم نشرت إحدى المجلات المصرية صورة لطبيب في القاهرة يجرى عملية
توقيع سفنية ، وقالت عنه كلاماً يشعر الفارىء بأنه « المسيح بن مريم » في القرن العشرين .
والكتب يهدى إلى الفجور . والفجور يهدى إلى النار .

وهكذا عودنا الصحافة التي تلتث وراء المادة والإثارة ، والتي شعارها « أعذب
شعر كذبه » وكما يقولون : « الغريق يتشبث بالقشة » فقد عزمنا على الذهاب إلى هذا
طبيب - قاهرة ووقعنا الكشفت ، وقال بعد توقيع الكشف إنه يلزمه عملية بالعين اليسرى
ونسبة نجاحها خمسون في المائة .. ويتزمنى خمسون جنيه تدفع قبل إجراء العملية . وكان
لجنيبة قيمة يومها في عام ١٩٥١ . وعشنا حاولنا إقناعه بأن يأخذ نصف الأجر مقدما والنصف
لآخر بعد إجراء العملية وقد بالنقطة الصريح ، نحن لا نبيع ترمس . وقال لي والدي
ما دمنا - قاهرة قد صرنا لو دعنا إلى مستشفى قصر العيني . وفي الصباح توجهنا إلى هناك
ولكن وجدنا قويا ونقوسا حست من لرحمة يس للفقر ، موضع قدم هناك !!

فقدنا أدرأ. جانا لتدبير المال الذي سنجرى به العملية عند هذا الطبيب . كانت شقيقتي الكبرى تملك بعض الحلى فصصمت على بيعه وكان عندنا مديبا عناه ثم توجهنا إلى الضيب وصمم على إجراء العملية وقت صلاة الجمعة - على الرغم من أنه مسلم ، وعشأ حاولت أن أؤخرها إلى ما بعد الصلاة ، ولكنه أصر وأجريت العملية ، وتمت على ظهرت خمسة عشر يوما ، وجاءت الساعة الرهيبة وهي ساعة حل الرباط، وحل الرباط وحرك يده أمامي هل ترى شيئا ؟ فأجبت بالنفى !! فرد في عصبية وعنق قائلا : إنت ترى ويكنك تكبر ، فأجبت : وم الإنكار ، وأنا الذي أتمنى أن أرى؟ وكما خدعت في الطبيب لأول خدعت في هذا حيث ضمت عاما أتردد على عيادته وقد أقمت في المسكن مع شقيقي الأكبر الذي كان ضاها بكلية الحقوق فقد استأجرنا غرفة في شقة في حي حدائق القبة ، ولما لم أجد في علاج فائدة فقلت رجع إلى بلدي وقد انقطعت عن الدراسة حولين كاملين ، فماذا حدث ؟ تحركت الأحداث حسه بسرعة عندما دخلت البيت عائدا من القاهرة وجدت خدار يعرفه التي كنا ننام به قد سقط ، وأقيمت على أعمدة من خشب فبعث هذا في عومسنا عميقا ، وانظويت عني نفسي ، وذات ليلة كنا نجلس جميعا فقال لي الوالد في صوت حنون : ما ضر لو وصت التعليم وسأوصي عليك زملايك أن برعوك؟ وثارت في غسي ذكريات لأم !! من سدى سيأخذ بيدي ويقوم على خدمتي ويذاكر لي العلوم ؟! وتحركت علامات الاستفهام أمام ناظري كأنها كسنة اللهب لولا أن أضغاتها دموع غزير فأسس السناز على هذا الشهيد الكتيب !!

مرض الوالد

في أصيل ذات يوم من أيام شهر أغسطس كنت أجلس على إحدى درجات سسه استقبل نسبات في حر الصيف إذ دخل الوالد قادمًا من محل تجارى ولكنه دخل مسرع حيث سمعته وقد ذرعه الفئء فاستقء ثم أوى إلى السرير فسمعت له نيبا كأتين من دبح وحيدها في حجرها ، وكنت أض أنها سخابة صيف ما تلت أن تنفثع ، ولكن كان في تقدير مة أمر قضاها وكانت المأساة نعى ما زالت تحز في نفسي أننا لم نجد ثمن الدواء ، وم نجد لقنوب نعى تحمل مثقال ذرة من رحمة ، إنما وجد قنوب كاحجارة أو أشد قسوة . ونفوس ه نيباب ومغالاب ، والواقع أنني وجدت نفسي أمام هذه المأساة ، ولا حول ولا قوة . وجدتني أغدو وأروح كعصير بمشى من الأم وهو مديوح ، فالأهل والأقرباء تكبرو لنا مسهت أحوالنا المادية وهكذا عندنا !!

إذا قل مالى فلا حل يصاحبني وفي الزيادة كل الناس بخلاى
كم من عدو لأجل المال صادقتى وكم من صديق لفقد المال عادانى

كنت أأزم والدى في مرضه فقد أعدته شدة المرض كما أعدنى فقد البصر، وكان إذا جن عليه الليل يشتد أساه وكأنه كان ينتظر الموت كل ليلة أو كأن الليل كان سفير الموت إليه !!

وفاة الوالد

في صبيحة يوم السبت السادس من سبتمبر ١٩٥٢ ولأمر ما انتقل الوالد من حجرة داخلية إلى حجرة تطل على الطريق، وكانت الأم مشغولة في هذا اليوم بصناعة الخبز في فرن البيت. و يوم الخميس كما يسمونه ثقيل على نفسي، وكنت في هذا اليوم- أيام الطفولة- أغادر البيت فلا أعود إلا ليلا، وعادتنى أيام الطفولة في يوم لم استطع فيه حراكاً حيث كنت رهين الخسبين. كنت أجلس بجانب والدى وممرت جنازة في طريقها إلى المقابر وخلفها صبية صغار يكون أباهم ، كان ذلك في تمام العاشرة صباحاً وإذا بوالدى ييمس في أذنى قائلا : إننى عما قليل سألقى بهذا الميت ! قائما وقد ملك الإعياء عليه كنهه وكأنه كان يشعر بشبح الموت يرفرف من فوقه وقام لينام على السرير ، وفي الساعة الثانية نادى على أخى الأصغر وكان يلعب حيث كان طفلاً ، واستغاث به أن يذهب مسرعاً إلى الطبيب ليديره ، ولكن كان ملك الموت أسرع من الضبيب إليه ، ومازالت هذه الكلمة ترن في أذنى وهو يقول لى : « أسأل الله أن يغفر لى » وسرعان ما غسل وكفن ووضع في سرير المنايا وودعته من البيت حيث سبق لى منواه الأسير وبانفضاض ليلة انائم انفض الأمل والأسباب !!

الواقع المر !!

لم يكن هناك بد من مواجهة الواقع فقد انهدم ذلك خدار الذى كان يمثل في حياتى حاجراً منيعاً ضد عوامل التعرية . وشعرت بالعواصف أوج تشور من حولى ، وزبحرت الرياح القواصف ترعج حياتى . فقد حضر إلينا أحد الأقرباء . بل هو في مقام الوالد. إنه خالى وشقيق أسمى ، الذى سلبها حقها في ميراث أبيها وقام بتوزيع الأدوار علينا : أشار على أخى الأكبر وكان يومها طالبا بالسنة الثالثة من كلية الحقوق . أشار عليه أن يترك التعليم ويعمل كاتب في إحدى المحاكم . كما أشار علىى وكنت يومها أحمل شهادة الابتدائية الأزهرية . أشار

علی أن أعمل مؤذناً في أحد المساجد مقابل ثلاثة جنيهات . كما أشار على أخي الذي بصغرى ، وكان يومها تلميذاً في المدرسة الثانوية أن يعمل في محل البقالة الذي تركه والدى . وكان ذلك المحل يومها خاويًا على عروشه ، فلم يبق فيه ما يسد الرمق وكأنه أصبح حزينا على موت صاحبه !! فالوفاء في الأشياء قد يكون أكثر منه في ابن آدم !!

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت : علام تتحب الفتاة
فقلت : كيف لا أبكي وأهلى جميعا دون خلق الله ماتوا

كما أشار على أصغرنا أن يتحق بإحدى الصناعات ليتعلم ويأكل لقمة عيشه . ولكن إرادة الله لا تتبع هوى أى إنسان ، فإن في السماء مملكة استوى ربه على العرش :

(عبيد أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد . فإن سلمت لي فيما أريد ، كيفك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد) .

كان نعم الدراسى الجديد قد أوشك أن يبدأ . وفي خلوة يبي وبين شقيقى لأكثر أشار على أن ألتحق بمعهد القاهرة الدينى لأواصل مسيرة التعليم بالأزهر ، على أن يقوم بتحويل أوراقى من معهد الإسكندرية إلى هناك . وقد كان المعهد قد حسب العاميين السنين انقضت فيها عن التعليم للعلاج - قد احتسبهما رسوبًا بحيث لم يبق سوى ستة استثنائية ، إذا رسبت فيها كان المصير فضلاً من التعليم لا يقبل شفاعة لشافعين . وتصورت نفسى كأنى أضع قدمى على شفا جرف هزل لو زلت لكنت الهاوية . وما أدرك ما هى !!

وفي يوم من أيام أكتوبر ١٩٥٢ وقبل أن تبرز الغزاة من خسرها وتطل علينا بقرنها والناس ما زالوا في بيوتهم ، اصطفحني شقيقى إلى القطار ، وخرجت من بلدى أتسلل تسلسل القضا مستخفياً أتجنب أسئلة الفضوليين ، وما أكثرها ! ، وما أسوأ وقعها على النفس التى تناوتها السهم من كل جانب ، ومزقتها رياح الشدائد من كل اتجاه! ووصلنا إلى مدينة دمهور ، وتفتت الصعداء فقد تجاوزت حدود البلد . وركبنا القطار إلى القاهرة حيث كان شقيقى قد استأجر غرفة يقيم بها وهو ضال . وأخذ يسعى جدياً في تحويل أوراقى قبل أن ينفر عقد الأيام فتضيع السنة الاستثنائية ، وكأ أن المصغر لا يصغر . كذلك لا استثناء في الاستثناء .

ولن أنسى موقف هذا الشيخ الجليل : الشيخ سيد الجراحى الذى كان يعمل أستاذاً في كلية الشريعة . والذى كانت تربطه بوالدى صداقة ، حيث كانا رفيقين في كتاب السنة . فإن الناس لما تنكروا لنا ، بل وتنكر لنا الأهل والأقرباء . ظل هذا الشيخ وقتاً ، فقد سعى سبع جثثاً ، حتى قدم الأوراق إلى معهد القاهرة وإن كان ذلك قد تم بعد أن انصرف نصف العام الدراسى . ولكن كان له مما ليس منه يد . فكان يرماً على أن أحرص على احضور

خاصة وأن في السنة الأولى الثانوية علوماً لم تكن قد درستها في القسم الابتدائى مثل : الحديث الشريف والبلاغة والمنطق والقروض . فكيف أقرؤها من غير أن أفهمها ؟

بين المسكن والمعهد

كانت الغرفة التى أفلتها أنا وشقيقى في حى شبين بدير الملاك ، وكان المعهد الذى اختلف إليه يحى الدراسة بالقرب من الأزهر ، وكان ذلك يمثل عبئاً ثقيلاً على نفسى ويكلف أخى الكثير من وقته وجهده . فكنا نركب من دير الملاك وننزل بالعبية ثم نقطع شارع الأزهر والسير فيه صعب لازدحامه وطوله . كنا نقطعه مشياً على الأقدام . فأصل إلى قاعة الدرس وقد بلغ الإعباء منى مبلغه عندما أجمع أنفاسى المبعثرة ، ثم يأخذ أخى طريقه إلى كلية الحقوق بجامعة عين شمس على أن يعود إلى المعهد ليصحبنى إلى المسكن . وكثيراً ما كنت أنتظره طويلاً حيث كان مرتبطاً بمواعيد الدراسة . وكم كان يحز في نفسى أن ينصرف الطلاب فرحين بانقضاء يوم ملء بالعلوم . فرحين لأنهم ذاهبون إلى مساكنهم ليأخذوا نصيبهم من الراحة . وأقف أنا وحدى تمر على اللحظات كأنها سلسلة من الجبال ، وتساورنى الظنون وتشد الأوهام أذنى : لماذا تأخر أخى ؟ .. وهكذا إلى أن يقطع هذا السكون الرهيب صوت أخى يلقى على السلام فينزل سلامه على قلبى كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الظمأى فتزرع الطريق إياباً .

ورأيت بمشاعرى أن أوفر بعض الراحة لأخى حتى يتمكن من مذاكرة دروسه ، فأشرت عليه أن يأخذ بيدي إلى الحافلة « الاتوبيس » ويتركنى وحدى على أنزل محطة العبدة مستعينا بأحد الناس الفاهين في طريق المعهد . واستعنت بالله فقد كنت أملك عزيمة صلبة أواجه بها شدائد الأيام إذا عصفت ، وخطوبها إذا ادهمت . فقد عزمتم بعون من الله أن أواصل الطريق مهما تراكمت أمامى العقبات . فقد رأيت محفوفاً بالأحراش والأشواك التى أوت إليها العقارب والحيات . إذا سلم السالك فيه من لدغة العقرب فقد لا يسلم من نبتة الثعبان .

مجيء الأم إلى القاهرة

كانت أمى تقيم بالبلدة مع بعض إخوانى ، ورأينا أن نجتمع كلنا في القاهرة حتى يكون في ذلك نوع من الاستقرار ، فجتنا ببقية الأسرة إلى القاهرة ، بعد ما استعنا بالله وبعنا عن الذى كان يعمل فيه أبى ، كما بعنا بعض الضروريات التى أردنا أن ننفق من ثمنها ولكن سرعان ما نفذ ذلك المال القليل أمام مظارق الأيام الشديدة التى نهالت فوق رؤوسنا . ثم صصر

أخى إلى أن يذهب إلى أحد الأقرباء ، وكان يملك المال الكثير . كان يملك ثمانين فدانا من الأرض الجيدة ، وما أن علم ذلك الثرى بمقدم أخى حتى ولّى هاربا محتباً ، فكلم أخى زوجة ذلك الثرى وكانت على صلة القرابة بنا ، وأنه جاء ليقترض ثلاثين جنيهاً ، ويضع أوراق البيت الذى كنا نملكه فى بلدنا تحت يديّ ذلك الثرى ليكون فى ذلك استيقاق برد الدين . ولكن جاء ذلك الكلام كله دون جدوى . وعجيب أمر هذه الدنيا ، إذا أقبلت على أحد خلعت عليه محاسن غيره فإذا أعرضت عنه سلّته محاسن نفسه !!

وعاد أخى إلى القاهرة والحزن يعتصره فقد عاد يخفى حنين وبانت الأسرة حزينة كثيرة كاسفة البال . فبعض ما تبقى من الأثاث ، ولم نجد بدأ من أن نبيع البيت الذى ورثناه عن أبينا وعرضناه للبيع ، وكانت المأساة بل الملهة فى موقف الناس منا : إذا عرضت ثمن مشرف همس أهل الشر فى أذان المشتريين بأنه لا يساوى هذا الثمن حتى بعناه ببيع المضطر بثمن بخس دراهم معدودة . وتلك طبيعة الناس إذا فقدوا المروءة والوفاء :

يمشى الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه - أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى حثت إليه . وحركت أذنانها
وإذا رأت يوما فقيرا ماشيا نبحت عليه وكشرت أنيابها

وهكذا حكموا على الأثياء حكما باضلا ، فكل حسنة للفقير اعتبروها سيئة ، وكل سيئة للغنى اعتبروها حسنة ، فالفقير إذا كان فصيح اللسان قالوا : إنه ثرثار كثير الكلام ، وإذا كان كريما قالوا : إنه مسرف متلاف ، وإذا كان شجاعا فى الحق قالوا : إنه متهور سفیه والغنى إذا كان عفى اللسان قالوا : إنه عاقل رزين ، وإذا كان بخيلا وإذا كان جباناً . قالوا : إنه حكيم راجح العقل .

إن الغنى وإن تكلم بالخطأ
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم
إن الدراهم فى المجالس كلها
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وما أجمل ما قاله أحد الحكماء :

رأيت الناس قد مالوا
ومن لا عنده مال
رأيت الناس قد ذهبوا
ومن لا عنده ذهب

رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضة
ومن لا عنده فضة فعنه الناس منفضة

لم يكن تحت أيدنا سوى ثمن هذا البيت الذى مثل الجولة الأخيرة فى حياتنا المادية ، وكنا حريصين على ثمنه لا نتفق منه إلا فى حدود الضرورة حرص السجين على طعامه . وقد صدق الصادق المعصوم حيث يقول : « لن يجهد الفقراء إلا ببخل الأغنياء » . وحيث يقول : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ، وهو يعلم » .

وإذا تحول المجتمع إلى قوم يستحلون الصخر ، وقوم تتمرغ النعمة فى أعتابهم ويستهبون إلا أن يدوسوها بأقدامهم ، تب عليهم السمات معطرة بالأريج . وغيرهم يلفحهم فيظ المواجير من نبح جهنم . يوم يصير المجتمع هكذا فقد حقّ فيه قول الله تعالى : ﴿ فكأن من قرية أهلكناها وهى ظالمة . فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ . وحق قوله جلّ شأنه : ﴿ وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ . وقوله جلّ جلاله : ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ .

على أبواب الامتحان

ذكرت فيما سبق أن هذا العام الدراسى كان عاما استثنائيا .. الرسوب فيه يؤدى إلى فصل من المعهد . وكان عاما مليئا بالمشاكل مفعما بالأحداث الأليمة . وقد فاتنى شطره ، لكنى يقينى فى الله وثقتى به قد عزمت على أن أخوض غمار هذه الشدائد حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . وجرت عادة الطلاب أن ينصرفوا قبل الامتحان بشهرين . يتفرغون فيهما استعدادا لدخول الامتحان ، وهنا لاحت أمامى أسئلة وعلامات استفهام كان لها وقع السهام على نفسى : من الذى سيذاكر لى هذه العلوم التى فاتتني ؟ وإذا لم أجد من يذاكر لى فبأى شيء أدخل الامتحان ؟ . وكنت أحمل ذاكرتى أكثر مما تحتمل إذ كنت أحرص على أن أظل ذاكرة لما يلقى علقى الأستاذة فى قاعات الدرس حتى لا أنساه فأحتاج إلى من يقرؤه لى . ورأيت من الحكمة أن أتفق مع أحد الطلبة لنذاكر سويا ، والاتفاق مع أحد الطلبة يمثل مشكلة يعانيها المكفوفون فليس ذلك بالأمر السهل إذ أن الذين يعملون الخير ابتغاء مرضاة الله قليلون . فما الذى يدفع البصير إلى أن يذاكر للكفيف إلا أن تكون المنفعة المتبادلة بينهما . فالكفيف : وقد عوضه الله عن نور البصر ذكاء القلب ، حريص غالبا على حضور الدراسة ، مواظب على السماع من شفاه المدرسين . وتلك جوانب قد تفوت الطالب المبصر ، فيجد فى مذكرته مع الكفيف ما فاته . مهما يكن من شيء فقد اتفقت مع أحد الطلبة على المذاكرة معا وتفقنا على ذلك وظننت أنني قد اجتزت هذه العقبة وما أدراك ما العقبة ؟ لقد ضلّ على

عهده معي محبة أهام بعدها انتقدته فلم أجده . وكنت لا أعرف عنوانا فقد كان يأتيه
لنذهب سويا إلى أحد المساجد إذ كان ضيق المسكن لا يسمح لنا بالذاكرة فيه . وبارك الله
في بيته ، فقد كانت وما زالت وستظل مهابط الرحمة ومنازل السكنى ومسكن الملائكة .
في رحابها تعقد مجالس العلم والذكر فتفسيهم الرحمة وتخفهم الملائكة وتنزل عليهم السكنية
ويذكرهم الله فيمن عنده ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها
بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
يتخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ .

مفاجأة !!

فوجئت بعد خمسة أيام من مذاكرتي مع هذا الصديق بانقطاعه وقلت : لعله أمر
عارض يعوق بعده فتواصل ما بدأتاه ، فإن الأمر جد وما هو بالفرج . ولكن مرت الأيام .
واقتربت ساعة الامتحان دون أن يذاكر لي أحد ، ولم يعد ذلك الرفيق إلا أنني فوجئت منه
برسالة يقول فيها : لقد سافرت إلى أهل لأذاكر هناك ، وجاءت الرسالة متأخرة مما يدل على
أن هناك ناس لا يهتمون شعور الآخرين ولا يحسون بحساساتهم ولا يقيمون للمسئولية
وزنا . هؤلاء صل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وأخذت حلقات
السلسلة تضيق وكأني بقول أحد الحكماء :

رمان الدهر بالأرزاء حتى فزادى في غشاء من نبال
فكنت إذا أصابني سهام تكسرت الصال على الصال
وقول آخر :

هامت على نفسي الهوم كأنها وكأني فربية وصقور
بالليل أين النور إلى ناله هل تطهى أم ليس بعدك نور

إن الفرج مع الضيق !!

صدمت ياربنا فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا . نعم لن يغلب عسر يسرين
وبهان ذلك أن اليسر جاء في الآية متكرراً والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى والعسر
جاء معرفاً بالـ والمعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى . من يغلب عسر يسرين .

رأيتني أمام باب اللجنة ، وكان الامتحان للمكفوفين شفوياً وكان في العرفة لجنتان :
إحداهما تشدد في الامتحان وتطوى رقاب המתحنين ، بفتح الحاء ، كما يطوى البرق مُغصيرات
الغمام والأخرى سهلة ميسورة . فكان الطلبة يتحينون الفرصة التي تمكنهم من الامتحان أمام
اللجنة التي ترفق بهم وفوجئت بمن يأخذ بيدي فيجلسني أمام اللجنة المشددة . وحاول أخى
أن يخلصني من يد هذا الذي أخذني حتى يذهب لي إلى اللجنة الأخرى . ولكن دون
جدوى .

مرت أمامي أنسحاب رهينة قبل أن أجلس أمام اللجنة فقد فوجئت بهذا الطالب الذي
عذر بالعهد وتركني ، فوجئت به بقول لي على باب اللجنة : إن رسبت فسوف أقوم
بالمذاكرة لك حتى لو نجحت أنا وسبقتك . وأنا من الذين يتفاهلون بالكلمة الطيبة ولا أحب
أن أسمع الكلمة التي تجرح المشاعر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني إلا بقول : ﴿ إن الله
معى ﴾ وقلت له : إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

كما مر في شيخ رهيب وأنا على وشك أن أتلقى سهام الأسئلة من اللجنة . قلت لي
نفسى : لو لم أوفق في الامتحان أمام لجنة شديدة الجراس فماذا يكون المصير ؟ وكيف يكون
الحال أمام متاعب الأيام ومصاعبها ؟ . ولكن سرعان ما زال هذا الشبح أمام قول رسول الله
ﷺ : لا يقولن أحدكم لو كان كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان .

أمام اللجنة

يا صاحب المم إن المم منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله
الأس يتقطع أسيانا بماصب لا تياسن عن الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزع عن فإن الصانع الله
إذا بليت فتن بالله وارض به إن الذي يكشف البلى هو الله
والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

جرت على لساني آيات ودعوات قبل أن أتلقى سهام الأسئلة من لجنة سبقتها سمعتها لي
التشديد والصعوبة كنت أردد قوله تعالى : ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً ﴾ . وقوله جل شأنه : ﴿ رب اشرح لي
صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ . كما رددت هذا الدعاء
المأثور : ﴿ يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ﴾ .

وجلست أمام اللجنة ورأيتني وأنا جالس على مقترق الطرقة فلما يفتح الباب أمام مستقبل زاهر ترتوى فيه النفس بماه المعارف وإما يخفاق يؤدي إلى سلسلة متصلة الحلقات من الشدائد لا يعلم إلا الله وحده مداما . وبينما تتقاذفت تلك الأمواج العاصفة إذ تهببت على صوت أحد العضوين سألتني عن اسمي . وقلت في نفسي إن هذا الصوت ليس غربيا علي . ورجعت تقهقري ثلاث سنوات وعلمت أنه صوت الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد الكومي ، وهو رجل معروف بالعلم فهو ذو قدم راسخة فيه . وأن أكون مبالغا إذا ما قلت : إنه رجل يتنجر العلم من جوانبه . وكان قد سبق أن تتلمذت عليه في القسم الابتدائي بمعهد الإسكندرية ، وجلست أمامه في لجان الامتحان ، وبحق كان صوته وهو الرجل الكفيف ، بمثابة الأمل لدى أعضاء في ليل كموج البحر أرخبني سدوله عن أنواع المغموم . سألتني الشيخ بصوت ملى بالرحمة : بأي العلوم تحب أن تبدأ الامتحان ؟ . وفهمت من هذا السؤال أنه يريد أن أختار علما أكون متشككا فيه ليعت في نفسي رياضة الجأش وفي قلبي برد اليقين . وطلبت أن تبدأ بعلم النحو لأنني والحمد لله أحبه . بل هو يمثل في نفسي متعة عقلية فقد تتلمذت فيه على يد عالم فاضل جعلت منه قدوة طيبة لي . هو شيخ محمد مصطفى جاد ، عليه سحاب الرحمة فقد كان شابا عالما أثار الله قلبه بمعرفته . وعكس ذلك النور من قلبه على وجهه ، وكنت تعرف في وجهه نظرة النعم نعيم التقوى .

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

كان لرجل يؤدي عمله كرسالة بعيدا عن قيود رصيفة . فكان العام الدراسي إذا أوشك أن يقضى دعانا إلى الحضور ليلا لتتلقى على يديه من الدروس الإضافية ما شاء الله أن تتلقى حتى يكمل لنا المنهج وتتصرف بعد الكمال والتمام . هذا رجل والرجال قليل . وهذا القليل فيه خير والنفيع العظيم .

تعونا أبا قليل عهديننا فقلت فا إن الكرام قليل
وما ضرتنا أنا قليل وديننا صحيح ودين الآخرين عليل

زارني محمد ابن الشيخ محمد مصطفى جاد وكان صابا في كلية أصول الدين ، زارني بجامع المنية وأنا إمام المسجد . وبعد أن عرفني بنفسه أخبرني أن والده قد توفى . وقد أوصاه أن يعود في وقت ما اختلفوا في مسألة من المسائل أن يرجع بي في الخلاف وسألته أن يتحدثني عن شيء من حياة أبيه فإني أحب الصالحين وأعلم أنه إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة . فقصت عليّ متحيا : كان أبوه رحمه الله إذا فرغ من أداء واجبه ومن إلقاء الدروس بمعهد انصرف خدمة مسجد مجاور ليته يقوم فيه بالإمامة بقرينة درس في التفسير وأحدثت والفقهاء . فإني ما انصرف المصلون بعد صلاة العشاء قام تنصيف المسجد بما في ذلك دورة

المياه . وذات يوم وقف على سب منقلب فسقط من فوق درجة وانكسرت ذراعاه اليمنى . ووضع في الجبس وبات راضيا عن قضاء الله وقدره . فقضاء الله لا يقابل بغير التسليم وليس له عدة سوى الصبر الجميل . ولكنه وهو الراضى عن قضاء الله كان حزينا على كسر ذراعاه حيث لن يتمكن من القيام بواجبه في تنظيف المسجد . ولكنه وهو الراضى الحزين ما أن غزا الكرى عيبيه حتى رأى في المنام رسول الله ﷺ ورؤياه حق فقد أخبر : « من رأى في المنام فقد رأى حقا . فإني الشيطان لا يتمثل بي » . لقد مد الرسول يده إليه مصافحا وشد على ذراعاه المكسور تقام من نومه وقد شفاه الله وعافاه . عكست شخصية هذا العالم انطبعا جياشا من حب العلم والاعتراف من حياضه مما جعلني أعتز به ويعلمه . فكان علم العربية حيبا لي نفسي .

مع الشيخ أحمد الكومي

بدأنا بعلم النحو والرجل لا يريد أن يعرفني بنفسه وكأنه لا يعرفني ولا أعرفه حتى لا يشعر العضو الآخر بذلك فيشدد عليّ في أسئلته وأنا أعلم أن الشيخ الكومي رجل لثام الذكاء . وفي الإشارة ما يغني عن العبارة ، وفي التلميح ما يغني عن التصريح . ودخلت في نقاش عنيف مع العضو الآخر في مسألة من مسائل النحو تقول : كل ما جاز أن يعرب عطف بيان جاز أن يعرب بدلا إلا في مسألتين وتدخل الشيخ الكومي وهو يعلم أنني كنت على حق . فتدخل بصوت خفيض وخاطبني بقوله : إن فضيلة الأستاذ يريد أن يصير بمسألة طال فيها الخلاف بين النحاة ، فكن على بينة من ذلك . وعلمت أنه يريد أن ينهي هذا الجدل . ثم انتقلنا إلى المواد الأخرى وقلنا ما على بساط البحث والأسئلة . وجاء موضوع الإنشاء وكنا على وشك الانتهاء من الامتحان فأراد الشيخ أن يعطيني إشارة أستدل بها على أنه يذكرني جيدا ويعرفني فقال لي : صف لنا ذلك المنظر البديع عندما تشرق الشمس فيبدد غياهب الظلمات وينطلق الناس سعيا وراء لقمة العيش والأمل بملا تقوسهم وقد بدأ غياهب اليأس فقال العضو الآخر وكان شيخنا طريرا : إن هذا الموضوع يحتاج إلى إنسان مبصر وهذا الطالب كفيف . فقال له الشيخ : لقد كان مبصرا وكف بصره بعد سبعة عشر عاما ، وأنا أعلم عن حياته الكثير وتحدثت في موضوع الإنشاء ما شاء الله لي أن أتحدث ، وكان مسك الحتام في الامتحان القرآن الكريم . وأراد الشيخ أن يعلمني بنتيجة الامتحان وذلك بسؤال في القرآن الكريم بالآيات المبشرة . أراد أن يسلط أضواء الأمل على قلبي فقال لي : اقرأ من سورة الزمر : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ . ورحم الأسئلة في القرآن الكريم بسورة الضحى ووقف

في عند قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ . وانصرفت وقلبي يلهج بالرضا
ولسانى يردد الحمد لله . فقد كنت أشعره بنعمة لا تعادها نعمة وهى أن الله تعالى سيجعلنى
من حماة الإسلام وحراس العقيدة .

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها امرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

إن يد الله تعمل في الخفاء فدعوها تعمل بطريقها الخاصة ، فليس لأحد أن يستعجلها
أو يقترح عليها .

وإذا رميت من الزمان بشدة وأصابك الأمر الأشق الأصب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن يدعوه من جبل الوريد وأقرج

سبحانه وتعالى عز كل ذليل وغنى كل فقير وقوة كل ضعيف ومفرج كل ملهوف .
من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فإليه منقلبه .

لا تضيقن بالأمور فقد تكشف عماؤها بدون احتيال
ربما تكره النفوس من الأمر له فرحة كحل العقصال

سبحانه لا ينقصه نائل ، ولا يشغله سائل واحد لا عدد ، قائم بلا عمد ، دائم بلا
أمد :

دع المقادير تجرى في أعتابها ولا تبتحن إلا خالي البال
ما بين طرفة عين رانهايتها يغير الله من حال إلى حال

البحث عن صديق

استقبلت العطلة الصيفية ولم يكن لى صديق أو رفيق في وحدتى إلا كتاب الله أتوه
آناء الليل وأطراف النهار ، فهو كما يقول الإمام الشاطبى

وخير جليس لا يُعلم حديثه وترداده ترداد فيه تجملا
وحيث الفتى يرتاع لى ظلماته من التقر ببقاه منا مهتلا

فمن أراد مؤنسا فالله يكفيه ، ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه ومن أراد الغنى فالقناعة
تكفيه ومن أراد واعظا فالموت يكفيه ومن لم يكفه شيء من هذا فإن النار تكفيه .

ظهرت النتيجة وجاءنى شقيقى عبدالستار يحمل كشف الدرجات فرحا مسرورا فقد
كانت النهايات الكبرى في العلوم تزين الكشف كما تزين النجوم سماها . وحمدت الله تعالى
فقد كان الكشف بالنسبة إلى ضوء أخضر ينير لى الطريق ويضع معاملة على الجانبين مبشرا
بمستقبل طيب كريم . لكن كان يعكر على صفوى ما سأعانيه من عدم وجود رفيق يلازمنى
في غدوى ورواحى إلى المعهد ، ويقرأ لى الدروس حتى تسير سفينة الحياة في جو معتدل ،
فكان لا بد من البحث عن صديق وفى يصدق الوعد أقيم معه في مسكن قريب من المعهد .

العام الجديد

انقضت العطلة الصيفية وأقبل العام الجديد وتحركت مواكب الأيام وكما قال الفائل :

غدا سيصبح أمسى لا يعارضنى في ذلك حى وأمسى لن يصير غدى

فأيامنا خمسة : يوم مفقود ، ويوم مورود ، ويوم مشهود ، ويوم موعود ، ويوم
ممدود ، أما اليوم المفقود : فهو الذى مضى ولن يعود ، وأما اليوم المورود : فهو اليوم الذى
يناديك فجره : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم
القيامة . وأما اليوم المشهود : فهو اليوم الذى لا يعلم ما فيه إلا علام الغيوب فهو فى خمسة
أمور من الغيب لا يعلمهن إلا الله .

رأى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه ملك الموت فى المنام فسأله : كم بقى من
عمرى فأشار له الملك بأصابعه الخمس فقال له الإمام : أحمس سنوات أم شهور أم أيام ؟
ولكن الإمام استيقظ قبل أن يجيبه الملك فذهب إلى من يعبر له الرؤيا فقال له يا إمام : ما أراد
الملك بها سنوات ولا شهورا ولا أياما إنما أراد أن يقول لك : إن سؤالك هذا فى خمسة أمور
من الغيب لا يعلمهن إلا الله . ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى
الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم
خبير ﴾ .

واليوم الموعود : هو اليوم الذى يتم اللقاء فيه بين الروح وخالقها :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان
واصبر على نعم الحياة ويؤسها نعمى الحياة ويؤسها سباق

اليوم الممدود : هو اليوم الذى لا يوم بعده ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾
﴿ يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء . لمن الملك اليوم . لله الواحد

القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم . إن الله سريع الحساب ﴿

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بينها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة حتى سقاها بكأس الموت ساقيا
أموالنا لدوى الميراث نجمها ودورنا لخراب الدهر نبيا

هل من صديق !!

بذلت الجهد الجهد بحثاً عن صديق نعيش سوياً سعياً وراء طلب العلم ، ورزقنى الله إنساناً قضيت معه أربع سنوات حتى حصلت على الشهادة الثانوية الأزهرية وكانت المرحلة الثانوية يوماً ما خمس سنوات . كان هذا الصديق هو الأخ محمد الصوخى . والحق أنه كان معي وقتاً وى حقيقياً . فقد استأجرنا غرفة في أحد الأحياء القريبة من الأزهر في بيت أكل الزمان عليه وشرب وأناخ عليه الدهر بكله فقد كان عريقاً في القدم قد كاد يهدمه النسيم ، وكادت تدبوه الأعاصير . وتره من فرض الهزال تكاد تنقبه الموطر .

كان هذا الطالب قد مات أبوه في صغره وكفله جده لأبيه وكما يقولون « وهبته للعلم » وذات يوم زاره جده في تلك الغرفة التي كنا نقيم بها وسأله عنى فقال له : إنه طالب أهل علم وأدب ، فسُرَّ الرجل إذ وجد من يلزم حفيده في طلب العلم فأوصاه في حيرا . كما أوصاه أن يأتي في معه عند انتهاء العام الدراسي قبل الامتحان لستذكر معا . ووقعت هذه الكلمة من نفسى موقع الماء البارد في فم الضمان ، فوجدت مكاناً خالياً في القلب فتمكنت منه فضل تمكن . فقد كان في نفسى فراغ رهيب يحتاج إلى من يضع النمسات الصادقة ، وذلك من حيث من يقوم معى باستدكار العلوم .

كثيراً ما كنت أعانى من فقد الصديق الصديق .

فما كل من تهواه يواك قلبه ولا كل من صافته لك قد صفوا
إذا لم يكن صفو الرداد طيبة فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خل بخون خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا
ويبكر عيشاً قد تفادم عهده ويظهر سرا كان بالأمس في خفا
صديق وفي يصدق الوعد منصفاً سلام على الدنيا إذا لم يكن بها

أوشك العام الدراسي أن ينقضى ، وقد أخذ الطلاب ينصرفون إلى بلادهم ليذاكروا الدروس استعداداً لدخول الامتحان . وكنت في العام الماضي أعانى من هذه الأيام التي ينصرف فيها الطلاب فرحين مقبلين على الجد وتحصيل الدروس ، وأنا الحزين الذي أبحث عن صديق يلازمنى في القراءة فلا أجد . لكنى والحمد لله كما قال تعالى : ﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ . لقد علمت أن هذا الأخ سيصحبني إلى بلده للذاكر سوياً ومن ثم فإني سأدخل الامتحان وقد اتخذت له عدته فيصير خوفي وأنا وقلقى طمأنينة ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ . وأنا من الذين يتحملون شظف العيش وقسوة الحياة في سبيل العلم . فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم . ومن أراد هما معا فعليه بالعلم .

العلم في حياة النفوس كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلب العمى عن قلب صاحبه كما يجلبو سواد الظلمة القمر

والعلماء يرثة الأنبياء . في سبيل هذه المبادئ هانت على شدايد الأيام . لم يكن سفرى إلى بلد صديقى أمراً هيئاً على نفسى . ذلك والحق يقال أننى شديد الحساسية في منامى ويقظتى ومأكلى ومشربى وملبسى . فليس كل مأكلى أقبل عليه متادباً في ذلك بالحديث الشريف : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن استشهاه أكله وإن كرهه تركه » وفي منامى أحب أفدوء ويؤلمنى الصخب . وفي ملبسى أحب النظافة ، والبساطة لا أضيع عرفة إذ أشعر عندها باختناق . أحب الماء لأنه يعطينى دفعة قوية . وقد صدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ أحب وضوءاً واغتسالاً ، وأحبه شرباً بارداً وأحب سماعه جريراً متدفقاً . وقد حلَّ حلاله الله إذ جعل من نعم الجنة أنهاراً تنوعت حسناً وجمالاً ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ .

فهل سأجد هناك حيث الإقامة التي ستستمر خمسة وأربعين يوماً ، هل سأجد هناك ما أشده من هذه المطالب وتستريح له نفسى ؟ لكن كل هذه التساؤلات قد زالت في سبيل اهدف الأعلى .

﴿ ولئن سرتم هو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾

ومن تكن العلياء همه نفسه فكل الذى يلقاه فيها محب
إذا أنا لم أعط المكارم حقها فلا عزى خال ولا ضمنى أب

وقال آخر :

وإذا كانت النفوس كبارا . تعبت في مرادها الأجسام

وقال ثالث :

لأستسهل الصعب أو أدرك النسي . فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقال رابع :

لا تحسب المجد تمرا أنت أكله . لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

حقيقة أن الله تعالى يعوض عن نور البصر ذكاء القلب . ولما كُف بصر الإمام عبدالله

بن عباس قال :

إن أذهب الله من عيني نورهما . ففي فؤادي وعقل منهما نور

عقل ذكي وقلبي ماحوى دخلا . وفي فمي صارم كالسيف مشهور

سافرنا إلى بلدة صديقي وكانت إحدى قرى محافظة القليوبية . وتمتاز قرى القليوبية بمحافظتها الفواحة وأزهارها الفواحة الأربع وهوائها العليل . وكانت القرية التي يقم بها صديقي تسمى « كثر الجمال » وتشتهر ببراعة الذهب الأصفر؛ بخدائق البنغال ، فكنا نخرج في نسيم الفجر إلى تلك الخدائق ونفتح كتب العلم ونقرأ ماشاء الله لنا أن نقرأ . وقد أذن لنا أن نأكل من تلك الثمار بين آونة وأخرى .

وبين الأشجار قد نبتت خضروات نسميها نحن « بالسريس والجمعريض » فحولت الأرض إلى سباط سندس أخضر . أمامنا جداول الماء تنساب رقراقة وحولنا الهواء نظيفا نقيا غنيا بالأوكسجين . تحرير الماء وحفيف الأشجار وتبريد الأطيار وأطياب النار وجنى الجنان : كل هذه نعم أنعم الله بها علينا لا نستطيع أن نقوم لله بشكرها فالحمد لله على كل حال حمدا يوافق نعمه ويكافي مزيده .

وكان لهذا الصديق عم كريم الخلق ، عندما انصرفنا إلى القاهرة لأداء الامتحان رأى الرجل أن يقدم لي هدية ، فعبر عن ذوق رفيع فقد كانت هديته قطعة من القماش أعطاهها لخياط القرية فصارت ثوبا جميلا خفيفا في حر الصيف ساعد مع ثوبى الذى كان يشكو ألم الوحدة كما أعطاني جنبها جبديدا وكان الجنيه يومها ذا قيمة . كما كان هذا الصديق جده لأبيه . كانت سيدة صالحه . كان لسانها دائما رطبا من ذكر الله . عندما علمت بسفرى زودتنى بخيرات تشتهر بها القرية المصرية من خبز وزبد وجبن . وما من شك في أن المعنى الكبير الذى اشتمل عليه ذلك الموقف كان بمثابة اللجوء لدا طالما استعصى علاجه؛ إنه يحمل معنى الوفاء

والمروعة . فالماديات في ذاتها لا تحل حيزا كبيرا في الله . فبما ما تحمله من قيم ومثل ، قال **عنه** : « صاحب المعروف لا يقع وإذا وقع وجد متكئا » وقال : « البر لا يبلى والذنب لا يئسى والدنيا لا يموت . اعلم ما شئت كما تدبى تدان » وقال : « اصنع المعروف في أهله وفي غيره أهله . فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله » .

أزرع جميلا ولو في غير موضعه . فلن يضيع جميل أينما زُرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به . فليس يحصده إلا الذى زُرعا

روى أن رجلا من بنى إسرائيل كان يتناول الطعام مع زوجته وكان أمامهما دجاجتان فطرق الباب مسكين فبهره الرجل وردّه ردّا غير جميل واستاءت زوجته لهذا التصرف السيء ودارت الأيام دورها وافتقر الرجل وطلق زوجته وتحرك الفلك ومضت الأيام وتزوجت تلك المرأة بغيره . وفي ذات يوم كانت تتناول الطعام مع زوجها وكان أمامهما دجاجتان وطرق الباب مسكين فأمرها أن تعطيه إحدى الدجاجتين ففعلت ولكنها عادت باكية فسألها أتبيكين من أجل دجاجة تصدقنا بها؟ قالت له لا . قال : فما يبكيك إذن؟ قالت له : أتدري من السائل؟! أنه زوجى الأول!! قال لها : اتدبرين من أنا؟! وأنا السائل الأول!!

« وتلك الأيام نداؤها بين الناس » . (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك) . (الأغنياء كلابى والفقراء عيالى . فإذا بخل وكلابى على عيالى أخذتهم ولا أبالى) . ومن أراد الله فليتمسه في الفقراء ، والأكباد الجائعة أولى بالصدقات من بيت الله الحرام .

لا تمن الفقير علك أن ترقع يوما والله قدر رفعه

قال حكيم :

إذا جاءت الدنيا عليك فجد بها . على الناس واعلم أنها تتقلب

فلا الجود يفيها إذا هي أقبلت . ولا البخل يقيها إذا هي تذهب

وقال آخر :

هي الأيام لا تبقى عزيزا . وساعات السرور بها قليلة

إذا نشر الضياء عليك نجم . وأشرق فارتقب يوما أفوله

بحمد الله تعالى وينوفيق منه جل شأنه اجتزت الامتحان وكان ترتيبى فيه الأول . وكانوا يصرفون للأول مكافأة سنوية قدرها خمسة جنيهات ، وكنا نلاق الأمرين في صرفها والتسويق فيها ، وكان الموظف البائس إذا صرفها لا يد أن يحيطها بكلمات مسمومة مثل : لماذا لم يكن على أيامنا مثل هذه المكافآت؟ وماذا بذلتم من المتاعب حتى تستحقونها؟ وكنا نلتبس له الأعذار فكنا في المم شرق . إنه الآخر قد عضه الدهر بناه وأناخ عليه بكلكله ،

حتى صار ممن يجوز عليهم الصدقة ، بل هو مألول بها من قوم احتزفوا المسألة . أما هذا وضرباؤه فممن يقول الله تعالى في شأنهم : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التصفف . تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلخافا . وما تتفقوا من محير فإن الله به عليم ﴾ .

وجاءت السنة الثالثة

نجحت أنا وصدقي والله مزيد الحمد والمنة . وقد كان نجاحه نجاحا لي . وتفايل أهله بمرافقته لي . وليس ثمة أدنى شك في أن صاحب الطيب والجار الطيب والمرافق الطيب من النعم الكبرى التي ينعم الله بها على عباده . قال عليه السلام : « لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » وقال : « خير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك . وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لا يهينك وإذا نسيت لا يذكرك » . لذلك أوصانا مولانا تيارك اسمه بالإحسان إلى مؤلء قال تعالى : ﴿ وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ .

كان الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول : إذا أتى على الرجل جيرانه في الحضر ومرافقوه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكروا في دينه .

ومن سعادة المؤمن الزوجة الطيبة والجار الطيب والذار الوسيعة والذابة الشريفة ..

نعم :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

في السنة الثالثة من القسم الثانوي حصل تحول في حياتي فقد أشار علي أحد الأصدقاء وهو الأخ عبدالعزيز ندا ، وكان شابا مستقيم الخلق ، هادئ الضمير ، أشار علي أن لنلتحق سوبا بالجمعية الشرعية لنقوم بخطبة الجمعة في مساجدها ووجدت هذه الفكرة صدى في نفسي وسألت : هل لذلك من شروط ؟ وكانت الإجابة من أحد العاملين بها أن الشروط سهلة منها : حفظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية والفترة على الخطابة . واصططحي الأخ عبدالعزيز بعد ما كتب كل منا طلب الالتحاق . وذهبا إلى مقر الجمعية الرئيسية هي المغربلين . ذهبا وكانت السماء تمطر . وعند نزول الغيث يستجاب الدعاء . قال جل شأنه : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ . كما يستجاب الدعاء عند إقامة الصلاة ورؤية الكعبة - شرفها الله - وعند التحام الصفوف

أى : وقت القتال في سبيل الله .. وقيلت طلبات الالتحاق وحُدد لنا موعد للاختبار وذهبا لأداء الاختبار وكانت اللجنة مكونة من عضوين من علماء الجمعية وهما العالمان الجليلان : فضيلة الشيخ علي حسن حلوة وفضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور . وسألني الشيخ : هل سبق لك أن خطبت الجمعة ؟ قلت : نعم في مساجد بلدي . قال : كم كان سنك يومها ؟ قلت : ستة عشر عاما . قال : تصور نفسك على المنبر وقد اجتمع المسلمون لصلاة الجمعة وقمت فيهم خطيبا . فماذا عساك أن تقول ؟ فحمدت الله وأثيتت عليه ، ونطقت بالشهادتين ، فانطلقت في الحديث وقد فتح الله علي مغالبي المعاني وكان موضوع الخطبة الى مازلت معتزا بها : « دعوة المسلمين إلى وحدة الصف والهدف والأخوة في الله » انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ أما عن الأخوة في الله فكانت انطلاقا من قوله جل شأنه :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطهون الله ورسوله أولئك سيرجهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

وانطلاقا من قوله صل الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » . وقوله عليه السلام : المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى » .

في مساجد الجمعية الشرعية

مازلت أذكر وأنا ألقى خطبة الاختبار أمام العالمين الجليلين ، مازلت أذكرهما وهما يسيبان بقلب مقعم بالخشوع والحشية أثناء سماعهما للخطبة مما جعل الشيخ علي حلوة مفتي الجمعية يأخذ بيدي إلى السكرتير ويقول له : اعطه أكبر المساجد ليقوم فيه بخطبة الجمعة . وكان مطمئنا . وكانت هذه الكلمة فائحة خير ، فقد ظللت ثمانى سنوات أتفعل فيها من مسجد إلى مسجد ومن حي إلى حي داخل القاهرة وخارجها من المحافظات . ولقد كان عملي بتلك المساجد بمثابة تمحيص . فقد عاشرت الناس وخبرتهم وشاركتهم أفراحهم وأتراحهم . وزرتهم في بيوتهم وزاروني في بيتي . وكانت أعظم ثمرة من تمار العمل بالمساجد - وما أكثرها - الأخوة في الله ، فقد التفت حولي مجموعة من الشباب المسلم آمنوا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد عليه السلام نبيا ورسولا . كانت هذه المعرفة من أسمى أنواع المعارف لأنها في الله وفي أشرف الأماكن ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون

يوما تغلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله .
والله يوزق من يشاء بغير حساب ﴿

إن رسالة المسجد هي الإسلام كله فيوم يصير المجتمع مستجديا والمسجد مجتمعا تُحل فيه المشاكل في ظل الكتاب والسنة يومها سنخرج على الدنيا كالبحر الطهور الذي تنساب أمواجه تغسل وجه الأرض من أرجاسها وأنجاسها وأذناسها، يومها سنقول بملء الأفواه : سنطب المريض بدوائنا ، وسنؤمن الخائف في رحابنا ، وسنتلو على الدنيا كتاب جهادنا . صمت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا . لقد كانوا قديما يفخرون بأن فلانا مسجدى إن تلقى علومه في المسجد ، كما يفخر الناس في عصرنا هذا بأن فلانا جامعى ، ذلك لأن المساجد كانت حلقات دراسية لا تقطع دروس العلم منها من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء . وقد ورد أن النبي ﷺ دخل المسجد ذات يوم فوجد به حلقتين : وجد به قوما يذكرون الله وآخرين يقرءون العلم ويتدارسون كتاب الله فيما بينهم فجلس النبي ﷺ مع الذين يدرسون العلم فسألوه : أيما خير يارسل الله ؟ فقال : هذا خير وهذا خير ولكنى بعثت معلما . نعم

العلم كالغيث والأخلاق تربته
إن تفسد الأرض تذهب نعمة المطر
إليس أعلم أهل الأرض قاطبة
والناس تلعبه في البدو والحضر

إن المساجد منازل السكينة ومهابط الرحمة يعمرها المؤمنون الخاشعون الذين هم على صلواتهم يحافظون . انظر جلال الجمع وتأمل أثرها في المجتمع . وكيف ساوت العلية بالزعم . وفي المساجد يتعارف الناس ، وبالتعارف يتبادلون التزاور في الله ، طوفوا لهم ، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء . والناس في مساجدهم والله في حوائجهم . تقضى حوائجهم لأنهم تأخروا في ذات الله وفي أطهر الأماكن وأقدس الرحاب .

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » وقال : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه . نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم . يقولون ربنا أتمم لنا نورنا . واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴿

قال ﷺ : « المسجد بيت كل تقى » وقال : « إن للمساجد أوتادا جلسائهم الملائكة »

إخوان كرام

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك

إن من أعظم النعم التي ينعم الله بها على عبده أن يرزقه إخوانا أصفياء القلوب . أضياف السرية . أضياف الأقدرة . وهل الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله والشدائد مقياس الصداقة

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقي

وهل قال رسول الله ﷺ : « أبو بكر كالغيث أينما وقع نفع » إلا لوفاء أبي بكر لله ولرسوله . لقد جاء بماله كله مما جعل المصطفى ﷺ يسأله : ماذا تركت لأولادكم من بعدك يا أبا بكر ؟ على الفور ومن غير إعمال فكر أجاب أبو بكر بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : « تركت لهم الله ورسوله » فكان حرباً أن ينزل الأمين جبريل على رسول الله ويقول له : « السلام يقربك السلام ويقول : أقرىء أبا بكر من ربه السلام وقل له : ربك راض عنك . فهل أنت راض عن الله ؟ قال أبو بكر يارسل الله كيف لا أرضى عن الله وأنا أمتى رضاه !؟»

وخديجة .. ما خديجة !؟ وما أدراك ماهاي ؟ حظها من الوفاء حظها ومكانتها من قلب الرسول مكانتها . كانت تأسو بخنائها جراحه وتريش بعطفها جناحه . فكانت جديرة أن يقرنها الله السلام من فوق سبع سماوات . لقد جاب سفير الأنبياء السماء وطوى بأجنحته السبع الطبايق وهبط على الصادق المعصوم وقال له : « أقرىء خديجة من ربه السلام » .. فهما اثنتان سلم الله عليهما من فوق سبع سماوات : نزل كبير أمناء وحى السماء بهذا السلام من رب العزة إلى أمين الأرض والسماء محمد خاتم الأنبياء . إذا ذكر الوفاء فهو خديجة . وإذا ذكرت هي فهي الوفاء . أليست هي التي قالت للصادق المعصوم : « والله لا يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث تحمل الكيل وتكسب المعلوم . وتقرى الضيف وتمين على نوابه الدهر !؟»

لقد عرفت في المساجد رجلا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فكانوا معي أوفياء ، ولقد شعرت نفسى بدفء الأخوة وامتلأ قلبي بصفاء المودة ، فلقد كنت في منسب الحاجة إلى من

بأخذ بيدي ويقرأ لي ويملا علي فراغي . فالنفس كالزجاجة إن لم يملأها شيء ملأها الهواء ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوانى
فارع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثانی
واصبر على نعم الحياة وبؤسها نعمى الحياة وبؤسها سیان

كان نظام الخطابة في مساجد الجمعية الشرعية يقتضى التنقل في كل أسبوع إلى مسجد مختلف مما أدى إلى كثرة التعرف على الإخوة . وكان في ذلك خير كثير . قال تعالى : ﴿ لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ . لقد كنت قبل الالتحاق بالجمعية الشرعية أشكو ألم الفراغ ، وقد قال ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ، والفراغ نعمته إذا كان في طاعة الله وابتغاء مرضاته وكذلك الصحة إذا استعملت فيما يرضى الله ورسوله . وقد يُغن المرء ويضيع أجره عندما يصير فراغه هوا ولعبا ، وتصير صحته اعتداء على الضعفاء . وقد صدق الإمام علي - رضي الله عنه - إذ يقول : « إذا غرتك قوتك على ظلم الناس فانظر إلى قدرة العزيز الجبار من فوقك » . وجميل ما قاله الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تام عينك والمظلوم متعب يدعو عليك وعين الله لم تم

إن أغل شيء في هذه الحياة الأخوة في الله . وهل الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله . قال الصادق المصوم صلوات ربي وسلامه عليه : « من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان » وكل صداقة في الدنيا تقوم على معصية الله عداوة يوم القيامة . وكل أخوة تقوم على الحب في الله وابتغاء مرضاته أخوة كريمة يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ نعم لهم على منابر من نور . إنهم ليسوا أنبياء ولا شهداء لكنهم يغضبهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله تعالى . فوالله إنهم لعل نور وإن وجوههم لنور . لا يخافون يوم يخاف الناس ولا يجزنون يوم يجزن الناس ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل للكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

دعوة مستجابة

لما أكرمني الله بفقد البصر عوضني عنه كثيرا من نعمه التي لا تعد ولا تحصى فلقد دعوت الله في ساعة صفاء مع النفس وصدق مع القلب فت اللهم إن كنت استرجعت

منى سوهية البصر فاجعل أفئدة من الناس تهوى إلي ، فكان فضل الله عظيما . فقد جعل أفئدة صالحة تهوى إلي ، تملأ علي فراغي وتشاركني شدائد الأيام إذا صدمت ، وتداوي الجراح إذا التبت . وحق ، ما قاله النبي ﷺ : « فلينظر أحدكم من يخال » .

امتأنت العطلة الصيفية عملا ودرسا وتحصيلا . وإنني لا أنسى إحدى العطلات الصيفية التي قضيتها عاكفا على قراءة التفسير في كتاب التفسير الواضح للمرحوم الشيخ حجازي . فقد كنت أفضي الليل كله حتى أصل الفجر في قراءة هذا الكتاب الذي امتاز باليسر والوضوح ولبعد عن الغراب ، فإن مما ينقص الدعاة إلى الله أنهم لا يقرءون تفسير القرآن كله ، مما يؤدي بهم إلى عدم الإلمام بمواطن الاستشهاد ومواقع الأدلة . أذكر أن ضالبا الذي كان يقرأ معي التفسير سأل مدرس الذين في المدرسة الثانوية عن معنى قوله تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه : فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ . قال الطالب لأستاذه : كيف يظن رسول من رسل الله أن الله لن يقدر عليه !! أليس هذا اتهاما بالعجز جل الله عن ذلك وتعالى عنو كبيرا !! قال الأستاذ في الإجابة : ومن قال لك إن يونس كان رسولا !! وعلى الفور قال الضالبا لأن الله تعالى قال : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ فسقط في يديه ولم يجبر الأستاذ جوابا ، فقال للطالب : هل سلطك أحد على ؟ وانتهت المسألة !! إن المسألة التي نعيها في الأزهر أنه لا يعطى القدر الكبير من التفسير للطلبة ، فقد كنا ندرس نماذج من الآيات قد لا تتجاوز العشرين آية في السنة الدراسية . ومازلت أذكر أن أحد الشيوخ في كلية أصول الدين كان مقررا عليه أن يفسر لنا سورة المائدة ، فما فسّر منها سوى آيتين من أونها ، وعندما بدأ في تفسير الآية الثالثة - وهي قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ إلى آخر الآية ، ظل يتكلم عن الميتة حتى أوشتك العام الدراسي أن ينصرم ، حتى قال له أحد الضصة مداعبا : ياسيدي الشيخ أرجو أن تنتقل من تفسير الميتة إلى غيرها بسرعة ، قال الشيخ : وم يأتني ؟ قال الطالب : لأننا لو ظللنا أكثر من ذلك في تفسير الميتة لأكل الناس المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لأنهم لم يعرفوها ولم يدركوا معناها . أما الجميع فإنه يعرف الميتة . فليست في حاجة إلى مزيد بيان !!

إن قوله تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ﴾ سأل فيها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان الإمام الجليل عبيد الله بن عباس عليهم جميعا رضوان الله فقد : « يا بن عباس كيف أقرأ كتاب الله فعنتني موجة في بحر القرآن كادت تغرقني ، قال بن عباس : وم تكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ﴾ .

قال ابن عباس : هي من القدر ، يفتح القاف ويسكان الدال ، أى فظن أن لن نضيق عليه فلما ترك قومه مغاضبا كان جزاؤه أن التقمه الخوت وهو مكان ضيق ، فلولا أنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يعثون . من ثم كان نراما على الذين يضعون المناهج للأزهر أن يراعوا في المقام الأول العناية البالغة بتفسير القرآن الكريم حتى يستطيع الدعاة أن يجدوا زاداً طيباً ورصيلاً مباركاً فالخير كله في كتاب الله حفظاً وتفسيراً .

أمنية تحققت !!

كنت أتمنى من الله أن يمن عليّ بالنجاح بنسبة مائة بالمائة فقد علمنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله الفردوس الأعلى وأن الله يحب عبده الملاح . وتحققت تلك الأمنية في السنة الثالثة الثانوية فقد حصلت فيها بفعل من الله على تلك النسبة وانتقلت إلى السنة الرابعة .

وقد عودنا مولانا سبحانه وتعالى أن يهبنا النعم فنشكر ثم يختبرنا باغن لنصير . وفي السنة الرابعة أصيبت بمرض أدى إلى هزال شديد في جسمي كاد يهزم العافية في بدني ، ووصف لي الطبيب الدواء ولكن لم أكن أملك يومها ثمنه ، والدهر مدرسة أستاذتها الأيام والليالي . كان لي صديق يحرص على حضور حلقات العلم . أعلم أنه ميسور الحال ، سأكته أن يقرضني جنبها ، على أن أقوم بسداده أول الشهر ، ولكنه بكل صراحة اعتذر ، وكان اعتذاره بمثابة سهم صوّب إلى نفسي . وانصرفت كاسف اليأس . وإذا بي أسمع من بنادي عليّ . إنه أحد الذين يترددون على مجالس العلم بالمسجد : إنه الأخ عبدالقادر بائع الحضرويات ، لقد ألقى عليّ السلام وصافحني وسألني على الفور : مالي أراك هكذا ؟ وكأنه قرأ ما بنفسى من أمسى وأجبت عما أريده ، ودونما إعمال فكر أخرج حافظه نقوده وأقسم لأخذن ما يكفيني . كان ذلك الموقف على بساطته ذا دلالة ، فكم من صاحب يلقاك عنافاً ويقسم أنه لا يطيق لك فراخاً ، لكن حقيقته خلاف ذلك ، فقد يكون ملكاً كريماً في مظهره ، شيطاناً رجيماً في مخبره ، يلقاك بوجه أبى بكر وقلب أبى لهب .

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى ل الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ .

وما أجمل ما قاله الإمام الشافعي :

إذا المرء لا يلقاك إلا تكلفاً فدعه ولا تكثر عليه التأسفاً
ففى الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من يهواه يواك قلبه ولا كل من صافته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير في ود يجيء تكلفاً
ولا خير في خل يحون خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا
ويتكر عيشاً قد تقادم عهده ويظهر سرا كان بالأمن في خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق وفي يصدق الوعد منصفاً

عام حاسم

أقبل العام الدراسي الجديد ، وانتقلت إلى السنة الخامسة من القسم الثانوى بالأزهر ، وهو يمثل إتمام الدراسة الثانوية واستقبلته بقلب مفتوح ، وعقل يطلب المزيد من العلم ، ودعوت الله قائلاً في أول العام : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، ولقد تلقينا العلم في هذا العام على أيدى أساتذة من أساطين الفكر والمعرفة ، كانوا جهابذة العلوم ، وعياقرة المعارف . وما زلت أذكر منهم الشيخ « مصطفى الحديدي » الذى كان يدرس لنا علم تفسير القرآن العظيم . الذى بدأ العام بتفسير قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ . وبدأ يطرح بعض الأسئلة التى كان لي نصيب كبير في الإجابة عنها مما جعله يسألني عن اسمي ، وبما أدى بعد ذلك إلى أن أقوم بإعادة الدرس بعد أن يلقى . وكان بعد إلتقائى للدرس يثنى عليّ ثناء الجميل الذى كان ينزل على قلبي كأنه هالاب النور أو كنوز الدر المنتور ، وما زلت أذكر أستاذنا الفاضل « كامل شاهين » رحمه الله تعالى ، والذى كان يدرس لنا البلاغة والأدب ، ولقد تعرفت عليه عندما ألقى علينا درساً في علم المعاني ، وفى باب الفصل والوصل ، وعندما طلب منا أن نقوم أحدها فبلخص الدرس فأجمع الإجابة على أن أقوم أنا ، وكانت مفاجأة للأستاذ أن ينعقد هذا الإجماع على طالب ، ولكن زال العجب عندما ألقى الدرس بتوفيق من الله مما جعله يسند إلى أبوابها في علم المعاني كنت ألقها على الطلبة قبل أن بشرحها الأستاذ ، وكنت بعد إلتقائها أترك له مفعد الأستاذية الذى كان يأفد إلا أن أجلس فيه ، تواضعا منه . وقد كان يحجلنى بهذا التواضع عندما يقول للطلبة مداعياً : أظنكم لستم في حاجة إلى شرحي . وقد كانوا يجمعون على أنهم قد فهموا الدرس فهما جيداً . ولن أنسى فضيلة الشيخ « محمد يوسف » الذى كان يدرس لنا النحو والصرف ، دراسة جعلتني أعشق علوم العربية وأعتز بها . فأرحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين ، فقد أناروا لنا الطريق ، وسلكوا بنا مسالك المعرفة حتى صاروا جديرين بقوله ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » . ويقوله الكريم : ﴿ تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة وتواضعوا لمن تعلمون منه ﴾ .

قال الإمام الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

قال عليه السلام : يؤق بالعالم والعابد يوم القيامة فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للعالم قف حتى تشفع فيمن أحسنت أدبهم . وقال الصادق المعصوم : يشفع للناس ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء .

شدة أعقبها تيسير !!

لما أوشك العام الدراسي أن ينصرم ، وكنت مضطرا أن أبحث عن مذاكرة معي في القاهرة ، وذلك لإلتزامي بأداء خطبة الجمعة في مساجد القاهرة ، جاءني طالب يسكن قريبا من مسكني وسألني هل أرتبط مع أحد للمذاكرة ؟ قلت له : لا . قال : هل لديك مانع أن تذاكر معافنحن متجاوران في المسكن . قلت له : لا مانع . قلنا وأنا متخوف لأنني قد وضعت تحت التجربة يوما فلم يكن على مستوى المسئولية ، فقد قال لشقيقي ذات يوم سأصحب الشيخ ذهابا ومجيئا هذا اليوم ، فإن كان وراءك شيء فاقضه وصحبتني في الذهاب إلى المعهد ، ولكنه في العودة تركني حتى انصرف الطلاب وظللت واقفا وحدي لا أتحرك خشية أن أصددم بشيء ومر وقت طويل وأنا واقف أمام باب المعهد ، وقد أمطرت السماء مطرا غزيرا . وسألت نفسي : أين المفر ؟ وساق الله إلي أستاذا كريما كان يدرس لنا « علم العقائد » وسألني برفق : ما أوقفك حتى الآن ؟ وأخبرته أن مرافقي لم يحضر ، وسألني عن مسكني ، وأصر على أن يصحبتني حتى البيت ، جزاء الله خيرا فإن من مشى في قضاء حاجة أخيه فكأنما اعتكف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات ، واعتكاف يوم واحد في مسجده الكريم يعادل الله به عن النار ثلاثة خنادق ، كل خندق أبعد مما بين السماء والأرض . هكذا كانت أخلاق علمائنا : أخذوا العلم مقرونا بالعمل فكانوا علماء عاملين ، وكانوا عابدين زاهدين ، وكانوا أوفياء مخلصين ، درسوا لنا العلم على أنه رسالة ، فأدوا هذه الرسالة بعيدا عن قيود الوظيفة ، فكان خالصا لله . وقد تخلقوا بأخلاق الأنبياء عندما أعطوا الكثير ابتغاء ما عند الله من الخير الوفير . لقد صانوا العلم فصانهم الله ، وأعزوه فأعزهم الله ، وعملوا به فرغهم الله .

لما عرض علي ذلك الطالب أن يلازمني في المذاكرة ، تذكرت موقعه هذا عندما وعدني بالحضور فأخلف ، ولم يكن له عذر في ذلك الإخلاف فقد أخبرني بعض من يعرفه بأنه كان جالسا على مقهى يلعب الترد وإن كان هو قد كذب علي عندما قدم حجة واهية بأنه كان يشتري بعض الحاجات من الغورية . لكن ماذا أفعل وأنا كما يقول القائل :

إذا لم تكن إلا الأسته مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

وكما يقول النبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صدائه بد

اتفقت أنا وهو على أن نذاكر يوما بمسكننا في دير الملاك ويوما في مسكنه بمنشية الصدر . وبدأنا نفذ الجدول الذي رسمناه ، فقال لي : إن لدى فكرة سأطرحها عليك . قلت خيرا إن شاء الله . قال : نقسم المواد قسمين : نبدأ القسم الأول بمذاكرة المواد التي تحتاج إلى شرح مثل : التفسير والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة . أما المواد التي تحتاج إلى قراءة فتؤخرها إلى حين الفراغ من تلك المواد ، وكان يقصد بهذه المواد الأخرى : الحديث والفقه والأدب والتاريخ وفهمت من عرضه هذا أن نبدأ بالمواد التي يحتاج فيها إلى شرح على أن يذاكر بعد ذلك المواد التي تحتاج إلى قراءته وحده وهذه المواد أحتاج إليها من حيث القراءة . لكنني غلبت حسن الظن بعد ما دعوت الله قائلا : اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك . وبدأنا في مذاكرة المواد التي تحتاج إلى شرح . وفي الليلة التي فرغنا فيها من مذاكرتها وبيننا هو يصحبتني من بيته إلى بيتي ، وعندما اقتربنا من البيت وبعد أن انقضى على مذاكرتنا شهر كامل ولم يبق على الامتحان سوى عشرين يوما . فاجأني بقوله : « أحب أن أقول لك : أود أن أذاكر وحدي » . وحدث ما كنت أتوقعه ، لكن الذي زاد الجراح ألما أنني لما سألته : ولماذا قررت أن تذاكر وحدي أجاب بكل افتراء : لأنني لم أستفد من مذاكرتنا معا !! قلت وأنا المغيظ المحق : وكيف طوعت لك نفسك أن تضع شهرا والامتحان على الأبواب ؟ وكيف تقول هذا أو تدعيه وأنا الذي كلما ذكركنا درسا سألتك فيه ، فتأني إجابتك سديدة وصحيحة ؟ فلم يجر جواباً . وعلمت أنه لا جدوى في الكلام . فقلت : حسبي الله ونعم الوكيل !! والحق أنني لم أكن نادما على ما حدث على الرغم أنني بذلت معه أقصى طاقتي في شرح المواد وكيف أندم على خير فعلته ؟ والصادق المعصوم يقول : اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله .

ازرع جميلا ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرع
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زرع

أشهد أنني دخلت البيت حزينا أغدو ، وأروح كالظير يمشي من الأم وهو مذبح ومضت هذه الليلة ثقيلة وثيدة ، لولا ما كان يكت بها من دعوات توجه بها إلى الله أستغيت به في كشف الضر ، فهو الذي وحده يجير المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . وطلع النهار فجلست في فكر وحزن وسألته أمي : ما يحزنك ؟ وأخبرتها بما حدث ، فقالت لي بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : لا تحزن فإن الله سيزيل هذا الكرب ، ودعت لي بدعوات صادقت ساعة الإجابة ، وما هي إلا لحظات وطرق الباب طارق ، وقلت : من ؟ قال : أنا عبد المنعم ، وكأني عبرت على هدف الذي كنت أنشده . إن عبدتكم هذا كان زميلا لي وجلسنا سويا في لحظة ضمت قطعه بسؤال : هل أنت مرتبط بأحد في المذاكرة ؟ قلت لا . قال : فهل لديك من مانع من مذاكرتنا معا ؟ قلت : لا . قال : على بركة الله . وقطعنا الأيام العشرين نصل الليل بالنهار حتى أدبنا ما علينا والله لا يصعب أجر من أحسن عملا . وهكذا مرت الشدة عندما جاء التيسير :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضائق فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

في يوم الامتحان

في صبيحة هذا اليوم صحبني شقيقي عبدالستار إلى لجنة لامتحان بالمعهد ، وكان الامتحان شقويا للمكفوفين ، وكانت اللجنة مكونة من أعضاء ليسوا من العاملين بمعهد القاهرة إنما جاؤوا من معاهد أخرى لأنها شهادة ، وبدأنا الامتحان بالتفسير فكانت فاتحة خير ، فقد أعجب الشيوخ بإجابتي في تفسير كتاب الله حتى قام أحدهم يدعو أعضاء اللجان الأخرى ويقول لهم : تعالوا لتسمعوا العلم من منابه الصافية ، كنت ساعتها قد أفاض الله علي في آيات من سورة الملك .

واتقنتا من التفسير إلى غيره من المواد وبيننا نحن في هذا الصفاء العلمي ، وذلك السمو الروحي ، ووق جو التمسيد يدفء اليقين ، بيننا نحن كذلك . إذ دخل علينا شيخ المعهد ، وأراد أن يلقى طرفة يمزج بها مع النجاة لكنها بالأسف كانت فظافة في القول ، فقد جرحني في أمر لا يمس فيه . إذ قال : ماذا فعل هذا الأعمى معكم ؟ وعلى الفور رأيتني كالظير المجرخ بل الذبيح ، فإن هذه الكلمة لا أطيق سماعها وقد أمرنا الله تعالى أن نتأدب مع خلقه خاصة فيما خلق الله ، على سبيل الفور قلت له : وهل أنت الذي أبصرت نفسك ، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . وحضرتني في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه ، وقد كف بصره :

إن أذهب الله من عيني نورها ففي فؤادي وعقلي منها نور
عقلي ذكي وقلبي ما حوى دخلا ولي فمي صارم كالسيف مشهور

نعم إن الإنسان لا يُقاس بالبصر ولا بسلامة الأعين ، وإلا فقد خلق الله الحمار أوسع المخلوقات عينا . لقد كان سعد بن أبي وقاص رجلا مجاب الدعوة ولكنه لما فقد بصره على كبر . قال له أبناؤه : سل الله أن يرد عليك بصرك فأنت مجاب الدعوة . فقال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : أستحي من الله أن أسأله ذلك ولكني أسأله أن يدر لي ذلك عنده في الآخرة . إن الله تعالى إذا ابتلى عبده يفقد حبيته أي عينيه ، فصبر لم يجد له جزاء إلا الجنة .

يعرفني الأعداء والعيب فيهم وليس يعيب أن يقال ضريب
إذا أبصر المرء المروءة والوفاء فإن عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة وإني إلى تلك الثلاث فقير

﴿ وعمى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ . وقد يكون الخير كامئا في الشر . لقد سألتني أحد أعضاء اللجنة : لماذا استأت من هذه الكلمة ؟ وسألني سؤالا عقب به على هذه الكلمة فقال : أتعب أن تكون مبصر العينين عاصيا لله ؟ أم مكفوف البصر طائعا لله ؟ وأجبت عن هذا السؤال إجابة ضافية وافية نابعة من يقين صادق وعقيدة راسخة قلت : إن قضاء الله لا يُقابل بغير التسليم وليس له عُدة سوى الصبر الجميل وإن طاعة الله لا بعدها شيء في الأرض ولا في السماء ، فالعز كل العز في طاعته والذل كل الذل في معصيته . واستشهدت بقوله جل شأنه : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يكفينا ربهم بإيمانهم ﴾ ولم يقل تعالى : « يهديهم بأبصارهم » بل إن هناك قوما قال الله تعالى في شأنهم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها ، وهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ .

وذكرت في ذلك المقام قول رسول الله ﷺ : « اتق المخارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وذكرني أيضا قول الحسن البصري رضي الله عنه وقد سُئل أي الأيام عندك عيد ؟ فقال : « كل يوم إلا أعصى الله فيه فهو عيد ،

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب غريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولاخير فيمن كان لله عاصيا

قال عضو اللجنة تعقيا على هذا الكلام ، اكتفيتنا بهذا السؤال في علم التوحيد . وتسلست الأسئلة بعد ذلك في بقية العلوم وتبعها الأجوبة ، وتحولت كلمة شيخ المعهد من

يُلجأ إلى عذب فرات سلسيل ومن يجمونة ملحمة إلى شراب حلو لذيد وفرغت من الامتحان ، وكانت ساعة طيبة يوم أخيرني أخي بظهور النتيجة ، وقد أكرمني ربي عندما من عليّ بالتفوق فكان ترتيبى الأول على طلبة الشهادة الثانوية ، حيث حصلت على نسبة مئوية تقدر بتسعة وتسعين .

في كلية أصول الدين

استخرت الله تعالى وقدمت أوراق في كلية أصول الدين ، فقد اقتنعت بها ، إذ أنها تحوى على زاد عظيم لكل داعية إلى الله فقد اشتملت على التفسير والحديث والعقيدة والفلسفة وعلم النفس والتاريخ واللغة العربية وإحدى اللغات الأجنبية .

وأقبلت الدراسة وأقبلت عليها بقول حسن ونفسي راضية ، لكن كان يكدر عليّ هذا الصفو ، ذلك الشيخ الرهيب الذى عانيت منه من قبل ، وهو البحث عن صديق أقيم معه في الحى الذى به الكلية ، فإن الصديق « محمد الطوحى » الذى كنت أقيم معه حتى انتهاء المرحلة الثانوية . قد التحق بكلية اللغة العربية ، وكان بين مسكنى بدير الملاك وكلية أصول الدين بالخازندار بشر مسافة بعيدة تستغرق منى ساعة ذهابا وساعة إيابا . فمن لى بهذا العمل المرير ، بالإضافة إلى مرافق يذاكر لى . لقد أخذنا نجد فى البحث عن هذا الصديق الذى سألتمه فى ذهابى وأبائى ومذاكرتى . وأذكر أننى رأيت وجوها كان لى بها سابق عهد فى « معهد الإسكندرية » منهم من قد سبقنى بعامين ومنهم من سبقنى بعام ، ومنهم من صار معى . كما أذكر أن الكثير منهم كان لم يكن بينى وبينه مودة من قبل .

مهما يكن من أمر فقد عثرت على زميل بعد جهد جهيد ، واتفق مع شقيقى على أن نقيم سويا بغرفة بحى شبرا قريه من الكلية . وتنفست الصعداء ، وذهبتنا تنفقد حال الغرفة ومهما كان فيها من سوء فقد كان يشترك معنا ثلاث أسر فى ثلاث غرف أخرى ، بالإضافة إلى دورة المياه وما تعانين من ضغوط سحيقة . لكن كل هذا يهون أمام صعاب أخرى ولابد من دون لشهد من إمبر النحل :

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب

لكن كانت المفاجأة من هذا الزميل مريرة مرارة تفوق الخنظل ، لقد افترشت الأرض بفراش بحول بينى وبين برودة بلاطها وذهب الزميل فأحضر الغداء ، وعندما أرخى الليل سدوله ، قال لى الزميل : أريد أن اشترط عليك وأبين لك كيف تكون معاملتى لك . قلت له : قل ما تشاء سمع . قال : أولا : أن تشتري كتب على حسابك مقابل قراءتى لك . قلت له :

موافق - وذلك على الرغم من ضيق ذات اليد - قائلا : لا ترتبط بوجودى منك فى الغرفة طول الوقت . فقد أخرج ولا أعود إلا منتصف الليل . قلت له : ثم ماذا ؟ وكانت ثالثة الأساقى أنه قال : ولا ترتبط لى فى الذهاب إلى الكلية . قلت : ما معنى هذا ؟ وأنا ما جئت معك إلا من أجل الذهاب إلى الكلية ؟ قال : إن شئت فاذهب وحدك أو استعن بأحد غيرى . وذكرنى كلامه هذا وخاصة الشرط الثالث ذكرنى بطرفة :

قال القائد للجندي : لماذا لم تطلق النار على العدو عندما مررت بك ؟ قال : معنى من ذلك واحد وعشرون سببا . قال : اذكرها قال : أما السبب الأول : فهو أنتى لم يكن معى ذخيرة . قال له القائد : كفى . فماذا بعد ذلك من أسباب تذكر ؟ كفى بهذا السبب وهذا الرميل يكفى أنه قال لى : إن شئت فاذهب إلى الكلية وحدك أو استعن بغيرى ... مكثت مع هذا الرميل من يوم الاثنين إلى يوم الخميس . مرت ساعات هذه الأيام وثيدة ثقيلة بطيئة ، كأنها سسله من الجبال الرواسخ . فقد نفذت مخططة فكان يتركى وحدى أعانى ألم الوحدة وعدم المذكرة بالإضافة إلى شريط من ذكريات مضت . كان يخرج من بعد انتهاء اليوم الدراسى فلا يعود إلا فى المربع الأخير من الليل وهكذا حتى كنت أسأل الله أن يحول بينى وبينه ولو كنت الدراسة فى هذه الكلية سترفعتى إلى ما فوق قبة الفلك ، وجاءنى شقيقى « عبدالستار » يوم الخميس ليصحبنى إلى مسكننا بدير الملاك حيث كنت أقضى ليلتى الجمعة ونسبت وذهب فى صبيحة يوم السبت إلى الكلية ، فكنت أصلى المغرب والعشاء يوم الخميس فى أحد مساجد الجمعية الشرعية حيث ألقى الدرس بعد المغرب ثم أخطب الجمعة ، ثم أذهب يوم السبت إلى الكلية . وسألنى أخى : كيف الحال مع هذا الرميل ؟ وأخبرته بأن الاستمرار مع ضرب من ضروب المحال : فكان لابد من البحث عن زميل آخر . لكنى أذكر أن هذه الأيام الأربعة التى قضيتها معه لفتتنى درسا فى الحياة لا أنساها وأعطينى موضوعا لخطبة الجمعة أذكر أننى ما خطبت خطبة أشد تأثيرا من تلك الخطبة . كان موضوعها : « قد يكون الضلاق نعمة » فقد افترضت لو أن ما كان بينى وبينه عقد زواج مؤبد لا طلاق فيه . كيف سيكون العيش ؟ وإلى أى نهاية تنتهى الحياة ؟ وبينت حكمة الله فى مشروعية الطلاق فى الإسلام وإن كان أبيض الحلال ، وبينت عظمة الله فى تشريع الأحكام ، وكيف قال سبحانه : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ وكيف جاء هذا القول الكريم فى آية من آيات الطلاق قال الله فيها : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . ولا تتخذوا آيات الله هزوا . واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ .

نعم . ما من شيء شرعه الله إلا وله حكمة بالغة وإن تخفيت عن بعض الناس . إلا أنها
كامنة في أحكامه الله .

كم من نعمة لا يُستغل بشكرها لله في طي المكاره كامنة

نعم :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

حقاً إن هذه الأيام الأربعة التي قضيتها مع هذا الزميل لتنتي درساً في الإسلام مفاده
أن الله تعالى شرع الطلاق ليكون دواءً لداء استعصى علاجه ، واستعمال الدواء في غير الداء
خطأ وترك الداء بلا دواء خطيئة . فما أعظم الإسلام إذا شخص الداء !! وما أروعها إذا وصف
الدواء !!

صديق آخر

ليس من السهل العثور على صديق صدوق ، فإذا رزقته فقد اصطفاك مقسم
الأرزاق . قبل لحكيم : أيهما أفضل لديك أخوك أم صديقك؟ فقال: أخى إذا كان صديقى .

نعم : إن المعيار الحقيقي للصدقة الشدائد حتى قال أحدهم :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذ ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك

وصديقك هو من يُصدِّقك لا من يُصدِّقك ، كما أن صديقك من يصرح بعيبك . كان
عمر رضى الله عنه يقول : « رحم الله امرأً أهدى إلى عيبي » وكان عمر بن عبدالعزيز يقول
لصديق له اسمه عمر بن مهاجر: « يا عمر إذا رأيتنى ضللت الطريق فخذ بمجامع ثوبى وهزنى
وقل لى : اتق الله يا عمر فإنك تتموت » . ولئن نستقيم الحياة بدون صديق ، فقد قال علماء
الاجتماع : الإنسان مدنى بطبعه .

سمع رسول الله ﷺ على بن أبى صاب يدعو الله ويقول : اللهم أغنى عن خلقك
فقال له : بل قل : اللهم أغنى عن شرار خلقك . أتدرى ما شرار الخلق؟ قال :
لا يارسول الله . قال : الذين إذا أعطوا متوا وإذا منعوا سخطوا . تلك ملاح لشخصية
الصديق ولقد رزقتى الله بعد البحث الطويل بأخ كان زميلاً لى في المرحلة الثانوية وانفقتنا على
أن نقيم سوياً في مسكن كان قد استأجره فرياً من الكلية . كان هذا الصديق ثرياً لذا كان يهتم
كثيراً بمأكله ومبسه ولو أدى ذلك إلى صباغ الوقت الذى كنت في ميسس الحاجة

إلى أن أفضيه في المذاكرة ، فكنا مثلاً نخرج من الكلية في الواحدة والنصف بعد الظهر فيضيع
منا نصف ساعة لشرءاء طعام الغداء ، ثم يبدأ في طهي الطعام فينتهى منه بعد العصر ثم نفرغ
من تناول الطعام وقد أوشك المغرب في يوم الشتاء أن يؤذن ، فماذا بعد الأكل الذى يمتاز
بالدسم إلا أن يغزو النوم الجفون .

وصت الخال عنى هذا المنوال : أكل فنوم فيقظة لتناول أكوها من الشاى ثم نفتح
الكتب نذكر فيستأذن صاحبنا لقضاء بعض حوائجه فلا ينتظم عقد المذاكرة أكثر من نصف
ساعة ثم يحضر صاحبنا وقد حمل طعام العشاء . وبعد العشاء يأتي النوم في ليالى الشتاء الباردة
عندما يسرى الدفء في الأوصال .

وتنصف لغام المراسى وسألت الله أن ينقذ الموقف فما جئت وما سمعت إلى هذه
السكى أكلا أو نالما . إنما كان الهدف الرئيسى : المذاكرة وتحصيل العلم . فانضم إلينا
صديق آخر كان من أقصى الصعيد وكان محبا للعلم . فكان سرورى به عظيماً فقد أجابيت
نفوس وعكفنا عن تحصيل العلم . وكانت النتيجة خيراً ، ظللت مع هذا الصديق حتى السنة
النهائية في كلية أصول الدين فاضطرت أن أبحث عن صديق يكون أكثر مذاكرة ففقد فارقتنا
الضال صعيدى إلى زملاء آخرين .. أذكر وأنا في السنة الثالثة أن كان يدرس لنا الفلسفة
الشيخ عبدالحليم محمود ، رحمه الله تعالى ، وكان مقرراً علينا الفلسفة الهندية وفيها باب عن
تناسخ الأرواح وعقيدة هود في التناسخ ، وحدث أن الشيخ طرح علينا هذا السؤال : من
منكم يستطيع في لحظة غداً أن يشرح باب التناسخ؟ وكان ذلك من قبل أن يتحدث فيه .
وأشار انضاب عليه أن أقوم أنا بشرح هذا الباب . ولم تكن تلك المهمة سهلة ، وكان بينى
وبين إلقاء تلك الغاضرة ثلاثة أيام ، حاولت خلالها أن أستعين بأحد الشيوخ في شرح بعض
العوامض ، وذهبت إليه في بيته ، فلم يكن موجوداً ، أيقنت وقتها أنه لا مناص من أن أقرأ
الموضوع مرة ومرة مستعينا بالله تعالى وحده ، فهو الذى دعاه نبيه موسى بتلك الدعوة :
﴿ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ . ومن
المعلوم الثبوت أن العبد إذا عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم وأن طاعة الله تورث
لعبد معرفة ونورا وفرقانا يهديه سواء السبيل .. ذكر العلامة ابن سينا ، أنه كان يقرأ مسألة
في إحدى كتب الرياضة فأعجزته وتعمش عليه حلها فطوى الكتاب قال : وذهبت
إلى المسجد لأصل العصر ، فلما فرغت من الصلاة وجدت بباب المسجد ورأقا يبيع الكتب ،
فقدمت كتاباً يبيعني إياه ولم أكن في حاجة إلى شرائه ، ولكنه قال لى : ياسيدى إنى في حاجة
إلى ثمن هذا الكتاب لأشتري به طعاماً فاشترت به لا بقصد قراءته ، إنما لسد حاجة بائعه ، ولما
جلست أمام الكتب فتحت هذا الكتاب فإذا هو نفس الكتاب الذى أعجزتني مسألته
الرياضية . لكننى لما قرأته . فتح الله عنى كل ما فيه بما كان مستعصياً على من قبل فعلت أن

أفعال الخير تفتح كنوز المعرفة ، فما أجل ما قاله رب العزة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ وما أعظم ما قاله مولانا جل ذكره : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ .

لقد استعنت بالله تعالى وألقت المحاضرة التي كانت تدور حول تناسخ الأرواح في الفلسفة الهندية وأثبتت بطلانها في ضوء الشريعة الإسلامية ، كما أشرت بطلان تحضير الأرواح مستندا إلى قوله جل شأنه متحدنا عن الروح : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعوا نسيها إن كنتم صادقين ﴾ .

هنا أسلوب عرى مبين يتحدث الله تعالى به البشرية جمعاء أن ترجع الروح بعد خروجها ، فكيف يدعى بعض المفترين على الله كذبا أنهم يستضعفون تحضيرها في سلة من السلال والله جل ذكره فصل منازلها بعد خروجها فقال : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان ووجه نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ .. ثم أكد هذا كله بقوله : ﴿ إن هذا هو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ﴾ . وكيف يستطيع أحد أن يحضرها من عالم البرزخ والله تعالى ينزل : ﴿ ومن وراءهم برزخ إلى يوم يعثون ﴾ والبرزخ هنا هو الحاجز الزمني ، وقد جعله الله هكنا إلى يوم البعث . وكيف يستطيع أحد أن يخرجها من نعيمها والله تعالى يقول : ﴿ لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾ وكيف يستطيع أحد أن يخرجها من عذابها والله جل شأنه يقول : ﴿ يريئون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ لقد ضلت الفلسفة الهندية ضلالا بعيدا عندما اعتقدت بتناسخ الأرواح وعماضت غمار معركة لا تملك سلاحها . وهل هناك أزمة في الأرواح حتى تحمل الروح التي خرجت من إنسان في جسد صفر ويد؟! وهل بلغ من العبث بالأمور القبيحة أن الروح إذا كان صاحبها شقيا حلت في جسد كلب أو حيوان شقي؟! سبحانك ربى بامن قلت ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وهل اطلعوا على الغيب فعلموا أن عدد لوني يساوى عدد المواليد حتى تخرج الأرواح من أجسام فتحل في أجسام أخرى مساوية لها في العدد ، ثم ماذا يقولون في الحروب وقد يبلغ عدد القتل مئات الألوف بل عشرات الملايين كما حدث في الحربين العالميتين أين تذهب هذه الأرواح إذا لم تجد أجساما مساوية لها في العدد؟! إن هذا هو الفرق بين الفيلسوف وعالم الدين ، والفيلسوف يتبع في بحثه عقله وهو ، ورجل الدين يتبع في بحثه وحى الله وهده . إن محيط ما وراء الصبغة أعنف من أن يبحر عنه سباح ماهر . لذا أرادوا أن يضربوا مثلا للفيلسوف وعالم الدين نحاء المثل في صورة بحر جضم فيه معترك من الأمواج

تخرقه رياح هوج والفيلسوف يعبره على بحر من الحشب وعالم الدين يعبره في سفينة منبعة . فأى الفريقين أحق بالأمن .؟

لقد ذكرت كل هذا الكلام في محاضرتي التي ألقيتها على إخوان الطلبة ، وكان يقف بجانبى الشيخ عبدالحليم محمود ، رحمه الله . وما أن فرغت من إلقائها حتى كان ثناء الرجل عني قد أحجل تواضعي .

موقف عجيب

حدث هذا الموقف وأنا في السنة الثالثة من كلية أصول الدين ومع ذلك الصديق الذي كان كريم الأخلاق قليل المذاكرة . فقد انصرف الطلاب كعادتهم قبل الامتحان بشهر ونصف أو يزيد ، كل إلى بلده ليكف على مذاكرة المواد التي سيدخل فيها الامتحان . وانصرف صديقي هذا إلى بلده ولم أكن معه وذلك لأنه لم يوجه إلى الدعوة بالذهاب معه كما كان يفعل الأخ محمد الطوشي ، كما أنني لم أكن راغبا في ذلك نظرا لقله مذاكرته . ثم لأسى مرتبط بخطبة الجمعة في مساجد القاهرة التابعة للجمعية الشرعية . كل هذه الأسباب جعلتني لا أفكر في السفر ، وقد تعجب إذا ما قلت لك إن الذي كان يذكر معي شاب يعمل بالعا للخضروات في سوق قريب من المسجد الذي كنت ألقى فيه دروس المساء يوم الخميس من كل أسبوع . وكان يصحبني من بيتي إلى المسجد بصفة منتظمة . لكنني فوجئت بصديقي هذا قبل الامتحان بعشرين يوما قد مر في في مسكني بدير الملاك وعرض عني أن نذهب معا إلى المسكن الذي كان يجاور الكلية بشبرا حتى نذاكر سويا إلى أن يأتي الامتحان ووافقت لكن على وجل ، فإن الامتحان يوشك أن يطرُق الأبواب وأخشى ألا نذاكر كما هي العادة بل أنسى ما ذاكرت . وأنا دائما في أموري أسلم الأمر لله وأنا واثق من أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويختار وكل فعله خير .

ما مسنى قدر بكره أو رضالا اهتديت به إليك طريقا
امض القضاء على الرضا منى بهإلى عرفتك في البلاء رليفنا

وكان ما توقعته ، ففى طريقنا إلى شبرا مر صديقي بأحد المطاعم فاشتري ما يسمى بعجينة الطعمية ، ثم ذهبتا إلى المسكن فقام بتخريط بصل كثيف أضافه إلى العجينة ثم أضاف إليها بعض البيض وصنع من ذلك الحليط أقراصا من أكل منها قرصا لا يفيق يومه . وشعرت كأني دخلت في دوامة عتيقة وتناولنا طعام الغداء من هذه الأقراص وعزنا النوم الحفوظ تمام كل منا في مكانه لا يبدى حراكا . وما أن استيقظت حتى شعرت بهساع الوقت فاستأذنته أن

يعيدني إلى مسكني بدير الملاك ، و عدت إلى مسكني هناك ، واستأذن هو ليلذاكر بقية الأيام وحده وأرسلت إلى « عبد العظيم » بائع الحضار ، وكان شابا صالحا يحفظ القرآن عن ظهر قلب وشعرت كأن القرآن بالنسبة إلي في حاجة إلى مذاكرة ومدارسة كما أخبر الرسول ﷺ في قوله : « مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعَقَّلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت » وكما أخبر في قوله : « تعاهدوا القرآن فإنه وحشي » .

وكأني كنت أنظر من بعيد لأرى ماذا كان سيحدث لو لم أتلو في هذه الأيام لقرآنه حفظا وتسميها . وقد كان ما أراه الله خيرا فكانت نقضي الساعات في حفظ القرآن حفظا جيدا . وجاء الامتحان وجلست أمام لجنة كنت على رأسها عالم صالح هو الشيخ « إبراهيم زيدان » رحمه الله تعالى . وبعد أن سألتني عن سمي قال لي : « أحفظ القرآن ؟ قلت نعم . قال : إن كنت تحفظه حفظا جيدا فإنه سيشفع لك في كل العلوم التي سأمتحنك فيها ، وإن كنت لا تحفظه فلن تشفع لك المواد بعد ذلك . ونزلت هذه الكلمات على نفسي منزل السكينة . وبدأ الشيخ يسأل أسئلة في حفظ القرآن لا يجب عنها إلا ذو حفظ عظيم . وكثيرا ما سأل في سورة الأعراف والتوبة ويونس وهود ، وكان من فضل الله تعالى علي أن شرح صدرى ويسر أمرى وحل عقدة من لساني ، فانسابت آيات القرآن كما ينساب الماء من قمم الجبال ، فسُر الشيخ بذلك سرورا عظيما ، فمرر بالمؤد بعد ذلك مرور النسيم وقت السحر ، فقد أخبرني بعد ذلك قائلا ، لقد شفعت لك القرآن في امتحان لدنيا وأرجو أن يشفع لك في امتحان الآخرة .

شهر رمضان

كان لرمضان ولا يزال وسيظل له وقع طيب في نفسي ونفسي كل مسلم إلا أني أذكر هنا ما كان لرمضان في نفسي من أثر وأنا طالب : كنت أخرج من مسكني بدير الملاك في الثامنة صباحا متجها مع مراقبي إلى أصول الدين بشرى سيرا على الأقدام ، فأصل في التاسعة إلا ربعا حيث تبدأ الدراسة في التاسعة . وفي الواحدة والنصف من بعد الظهر كنت أعود لأبي مسكني إنما إلى بيت الله تعالى في حى الشريعة في مسجد يسمى المدلول .

وهذا المسجد ذكريات طيبة في نفسي ، فقد كنت فيه أدعو إلى الله تعالى على بصيرة من عام ١٩٥٤ إلى أن عُيِّنَ بوزارة الأوقاف بعد تخرجي في عام ١٩٦٢ . وما زلت أذكر أنني قضيت في هذا الحى سنين كانت أفضل أيام حياتي في الدعوة فقد كان أهله رجلا والرجال قليل ، كانوا كراما ضييين . وما زلت أذكر أن جمعة خطبتها في هذا المسجد المبارك وكانت في موسم الحج ، ومن عادتي في الخطابة أنني تده بقدمة تشد السامع شد قويا مؤثرا

حتى أوقف الومضان وأنيب العاقل ، ويكون ذلك بمثابة استحضار للشعور فإن هناك من يجلس معي بحسبه وقلبه هناك كما قال شوقي :

لقد أنثك أذنا غير واعيقوزب مستمع والقلب في صمم

أذكر أنني بدأت هذه الخطبة وكانت في موسم الحج . بدأتها بأعرافى سألت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أفرأيت ربنا فنواجه أم بعيد فنناديه ؟ وإذا بسفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء يجوب الآفاقى ويظوى بأجنحته السبع الطبايق بقوله جل شأنه ﴿ وإذا سألت عبادى عنى فابى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ . ثم أخذت في تفسير هذه الآية وبيّنت ما فيها من أسرار بلاغية وقضايا تتعلق بالمعقبة لا أجد بأسا من الإشارة إليها : فهذه الآية « آية الدعاء » جاءت بين آيات الصيام لماها من ضياء يشع في هذا المجال ، فإن للصائم دعوة ما تُرد . والله تعالى حكمة بالغة في أن يقول ﴿ فابى قريب ﴾ بيننا نحن إذا استعرضنا الأسئلة الموجهة إلى رسول الله ﷺ وجدنا أن الله تعالى يلقنه الإجابة فيقول له : ﴿ قل ﴾ وإليك هذه المحاذير من الأسئلة : قال تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ﴾ الخ الآية ، ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ الآية . ﴿ يسألونك عن الحمر والميسر قل فيها إثم كبير ﴾ الآية ، ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل العفو .. ﴾ الآية .. ﴿ يسألونك عن البيامى قل إصلاح ثم خير .. ﴾ الآية .. ﴿ يسألونك عن المحيض قل هو أذى .. ﴾ الآية ، ﴿ يسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفا ﴾ الآية ، ﴿ يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند الله ﴾ الآية ..

فهذه الأسئلة التي وُجِعت إلى الصادق المعصوم جاءت الإجابة عنها مقترنة بلفظ قل . أما هذه الآية الكريمة « آية الدعاء » فقد تهردت من لفظ قل وجاءت الإجابة مباشرة من الله تعالى بلفظ ﴿ فابى قريب ﴾ وهذا باب عظيم من أبواب العقيدة يفيد يقينا أنه لا واسطة بين العبد وربه ، بل كما قال جل شأنه ﴿ ولقد خلقنا الإنسان وتعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وهو معكم أين كنتم ﴾ وكما أخبر مبعوث العنابة الإلهية « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » .

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفارج الله
الأس يقطع أحيانا بصاحبه	لا تيأس فإن الكافي الله
إذا بليت ففق بالله وارضى به	إن الذى يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزع عن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحد	فحسبك الله في كل لك الله

ثم تحدثت بعد ذلك عن السر في قوله تعالى : ﴿ إذا دعان ﴾ فالمعلوم أن قوله تعالى : ﴿ أجب دعوة الداع ﴾ يفيد أنه سيدعو ، فما السر في ﴿ إذا دعان ﴾ نعم إن هناك سرا عظيما في التعقيب بهذه العبارة ذلك أن قوله تعالى : ﴿ إذا دعان ﴾ يفيد إذا دعاني أنا لا غيري ولولا ذلك لقال : « إذا دعا » . ثم إن قوله تعالى : ﴿ إذا دعان ﴾ يفيد معنى قوله جل شأنه في الحديث القدسي الجليل (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غير تركته وشريكه) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إذا دعان ﴾ يفيد معنى الظرفية الزمنية في « إذا » أي أنه سبحانه يستجيب الدعاء وقت الدعاء . ثم إن التعقيب بقوله جل شأنه ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ﴾ جاء في غاية الدقة لمناسته لقوله جل شأنه ﴿ فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ أي كما أجبتهم فليستجيبوا لي .

ويعد أن فرغت من إلقاء هذه الخطبة ، كانت حفاوة المصلين في قد أحججت تواضعي فهذا أول لقاء لي بهم ، وأشهد أنني قضيت في المسجد ستين عددا ، وكانت فيه نفحات مباركة ، وكان من فضل الله على أن هذا المسجد لما ضاق بالرواد بيننا أربعة أدوار ، وكان لاغنى عن الصلاة في الشوارع المحيطة به يوم الجمعة ، وكانت نفحات هذا المسجد تنجل أكثر وأكثر في رمضان . فكنت إذا فرغت من الدراسة في الكلية أعود إلى هذا المسجد قبيل العصر في رمضان وبعد صلاة العصر أجلس بين المصلين فألقى الدرس اليومي من بعد صلاة العصر إلى اصفرار الشمس ، وأذكر ذات يوم في رمضان أن تكاثرت أسئلة المصلين أثناء الدرس فاستمعت إليهم جميعا وكانت تزيد عن العشرين سؤالا . ومن بركات هذا المسجد أنني أجبت عنها جميعا سؤالا وبالترتيب كأني أمام إحدى لجان الامتحان . ثم نذهب بعد الدرس نتناول طعام الإفطار على موافد الكرم عند إخوان امتلأت قلوبهم بحب الله ورسوله . وهل الإيمان إلا الحب في الله؟ وبعد أن أصلى المغرب أتوجه إلى كوبري القبة لأدرك صلاة العشاء في مسجد هناك كانت تغشانا فيه الرحمت وتنزل علينا السكينة وتحفنا الملكة عسى الله تعالى أن يذكرنا في ملأ خير منا ..

كنت أصلى العشاء والقيام وأقرأ في القيام جزءا كاملا كل ليلة ويتخلل صلاة القيام درس من العلم يستمر نصف ساعة . كان يوم هذا اسجد شباب طاهر من طلبة الجامعة ومراحل التعليم المختلفة إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منتورا . كما كان يحفه شيوخ بررة تعرف في وجوههم نضرة النعيم . لقد أسس هذا المسجد على تقوى من الله ورضوان . قام على تأسيسه رجل طيب القلب هو « الحاج على سلامة » وحمل هذا المسجد اسمه أسأل الله أن يبيح عليه ويسكنه فسيح جنه .

كنت أعود بعد صلاة القيام إلى مسكني بدير الملك وقد أوشك ليل القاهرة أن ينتصف . وما هي إلا سويقات ويأتي وقت السحور فصلاة الفجر فشروق الشمس فيوم جديد ينادي فيه المنادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

غدى سيميح أمسى لا يعارضني في ذلك حي وأمسى لن يصير غدى
يا ابن آدم :

ديناك ساعات سراع الزوال وإنما العقبى خلود المال
فهل تبيع الخلد يا غافلا وتشتري دنيا المنى والضلال
عش راضيا واترك دواعي الألم واعدل مع الظالم مهما ظلم
نهاية الدنيا فناء فعش فيها كريما واعتبرها عدم
ويافوادي تلك دنيا الخيال فلا تنو تحت المسموم النقال
سلم له الأمر فمخو الذي خطت يد الأقدار أمر محال

ذات صيف

حدث ذات صيف وأنا طالب بالمرحلة النهائية أن صحبني بعض الإخوة الذين عرفتهم في المساجد إلى قربهم لقضاء بعض الوقت . وذهبتنا إلى هناك . وعند صلاة العصر ذهبتنا إلى مسجد القرية وكان به إمام قد نيف على الستين من عمره . ومن الذين تلقوا علومهم أيام كان الأزهر يدرس لأبنائه في كتب صفر قد امتلأت بالفناقل والفناظر والفهفات . والفناقل هي ما تراه في كتب الأصول فإن قيل كذا قلنا كذا . والفناظر ما تراه في الكتب من قولهم « فيه نظر » والفهفات قولهم « وفيه ما فيه » . لقد كانوا يقرعون المبسوط من الكتب فيخلصون منه إلى الوسيط ، ويقرأون الوسيط فيخلصون إلى الوجيز فأصبح الأزهر اليوم وقد تحول إلى ملازم أتنية ورشيقة ومغلقة بغلاف براق . أصبح أبناؤه يدرسون القشور ويقرعون الوجيز فلا يخلصون منه إلى شيء .. صليت العصر وراء هذا الإمام ؛ وما إن شعر المصنون بحضوري حتى طلبوا مني أن ألقى عليهم درسا في العلم ، فاستأذنت الإمام فأذن لي مشكورا . وكنت قد تعودت إذا وُجدت في مكان لأول مرة وأردت الحديث أن أشرح لهم حديث جبريل الذي وجه فيه أربعة أسئلة إلى النبي ﷺ : سألته فيه عن الإسلام والإيمان والإحسان ومتى الساعة؟ فقد اشتمل هذا الحديث على أصول العقائد وشعائر العبادات ومبادئ الأحكام ومناهج السلوك وقواعد النظام .

وما أن بدأت أشرح الحديث الشريف حتى بادرنى إمام المسجّد بسؤال قال فيه :
 إن في القرآن الكريم آية اشتملت على أمرين ، وخبرين ونهيين ، وبشارتين . فخيرني ماهي ؟
 ووقع السؤال على نفسي وقعا عجيبا لأنه لم يكن له أي مناسبة بما أقوله في شرح الحديث ،
 لكنه في نفس الوقت نزل من نفسي منزل الرضا إذ كنت أعرف الإجابة عنه فقد حدث ذات
 يوم أن ذهب صديقي لشراء بعض الأطعمة وبعد أن فتح الورقة التي نُفِت فيها الأطعمة قال
 لي : أتدرى ماذا نُكِبَت في هذه الورقة ؟ وبدأ يقرأ : ﴿ وَأَوْحِينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ
 فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ . وَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ
 الْمُرْسَلِينَ ﴾ ثم قرأ بعد ذلك عبارة تعقب على الآية الكريمة تقول : « ومن عجب الأمر
 أن هذه الآية اشتملت على أمرين وخبرين ونهيين وبشارتين ، فالأمران هما : أرضعيه وألقيه .
 والخبران هما : أوحينا ونخفت . والنهيان هما : لا تحزني ولا تحزني والبشارتان هما : إنا رادوه
 إليك وجاعلوه من المرسلين .

لكنني لما سألتني الشيخ هذا السؤال على مسمع من الناس لم يكن على شيء من أدب
 الإسلام ، فلو لم أقرأ تلك الورقة لكان في ذلك إحراج وأي إحراج وقد سبى الإسلام عن تفسير
 الوجه فقد قالوا حتى في النصيحة : من نصحك بينك وبينه فقد نصحك . ومن نصحك
 على ملاء من الناس فقد فضحك . لماذا كان يقصد السائل من سؤاله هذا ؟ لو كان يطلب
 الفهم بهذا السؤال لكان ذلك يبني وبينه بعد انقضاء الدرس . علما بأنه يعلم الإجابة عنه .
 لكنني لست بالخبّ ولكن الحب لا يغبني (أي لست ليثما ولا أسمع للكلمة أن يغبني) .
 فقلت له : أرجو تأخير الإجابة إلى آخر الدرس إذ لو أجبت على الثور لظن بعض الجالسين
 أن هذا الأمر متفق عليه يبني وبينه . بسألني فأجيب على الثور دون إعمال روية أو نظر
 وصمت الناس للاستماع إلى الدرس . لكنهم شغلوا بالإجابة : هل أستطيع أن أجيب أم أنه
 تسويق للهروب . وما أن أوصلك الدرس أن ينتهي حتى ناديت على الشيخ قائلا : أين
 السائل ؟ أسمع الإجابة : وقرأت عليه الآية الكريمة : ﴿ وَأَوْحِينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ .. ﴾ الآية ،
 وما أن فرغت من شرحها على ضوء ما سألت حتى نفس الناس الصعاء وسمعت منهم صيحة
 الإعجاب عالية بالإضافة إلى دعوات لي بالتوفيق والسداد .

السنة النهائية بكلية أصول الدين

السنوات النهائية لأي مرحلة من مراحل التعليم تعتبر سنوات حاسمة في حياة طالب
 العلم وهي من أجل ذلك سميت بالشهادات . ولقد كانت السنة الرابعة في كلية أصول الدين
 بالنسبة إلى سنة أكثر من حاسمة ذلك لأنها سيكون لها ما بعد . فقد كنت أرغب أن

أعمل بالتدريس في الأزهر ، وكانوا لا يأخذون في التدريس إلا المتفوقين خاصة بالنسبة
 إلى مكفوفين . لذا كان لابد أن أبحت عن زميل يكون مثالا في الجهد وتحصيل الدروس ، فقد
 سمعت هذا عصف من الطلبة الذي يظل طوال العام لاهيا ، حتى إذا ما اقترب الامتحان
 ودقت ساعة خطر ابتدأ يفتح الكتب فيكون التحصيل ضئيلا لا يكاد يشفي غلة ولا يرفع
 أورا . ولما كنت ل مسبب الحاجة إلى من يعكف أهام دراسته من أول العام على الدرس
 والتحصيل . فقد عبرت على زميل أنست منه الجهد والاجتهاد . فاستأجرنا غرفة قريبة
 من مكتبة . وسأنا عامدا نقرأ ونحصل ، ودخنا امتحان النصف الأول من العام لندراسي
 وكانت النتيجة بخمد من شه وتوفيقه أكثر من ممتازة . فقد كان هذا الامتحان طابع جديد .
 ذلك لأنه كان لأول مرة امتحانا تحريريا وقد اعتدنا من أول دراستنا بالأزهر أن يكون
 امتحانا نحن مكفوفين شفويا . وقد اشترطوا فيمن يكتب لنا في الامتحان ألا يكون
 من أصحاب شهادات نبي تمكنه أن يساعدنا في الامتحان وأن يكون صغيرا في السن ،
 وكانوا وهم في ذلك . فلو أن أحدنا كُلف بأن يؤدي امتحان العام الماضي ما استطاع
 أن يجيب إجابة تؤله لسرح . ذلك لأن أسئلة الامتحانات ليست معلومات عامة بما هي
 أسئلة تخصصية فيها ... مهما يكن من شيء فقد اخترت لكتابة الامتحان أخصا كان من الذين
 يترددون على دريسي في مساجد ، وكان عاملا في أحد مصانع الغزل والنسيج لكن شه تعال
 قد وجهه جزلا في الخط وحسنا في الكتابة . وهذا ما كنت أتمناه . وبدأ النصف الثاني من
 السنة الرابعة . وفوجئت ذات يوم في محاضرة التفسير أن الشيخ الذي كان يحاضرنا في التفسير
 وفي سورة النحل قال : أعذر اليوم عن المحاضرة وقد اخترت فلانا ، وكان يقصدني ، لكي
 يقرأ علينا درس التفسير اليوم . وكانت الآية التي يريد تفسيرها قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ
 الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِيَأْكُلُوا مِنْهُ حَمَآ طَرَفَا وَيَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّوَسَىٰ . وَتَرَىٰ الْفُلْكَ
 مَوَاحِرِقَهُ وَيَجْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ واستعنت بالله تعالى ففسرت الآية . قدر
 طاقتي وذكررت فيها سنة مباحث تتعلق بسياقها وسباقها وخاقها ، ثم بينت وجوه البلاغة
 فيها . لما في ذلك البحث من جلال القرآن وروعه وإعجازه ثم بينت البحوث النحوية
 والصرفية ثم ذكرت الحكمة من حكم الآية بقوله تعالى : ﴿ وَلِيَتَّقُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴾ وبهذا انتهيت من تفسير الآية وكنت بهذا التفسير راضيا عن نفسي مقتنعا بما
 قلت . وبعد ذلك جاءت محاضرة ثانية وبدأ الشيخ يسأل الطلبة عن رأيهم بما فسرت .
 واخترتني أهدب جميعا بلا استثناء أثنوا حيزا . ومازلت أذكر شهادة الأخ محمد فتح الرحمن ،
 وهو الآن يحمل شهادة الدكتوراه ويعمل أستاذا في الجامعة الإسلامية وهو من أبناء السودان
 الشقيق . قال في شهادته أمام الشيخ : إن التفسير الذي سمعناه في هذه الآية لم نسمع مثله
 قط . ثم أضاف قائلا : وأعترف أنه بنفسه هذا قد فاق كثيرا من الأستاذة ، فأثارت هذه
 العبارة حفيظة شيخ فاشتد غضبه وتكهرب الجو ، فقد أخذ الشيخ يرمز بجمرة الضياغم في

بطون الغاب ، فقد أخذت منه هذه الكلمة التي قالها الزميل مأخذاً أينما جعله يرأر زئير الأسود إذا ديس عربها ، فطلبت الكلمة لأهدىء من روع الشيخ وقلت : إن التلميذ امتداد لظل شيخه وهو ثمرة من ثمار علمه وإن مثل التلميذ مع شيخه كما قال القائل :

كالحجر يحطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

ونزلت هذه الكلمات منزل الرضا من نفس الشيخ وأخذ زملاء بعد انتهاء المحاضرة وبعد انصراف الشيخ يحبونني بكلمات طيبة وكان بعضهم يقوى في روح الأمل ألا يكون كلام الشيخ قد ترك أثراً في نفسي .

كان الأخ الذي يكتب لي الامتحان يلازمي في إلقاء الدروس بالمساجد ، وكان امتحان الحديث الشريف يوم السبت ، وطلب مني الإخوة الذين كانوا يذاكرون معي ألا أخطب الجمعة السابقة على هذا اليوم حتى أتفرغ للمذاكرة معهم لكنه عز على نفسي أن أتترك خطبة الجمعة ، فقد كانت الدروس والخطب تعطيني تشبهاً للمذاكرة ، فقد كنت ألقى أكثر الدروس والخطب مما أتلقاه من علوم كال تفسير واخذيت والتوحيد والتاريخ والأدب والفلسفة الإسلامية حتى علم النفس . كنت أصوغ العلاج من إسلام للأمراض النفسية والعقد والانفعالات والعواطف وكون الشخصية إلى غير ذلك ففي الإسلام ما يفي بعلاج النفوس علاجا ربانيا ، ويكفي في ذلك قول الله تبارك اسمه ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وكنت كثيرا ما أركز على هذا المعنى الذي يتعلق بالسعادة ، وكثيرا ما كنت أردد هذه العبارة التي تقول : ليست السعادة في الانتشاء بالكوكوس المترعة ولا في الاستمتاع بالغيث الأمليداً ، سكنى ناطحات السحاب ، إنما السعادة الحقيقية في رضا الله عن العبد ورضاه عن ربه قال تعالى : ﴿ هذا يوم يرفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ﴾ .

سمع مالك بن دينار رجلا في مجلس علمه يقول : اللهم ارض عني فقال له : لو رضيت عن الله لرضى الله عنك . فقال الرجل : فكيف أرضى عن الله ؟ قال له مالك رضي الله عنه : يوم تُسر بالنعمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله .

وكنت كثيرا ما أركز على أن السعادة في تلك المسكئة التي أقامها الرسول ﷺ في قوله : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » . لقد كان بعضهم ينام على الطوى ولكن لرضاه بما قضى الله كان يقول : « نحن في سعادة لو عنمت ب الملوك جاللدتنا عنها بالسيف » وكان أحدهم يقول : « حفر بئرين بآبرتين ورح بحرين بقرالين وغسل عبيدين

أسودين حتى يصيرا كأبيضين ، وكس أرض الحجاز في يوم شديد أمواء بريشتين بحيرى أن أقف على باب لقيم يضيح فيه ماء عيني » !!

وخطبت الجمعة ودخلت امتحان الحديث يوم السبت وفوجئت بالكتاب الذي يلازمي يقول لي : تصور أن امتحان الحديث هو نفس الخطبة التي ألقيتها بالأس !! فقد كان الحديث الذي خطبت فيه قوله ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ . وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَبَاحِشُوا وَلَا تَبَاحِشُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » . كما جاءت الأسئلة الأخرى في علم الحديث من واقع ما كنت ألقى دروسا مما أضفى على الامتحان نور المسجد وقديسيته وجلاله . وهذا مصداق قول الله تبارك اسمه : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ .

رؤيا ليلة امتحان العقائد

مازلت أذكر أنه لما قرر المسئولون في الأزهر امتحان المكفوفين تحميرا كانت تراودني أفكار تهزني من الأعماق ، فبعد ما أفرغ من المذاكرة تسألني نفسي : هل يستطيع الكاتب أن يوصل هذه المعلومات جيدا ؟ هل سيكون خطه حسنا ؟ هل سيكون على علم بالقواعد الإملائية التي تريح الأستاذ المصحح ؟ .. إلى غير ذلك من الأسئلة التي كانت تنقل كاهلي وتلقى بظلمتها الثقل على نفسي ، ثم أفيق بعد ذلك على نداء الواقع وعلى صوت زملاءي أن : هلم إلى المذاكرة . وأراد ربك سبحانه وتعالى أن ينزل السكينة في قلبي حتى أدخل الامتحان وفي قلبي سراج يضيء لي الطريق . لقد كنا ندرس علم التوحيد في كتاب يسمى « العقائد النسفية » وهو منسوب إلى الإمام النسفي ، وكنت أعتبر هذا الكتاب تمرينات عضلية للعقل كحمل الأثقال لعضلات البدن . من ذلك قوله عن صفات الله تعالى : « وهي لا هو ولا غيره » فمن يستطيع أن يصل إلى معنى هذه العبارة إلا أن يكون قد سبق له دراستها والوقوف على معناها . ومن ثم فإني لست من الذين يؤيدون التعقيد في العقائد . إنما أدعو إلى تبسيطها وتيسيرها وأن تُستفى من القرآن والسنة فقيهما حقيقة الأشياء ثابتة واضحة وإذا تحدثنا عن الله فإن خير من يخبرنا عن الله هو الله ثم رسوله . والتوجيه في القرآن واضح كالشمس في ضحاها . وفي السنة مُبَر كالمقمر إذا تلاها فمن اتبع ذلك سار في ضوء النهار إذا جلاها .

مهما يكن من أمر فمن فضل الله علينا وعلى الناس أنني رأيت ليلة امتحان العقائد رؤيا مفادها كآني في لجنة الامتحان وأمامي سيورة وقد كُتب عليها : أجب عن ثلاثة أسئلة وقد كُتب فيها أربعة أسئلة . وقرأت الأسئلة كأنها واقع في بقطة . وما تداخلت الأسئلة وما التبس بعضها ببعض ، واستيقظنا عند آذان الفجر ، وكان معي من الإخوة ثلاثة غيري : اثنان من

ديباط وثالث من محافظة الشرقية . وبعد ما فرغنا من الصلاة وعدنا إلى المذاكرة، قلت للزملاء : أحضروا كتاب العقائد الذي سنؤدى فيه لامتحان اليوم لتراجع تلك المواضع وسألوا ماذا هذه المواضع بالذات ؟ قلت : قد يكون الامتحان في أكثرها وقد لا يتجاوزها . ولم أشأ أن أذكر الرؤيا فقد خشيت أن أرمى بادعاء صلاح أو التقوى ، فكثيرا ما تتبادر الفنون إلى النفوس وقد جرت عادة الناس أنهم يستعجلون بالسيف قبل الحسنة وأنهم لا يلتفتون لغيرهم الأعداء بقدر ما يقيمون أدلة الاتهام .

تحرك عقارب الساعة ببطء كأنها سلسلة من الجبال ، وأخذنا مقاعدنا في اللجنة أبطنا عندما بالأسئلة قبل مجيئها وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول في الحديث الصحيح : « لم يبق بعدى من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما نبشرات يارسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة ، ولا أدعى لنفسى صلاحا بل لا أظن ذلك . فالتهم اجعلنى خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنى بما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون » .

ورؤيا علم احتل جانبا كبيرا ومساحة عريضة من عنود إسلام حتى عُرف به بعض لعنماء ومنهم العلامة ابن سيرين . وله كتب ضخمة وفي القرآن الكريم رؤى فما شأنها . وهل أتاك نيا الرؤيا التي رأها ملك مصر ولم يدرك إلا حقيقتها عندما قصها عليهم تلك فقالوا : أضغاث أحلام وما نحن بأوئل الأحلام بعائين . وما قصت على يوسف في السجن كان له في تفسيرها تعطيط اقتصادى لمصر لمدة ثلاثين سنة عشر عاما كان آخرها عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون حتى قال الملك : التوب به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال : إنك اليوم لدينا اليوم مكين أمين .

ليلة التفسير

لم تكن الرؤيا التي رأيتها ليلة امتحان العقائد النسبية توحى إلي معنى التوكل إنما كانت تعيد معنى التوكل والفرق بينهما شاسع والبون بعيد ، فالتوكل مطلوب والتوكل منبوذ غير مرغوب التوكل : هو الأخذ بالأسباب مع تفويض عواقب الأمور إلى الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وقال تبارك اسمه : ﴿ لى حسبى الله عليه توكلت ﴾ .

أما التوكل : فهو إهمال الأسباب وعدم الأخذ بها كسلا وإهمالا . وهذا بأباه الشرع ويرفضه . ولقد كنا من الذين يأخذون بالأسباب ويفوضون عواقب الأمور إلى الله . كنا نندمج في المذاكرة اندماجا ينسينا كم الساعة ، ولا نجد نرفه به عن أنفسنا إلا أن نذاكر علم

التاريخ . ولقد كنا نصلى العشاء ثم نبدأ المذاكرة ففاجأ بأذان الفجر . وكم كان يطوى الزمان بين العشاء والفجر ، تطويه المذاكرة حتى نطق أذان الفجر أذانا للعشاء فلا يظن قارىء أن الرؤيا التي رأيتها ليلة امتحان العقائد توحى من قريب أو بعيد بأى معنى يفيد التوكل ، ذلك لأن الأخذ بالأسباب واجب فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . وهل أجرى الله ماء زمزم فاجر إلا بعد أن سعت بين الصفا والمروة ، شبع لمرات طلبا للماء . وهل قال المسيح لأمه أجلسي تحت النخلة تساقط عليك رطبا جنيا أم قال لها : وهزى إليك بجدع النخلة . فهذا كله أخذ بالأسباب .

إن الرؤى إما كانت من باب قوله تعالى : ﴿ فاعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ أما ما رأيته ليلة امتحان التفسير : فقد رأيت كأننى أفت على عظة الفطار فركب الراكب وتركنى وحدى . وصحت الدنيا على صوت الفجر يؤذن وقمنا وصلينا الفجر وبدأنا نذاكر التفسير استعدادا لدخول الامتحان حتى إذا لم يبق إلا نصف ساعة حضر إلي الكاتب وسألته ولأول مرة : هل أحضرت تحقيق الشخصية فوضع يده في ملامسه بحثا عنها فلم يجدها ، ولا يسمح له بدخول الامتحان معى إلا بعد أن يقدم للمراقبين في اللجنة تحقيق الشخصية ، فقلت له : أرجو أن تذهب سريعا فتحضرو . وكانت المسافة بين بيته وبين الكلية في الزاوية الحمراء بعيدة . وسألت الله أن يطوى له الأرض لأنى لو دخلت اللجنة وورعت الأسئلة قبل أن يحضر لكان في دخوله بعد ذلك حرج شديد . وذهبت إلى اللجنة والأم يعترضني اعتصارا . فلو أن هذا الامتحان فائتني لضاعت على السنة الرابعة فأضطر أن أعيدها وأعالى في البحث عن رقيق ما أعانى . ولكن الله تعالى له في خلقه شئون وله في كل نفس مائة ألف فرج ، وله سبحانه رجال كأنهم يحملون الجنة في صدورهم لقد جلست في المكان المخصص لى ، ومكان المرافق شاعر تعلقنى ساحة دكاء ونجم محرق . لكن قطع على ذلك الصمت الرهيب صوت أستاذ جليل كان يدرس لنا علم العقائد سألتنى : أين مرافقتك ؟ قلت : بأنى الله به . فقال فى إنجابية وصرامة : فمالى أراك حزينا؟ قلت : لتخلف المرافق . فأقسم بالله : لو لم يحضر لجلس بجانبى وكتب لى ما أملى عليه . ثم أردف قائلا : إن الجميع منا يعلم أنك طالب مجد ولا يتصور أحد منا أنك فى حاجة إلى من يلقنك الإجابة . وبينا نحن تتجاذب أطراف الحديث إذ حضر الكاتب ونضى الأمر .

ولرب نازلة يضيق بها الفسى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضائق فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وجميل أن يقول آخر :

لا تضيق بالأمور فسد تكشف غمازها بدون احتيال
ربما تكبره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

من فضل الله تعالى على أنني حصلت في مادة التفسير تحريماً على أربعين درجة من أربعين وشفوياً على عشرين من عشرين وحفظاً للقرآن على ثلاثين درجة من ثلاثين . فكان المجموع الكلي تسعين درجة من تسعين .

امتحان اللغة الإنجليزية

كان على الطالب في كلية أصول الدين أن يختار إحدى اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية ، وقد اخترت اللغة الإنجليزية وكان العجب أن تؤدي نحن المكفوفين الامتحان فيها تحريماً إذ أن ذلك يتطلب أن يكون مع لطلب من يكتب له . فكيف يكتب له اللغة الإنجليزية من لا يعرفها . وإذن لا بد أن يكون الكاتب عارفاً باللغة وملماً بها . وبناء على ذلك فإنه من الجائز أن يساعد الطالب فيها فكيف فات عليهم ذلك الأمر ؟ وقد وفقتي الله تعالى إلى أخ كان يجيد الإنجليزية كأحد أبنائها ، ودخل معي الامتحان ، لكنني بفضل الله كنت قد أعددت للأمر عدته من المذاكرة ، فحصلت في هذه المادة على تسعة عشر درجة ونصف من عشرين .

امتحان الفلسفة

كان مقرراً علينا في السنة النهائية من أقسام الفلسفة « الفلسفة الإسلامية » كالفلسفة ابن سينا والفارابي والكندي وابن رشد . وكذلك كتاب تهافت الفلاسفة لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى . وحدث ليلة امتحان الفلسفة أن جفاني النوم فظلت في أرق دائم ودخلت الامتحان وأنا بين النوم واليقظان ، وأنا من الذين يؤمنون أن النوم ليلة الامتحان وأخذ قسط وافر من راحة البدن ، أهم من السهر والناكرة .. مهما يكن من أمر فقد دخلت الامتحان وأنا شبه نائم . واستمعت إلى الأسئلة من كاتبى وتحيل إلي أنها لم تخطر لي على باب من قبل ، وتوقفت برهة عن الإجابة ، ومددت أكف الضراعة إلى الله أستغنيه وأستعينه وأستهديه أطلب منه العون المدد ، فهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً . وبدأ القلم يكتب ولللسان يملئ ، والقلب يضرع ، وانتهى الامتحان ولكن لم أشعر فيه بالضآئنة إلى النجاح الذي أكننت أنشهده . وذهبت إلى المسكن كاسف البال حزينا فقد كان شيخ الرسوب يحزم على رأسي ، كأنه سحابة دكناء ، أو نجم بحري . ولم أجد مقرراً من هذا الشيخ الرهيب الذي يطاردي إلا أن أجد إلى الفراش لأنام ، فقد يكون في النوم راحة . وغفوت غفوة فريت رؤيا كانت هي النتيجة فقد رأيتني وسط جمعة من الأصدقاء في جو طيب فمت

فيه بتوزيع قطع الخاوي عليهم ، وقد جرت عادة الناس في اليقظة أن يوزعوا مثل هذه الحلوى في مناسبات السرور والفرح . واعتبرت هذه الرؤيا السكينة التي يلقيها الله في القلوب لتطمئن وتعهداً . وقمت فعلاً مطمئناً واثقاً من أن الله تعالى لن يحزني . وكان ذلك دافعاً لي لمذاكرة المادة التي سأمتحن فيها غداً ، ولولا هذه الرؤيا التي رأيتها ونزلت على قلبي كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الطمأى . لولا ذلك لطاردتني الأشباح السود التي يزنها الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وقد منحني الله في الفلسفة درجة لا بأس بها ، وانفض سوق الامتحان كما بدأ والدنيا كلها سوق قام ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين .. وذات يوم كنت أؤدي خطبة الجمعة في حى التوفيقية ، ولم يكن هذا الحى به مسجد كبير يتسع للأعداد الفقيرة فكانوا ينصبون الحيام اتقاء حر الشمس اللانح عندما يقوم قائم الظهيرة وعندما تضرب الشمس بسياطها الحامية وجه الأرض . وقبل أن أصعد المنبر جاء من يشرقي بنتيجة لامتحان ، فسجدت لله شكراً على ما أنعم به عليّ من نعمة النجاح ، فالتجاح كلمة طيبة ، طالما اهتزت ما قلوب الناس ووصل ربنا إلى أعماق الأفئدة .

الترشيح للعمل بالأوقاف

لنحقت بنفسه تخصص التدريس وكان هذا القسم عبارة عن دراسة لعلوم تربية كسيكولوجية الطفولة والمراهقة ، وأساسيات التربية ، وطرق التدريس ، والصحة النفسية وخلال هذه الدراسة أعلنوا عن تكريم الأوائل في الشهادات العليا ، وُحدد لذلك يوم الثامن عشر من شهر ديسمبر بقاعة محاضرات الكبرى بجامعة القاهرة، وكان هذا على مستوى الدولة بجميع جامعاتها وأقسام الدراسات العليا ، وذكروا أن رئيس الجمهورية سيقوم بتوزيع الجوائز على الأوائل ، وتبادرت إلى أذهاننا أننا سننال جانباً من الجوائز المادية بعيننا الله بها على أعياء الحياة القاسية ، وهنا ظلت أحلام اليقظة تراودنا ، فمن قائل إنه بعد الحصول على هذه المكافأة المالية سيشرع في الزواج ، ومن قائل إنه سيقوم بتكوين مكتبة فخمة تعينه على القراءة والاضلاع ، ومن قائل إنه سيوسع على أهله الفقراء .. وهكذا أخذ الخيال الحصب سبيله إلى النفوس الظامنة إلى أن جاء الموعد المشهود ، وأخذ الأوائل مقاعدهم وترجع على المنصة رجال الحكم ويؤدي على الأوائل بأسمائهم ، وقام رئيس الجمهورية بتوزيع الجوائز ، وكانت عبارة عن عمود وحيلة وظنّ بعضنا أن هذا العمود به شيك ، بصرف من البنك ، وبعد أن اتنى الحفل قام كل منا بفتح العمود والعلبة فإذا العمود شهادة امتياز تقديرية وفي العلبة ميدالية برونزية . وانصرفنا راضين بما قضى الله تعالى ، فعلى أمره العاقل أن يضع نصب عينيه

قول الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ومول رسوله الكريم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقير خير من غنى يطغيا
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

اعلان من مكتب العمل :

أعلن مكتب العمل عن وظائف للخريجين وعلى كل خريج أن يشتري الا الاستشارة ويقوم بكتابة الرغبات ، وكنت أرغب أن أعمل مدرسا بالأزهر أو معيدا بكلية أصول الدين فقد كان ترتيبى الأول ولكن أراد الله - وأخير كل الخير في إرادته ، فقد علمنا سبحانه أنه صاحب الإنعام والفضل - أراد أن أعمل إماما وخطيبا في بيوت الله أن ترفع ويدكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، .

واستقبلت هذا الأمر وهو تعينى إماما بمساحد الأوقاف ، استقبلته بقبول حسن ونفسى راضية ؟ فإن يعمل المسلم بما يقف خمس مرات أمام المصلين متوجها إلى مالك الملك وملك الملوك معتقدا أن الكلمة ، أمامه الموت ورائه ، والجنة عن يمينه ، والنار عن شماله ، والصراف تحت قدميه ، والله تبارك وتعالى مطلع عليه ، هذا شرف لا يداينه شرف ، ومكانة لا تُسَامى ، ولا يُلْحَقُ بها ولا يُشَقُّ لها غبار .

بل حتى اعتبره اصطفاء من نولى الذى قال : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ وجاء وقت استلام الكتاب الخاص بالتعيين في الجهة التى ستحددها الوزارة ، وذهبتا إلى مدير عام الدعوة بمبنى وزارة الأوقاف ، وكنت حريصا على أن يكون تعيينى بالقاهرة حيث تقتضى الأمور ذلك ، فإن ارتباطى بالأسرة كان حتما مقضيا لكننى فوجئت بأن كل خروج يدخل على مدير الدعوة يسأله المدير قائلا : من أى المحافظات أنت ؟ فيعيته في عاصمة محافظته . هذا من الشرفية فيعين بالزقازيق وهذا من الغربية فيعين بطنطا .. الخ . وبناء على تلك فسوف أعين بدمنور عاصمة البحيرة . وظللت واقفا لم أدخل على المدير حتى أعد للأمر عدته بعون من الله ، وسألتى السكرتير الخاص بالمدير : في أى الأماكن تريد أن تعمل ؟ قلت : بالقاهرة . فعب وقال لى هذه الكلمة التى مازلت أذكرها ، قال : رأيت كفتك هذا جفت : نعم قال : لو نبت فيه شعر فسوف تعين بالقاهرة . وكأنه بذلك علّق الأمر على مستحيل كما في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ .

وقلت له : بإذن من الله وتوفيقه سوف أعين بالقاهرة . وذلك دائما بقيى في الله الذى يقول في الحديث القدسى الجليل : (عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما أريد كفتك ما تريد وإن لم تسلم لى فيما أريد أتعتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد) . وانصرفت لأعود في الغد إلى مدير الدعوة لكننى انصرفت كاسف البالي لما قاله لى ذلك الذى لم يُوفّق لى كلمة بأسوبها الجراح . وأثناء انصرافى سمعت من بنادى على ، إنه رجل بسيط يعمل ساعيا بالنوزارة أخبرنى عن اسمه وأنه مواظب على الصلاة معى يوم الجمعة بالمسجد الذى أخطب فيه بحى الشرايية ، وأخبرنى بأنه سيعمل قصارى جهده فى أن يلبى رغبته ، وأوصانى أن أقرأ الليلة يس وأن أمر عليه بالغد قبل أن أدخل على المدير وأراد ربك أن يجرى الخير على يديه ، ومررت به فإذا هو يقول لى بتعبيره البسيط « اطمئن كل شىء تمام » ودخلت على المدير وكان مهندسا زراعيا فقال لى مداعبا : لماذا تصر على تعيينك بالقاهرة ؟ فشرحت له الأسباب بالإضافة إلى أن ترتيبى يسمح لى بذلك . فقال : لقد عُينت بمسجد الطيبى بالقرب من مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وأحب أن أسمع عنك خيرا . ولم أريد أن أتكلّم بعد ذلك واعتبرت هذا شيئا جليلا ، وأخذت كتاب التعيين ، ونادى على السكرتير وسألتى : أين عُينت فقلت له بلسان اليقين : بعون من الله عُينت بالقاهرة ولم ينبت فى كفى شعر .

كان بين مسكنى وبين مسجد الطيبى مسافة بعيدة ، فقد كنت أقيم بحى دير الملاك بجذائق النبة وكان المسجد يقع قريبا من حى زين العابدين إلا أن ذلك هان بإزاء العزيمة القوية والحافز الذى كان يدفعنى إلى الإقدام بخطى ثابتة ورباطة جأش قوية . لقد كنت أذهب كل يوم بعد ما ورّعت الأيام على نخبة من الشباب الصالح لأعود بعد صلاة العشاء . وأذكر أن أول جمعة أديتها فى هذا المسجد لم يكن به أكثر من صفيين اثنين من المصلين وقد كان المسجد ينع فى حى معروف بكثرة - المقاهى ذات البهين وذات الشمال وكان أكثر رواده من العاملين بالجزارة أو بيع الأسماك ، وكانوا مذاهب شتى فهذا صوفى ، وذلك وهائى ، وذلك لا هذا ولا ذاك ، مما ضاعف الأعباء على فى الدعوة ؛ فقد كان لزاما على أن أوحّد الكلمة أولا وأجمع القلوب على كلمة التوحيد كنت ألقى دروسا بين المغرب والعشاء كل يوم انتظمت علوم الإسلام : التفسير يوم السبت ، والحديث يوم الأحد ، والفقهاء يوم الاثنين ، والسيرة النبوية يوم الثلاثاء ، وعلم التوحيد والعقائد يوم الأربعاء ، والأخلاق يوم الخميس ، والخطبة يوم الجمعة ، بينها درس بعد الصلاة .. لم يكن بالمسجد مكبر للصوت ، وكان الحصرير قد أصابه البلى فأصبحت أرضه عارية .

أخذ الإقبال على المسجد يزيد شيئا فشيئا ؛ فى دروس المساء فقد هجر الناس المقاهى وأقبلوا على بيت الله تائبين مستغفرين وبدأنا نقيم بعمارة المسجد ؛ ففبرع أحد المصلين بمكبر

للصوت ، وقام بعضهم بشراء الحصر ، وازداد الإقبال يوم الجمعة حتى ضاقت الشوارع المحيطة بالمسجد بمجموع المصلين . ومازلت أذكر « المعلم حنفي » الذي كان يدور يوم الجمعة أيام الصيف بالماء الثلج يسقي الظمأى ؛ كما مازلت أذكر دور إحدى المسلمات التي كانت تقوم بفرش الحصر خارج المسجد .

جلست ذات يوم فدخل عليّ « المعلم عطية » قبل المغرب عندما أوشكت الشمس أن تودع الكون ، وجلس بجانبى حزينا وسألته عن حزنه فقال لي : أنت السبب !! وسألته: خيرا . فقال : لقد وصيتنا بأداء صلاة الفجر ولما عدت وجدت القفل قد كسر وقد أخذ اللص كل محتويات الغرفة ، وهذه أول مرة أصاب بمثل هذا ! أبعد ما ثبت إلى الله بصيبي هذا الذي أصابني؟! وكان هذا الرجل يعمل بائعا للسك ويقم في الغرفة وحده . ولا بد أن يكون الجواب منطقيا ومقتنا فقلت له : وهل هذا يدعو إلى أن تحزن ؟ إن الإنسان عندما يتقدم للعمل بإحدى الوظائف لا يستلم عمله إلا بعد أن يقدم مسوغات التعمين ، وأنت اليوم قد تقدمت للعمل في ساحة الرحمن جلّ جلاله فلا بد من مسوغات التعمين وهأنت ذا قد قدمتها بصبرك على البلاء ، فكُن قريح العين ، مطمئن القلب فقد قال ﷺ : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها وصبر عليها إلا كفر الله بها من خطاياها » . ورضى الرجل بقضاء الله بعد ما أنزل الله برد السكينة على قلبه وأصبح من أتاد المسجد الذين ما أذن المؤذن للصلاة إلا وهم داخلها لا تقوتهم تكبيرة الإحرام وراء الإمام ؛ إن للمساجد أوتادا جلساؤهم الملائكة إن غابوا افتقدوهم ، إن كانوا مرضى عادوهم وإن كانوا في سفر دعوا الله لهم ، صدق رسول الله ﷺ .

إن العمل في مجال الدعوة إما أن يكون وظيفة أو رسالة ، فما أسره إذا كان وظيفة تعتمد على التوقيع في دفتر الحضور والانصراف : وما أعظمه إذا كان رسالة تقوم على الصدق والصبر والشجاعة .

إن الداعية إلى الله يجب أن يكون قدوة صالحة بصيرا بزمانه شجاعا في الحق لا يمارى ولا يوارى ، صبوراً على تحمل الشدائد متفانيا في قضاء حوائج العباد واسع الصدر كريم الخلق ، لا يمل ولا يضر ولا يضيق صدره بمشاكل العباد وعليه أن يعتقد أن الله تعالى لا يضيع له أجر ، فهو من عباد الله الذين اختصهم لقضاء حوائج الناس .

خطبة موجهة

تؤدي خطبة الجمعة رسالتها المنشودة إذا كانت موجهة (بكسر الجيم) . ولكنها تصاب بالعرج والنقم إذا كانت موجهة (بفتح الجيم) . والفرق شاسع بين كسر الجيم وفتحها . فالخطبة الناجحة هي التي تتبع من مناهل الإسلام العذبة ، لا تعكرها شائبة من رياء أو نفاق أو مجاملة على حساب الدين . يبين الخطيب فيها أحكام الله وتوجيهاته وإرشاداته على لسان رسوله ، يعالج فيها المشاكل المحلية والعالمية في ظلال الإسلام الوردية ومنابعه الصافية . وعلى الخطيب أن يكون يتسيرا بزمانه مدركا لأحداث الأيام فيعالج أولا بأول ليضرب والحديد ساخن لأن الأحداث إذا بردت وذبلت بطول الأيام أصبح الكلام فيها أوعتها كلاما تموت ألقاظه على الشفاء . وإذا كانت التربية في الإسلام تقوم على القدوة والموعظة والقصة والعقوبة ، فإن الأحداث لها نصيب موفور في مناهج التربية . وهل كانت قصة الذين خلّفوا رهم الثلاثة الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة ، هل كانت هذه القصة إلا ضربا في الحديد وهو ساخن ، ودرسا للأمة الإسلامية يفيد أن الصدق منجاة وأن الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث يتفكك ؟ إن الثلاثة هم : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك . لقد تاب الله عليهم لما علم فيهم الصدق ، وجاءت نتيجة الدرس بعد ذلك مركوزة في قوله جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

نعم . ما أعظم الخطبة إذا كانت ذات هدف ومعزى وقيمة وما أجملها إذا كانت كالمائدة التي يستفد منها الصحيح والمريض ، كل يأخذ من الطعام ما يلائم صحته ولا يضر بها . كذلك الخطيب الناجح يراعى في خطبته الحال التي عليها المستمعون فيقدم للخاصة وللعمامة وأصحاب الثقافات العالية والمتوسطة يقدم لهم من العلوم والمعارف ما يناسب عقولهم . إنه إن فعل ذلك فقد احترم مستمعيه وإن أنسى لا أنسى يوم توجهت إلى مسجد الطيبى لأؤدي خطبة الجمعة بعد أن مضى على تعييني ثلاثة أشهر . وقبل أن أصعد درج المنبر فوجئت بأحد العاملين في المسجد يتقدم إليّ بمنشور من وزارة الأوقاف فدفعته إلى مرافقي فإذا هو فيه « يُبَيِّنُ على خطيب الجمعة أن يكون موضوع خطبته اليوم حث المصلين على العناية بتقنية دودة القطن حيث القطن ثروة ذات عطاء اقتصادي للأمة » وأشهد أنني أصبت يومها بوجودي لا من أجل المفاجأة وأن الموضوع جاء متأخرا إذ كان ذلك قبل صعود المنبر بنصف الساعة ليس إلا . لم يكن الوجيم دافعه هذا ، إنما كان دافعه أشد عمقا : إن دافع الوجوم هو

التفكير في حقيقة هذه العقليات التي تُصر على أن تكون الخطبة مُوجَّهة وأن يصير الخطباء أدوات مُوجَّهة ، وأن يتحولوا إلى أسرى لدى أصحاب المكاتب . فكيف أخطب في موضوع بحث المصلين على تنقية دودة القطن وجمهور المسجد الذي أخطب فيه أحد رجلين : إما تاجر أسماك وإما جزَّار والأقلية من متوسطي الثقافة؟! فهل أتغلى عن عقلي وإدراكي وأخطب لأتُهم من المستمعين بعد ذلك بالجنون ؟ عافانا الله منه وعفا عنا . ولكن ماذا أصنع ؟ وهذه الخطبة يكتب عنها تقرير يترتب عليه أمور تتعلق بصلاحياتي في الخطابة . والرجل الأريب العاقل هو الذي يقول كلمة الحق دون أن يسمح للآخرين أن يتسلقوا على كتفيه . وليست الشجاعة بمهراً ، إنما الشجاعة حكمة وقوة وإيمان وبعد نظر . فكيف تصرفت لأكسب الجولة؟ إن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولكل مقام مقال فالرجل الذكي يُخاطب بغير ما يخاطب به غيره . وفي الإشارة ما يعنى عن العبارة وفي التلميح ما يعنى عن التصريح ، وكان لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه كلمة يقول فيها : لا تبغضوا الله تعالى إلى عباده . وما أشد حاجة الدعاة إلى الله أن يفهموا معنى هذه الكلمة الفاروقية ، فالخالة النفسية للمستمع يجب أن يكون لها أعماق وجذور في كلام الناصح الفصيح .

فعلی وجه المثال : إذ دُعيت لإحياء ليلة زفاف بكلمة دينية فليكن حديثك مناسباً للموضوع الذي يدور فيه الحفل ، فتختار من النصوص ما يلائم ذلك كقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .. هذه هي البلاغة . فإذا ما تركت هذا النص وبدأت تفسر قوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد ﴾ فقد بغضت الناس في كلام الله لأنك لم تطابق مقتضى الحال . وإذا ما دُعيت لإلقاء كلمة في مناسبة صلح بين متخاصمين فليكن كلامك فيما يقتضيه الحال كقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ . فإذا ما تركت الكلام في مثل هذا النص ودار حديثك في تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءنا قال : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ . فقد جانبك التوفيق وقد بعدت عن الهدف المنشود . وإذا ما دُعيت لافتتاح مسجد فعليك أن تختار من النصوص ما يناسب المقام كقوله تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ أما إذا عدلت عن هذا النص وجعلت موضوع حديثك ما جاء بشأن مسجد الضرار والذي قال الله تعالى فيه : ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرابا وكفروا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا ﴾ إنك إن فعلت ذلك فقد بغضت الله تعالى إلى عباده .

بعد سألت ربي أن يلهمني التوفيق فيما أقول . وكان ربي لي رحيمًا فوفقتني إلى أن أتكلم في تفسير سورة النحل وهي سورة تعتبر مؤسسة اقتصادية اشتملت على مصادر الإنتاج في شتى أنواع الثروات بدأها العلي الحكيم بخلق الإنسان بعد أن أمر بالتحديد والتقوى . فقال سبحانه : ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾ ثم انتقل النظم الكريم إلى الثروة الحيوانية فقال تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ إلى قوله جل شأنه ﴿ ويخلق ما لا تعملون ﴾ . ثم انتقل النظم الكريم إلى الثروة النباتية فقال جل ذكره : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميون . ينبئ لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

وهنا تحدث عن الزرع والثمرات وأنها من نعم الله تعالى . ومن الزرع والثمرات القمح والشعير والارز والذرة والقطن وواجب المسلم أن يحافظ على تلك النعم فلا يتركها كلاً مباحاً للحيوانات وأمراض النبات . ولما كان القطن ثروة من أغلى الثروات ، كان على المسلمين أن يحموه من هذه الحشرة التي تفتك به ، ثم انتقل النظم الكريم إلى عالم الفلك فقال تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار . والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ ثم انتقل إلى ما في باطن الأرض من معادن وكنوز فقال جل شأنه : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ﴾ وقال الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه : « اتمسوا بالرزق في خبايا للأرض » ثم ينتقل النظم الكريم إلى عالم البحار فيقول جل شأنه : ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون ﴾ . وهكذا إلى أن تنتقل بنا الآيات إلى مدينة قرآنية قامت فيها صناعات شائعة : فهذه مصانع الألبان تنطق بلسان الوجدانية ﴿ وإن نكم في الأنعام لبعرة ﴾ وتلك مصانع الحلوى ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه مشكراً ورزقاً حسناً ﴾ . وهذه مصانع العسل ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً . ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ . وقد سمي الله تعالى هذه السورة بسورة النحل لأن النحل أكبر عالم من علماء الاقتصاد ، فهي تعطى أكثر مما تأخذ ، تمتص رحيق الزهر فتخرجه لنا شهيداً فيه الشفاء والدواء والغذاء وهكذا أدبت خطبة الجمعة التي أرادوها مُوجَّهة (بفتح الجيم) وأرادها الله مُوجَّهة (بكسر الجيم) والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

سياحة في بيوت الله

أثناء عملي بمسجد «الطيبى» كنت أُنشد لإلقاء خطبة الجمعة ودروس المساء في عدد من المساجد، ومن هذه المساجد مسجد صلاح الدين بالنيل ومسجد «الحبيبي» بحي السيدة ومسجد «السيدة زينب» حيث كنت أقوم بإلقاء دروس بعد صلاة التراويح في رمضان. وفي الانتقال غير كثير حيث إن معرفة الناس كثر، والاتصال بهم قوة والوقوف على مشاكلهم وإبداء الحلول لها سعادة. وإن كان الحنين دائما يشدني إلى مسجد «الطيبى» حيث لا أنسى هذه الأوقات الطيبة التي كنت أقضيها مع إخوة فقراء تتخلل مجالسهم أذكار وصلوات على النبي المختار، لا يحدثون بلغة البنوك أو تشييد القصور أو أنواع السيارات الفارهة، إنهم الذين قال الله فيهم لرسوله: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ لقد كان الصادق المعصوم يسطرهم رداءه ويجلسهم عليه ويقول لهم: «مرحبا بمن أوصاني ربي بهم خيرا، وهم الذين قال الله فيهم لرسوله الكريم: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. ما عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء، فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ وإذا جاءك الدين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ إن الجلوس مع الفقراء دواء للنفس، فيه الشفاء، إذا ما تمردت النفس على قضاء الله وقدره. يقول تعالى في حديثه القدسي الجليل: (ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع إذا كنت معا فمى بدنك، أما في سربك عندك قوت يومك، فعل الدنيا العناء). صدقت ربنا وبلغ رسولك. وصدق رسولك إذ يقول: «من أصبح وهمه الدنيا فرَّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولا ينال من الدنيا إلا ما كتب الله له. ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة».

وإذ يقول:

«من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساخطا على الله، ومن شكيا مصيبة نزلت فكأنما يشكو الله عز وجل. ومن قعد إلى غنى لينال من ماله فقد ذهب ثلثا دينه» وصنفت يارسول الله إذ قلت في خطبتك الجامعة: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب

الناس. طوبى لمن عانر أهل العلم والحكمة وخالط أهل الذل والمسكنة، وصدق صاحب البردة إذ يقول فيك:

ورأوته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته إن الضرورة لا تعدو على العصم

مرحلة أخرى من الدعوة

كنت قد حصلت على تخصص التدريس وهو إحدى الشهادات الأزهرية التي تسمى «العالمية مع تخصص التدريس». وهي شهادة تقول لحاملها أن يعمل مدرسا بالأزهر. وكان يصول عليها أثناء عملي بمسجد الطيبى. لكنني قد أخذت ضريقتي إلى الله بالدعوة في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وما ترددت يوما في سلوك هذا الصراط المستقيم. وبعد قضاء عامين في مسجد الطيبى قامت الوزارة بتوزيع استمارات على الأئمة لمن يرغب في الانتقال إلى مسجد آخر والحق أقول: ما كنت أود الانتقال من مسجد الطيبى لولا بعد المسافة وزحام المركبات وكثرة ما أعانيه مع مرافقتي في هذا المضمار. لقد ألقت هؤلاء الناس وأقربى، وأحبتيهم وأظنهم قد بدلوني الشعور فأحيوني. وما زلت أذكر هذه اللحظات لخصبة نسي كنت أتناول فيها طعام الإفطار في رمضان مع ليف من الإخوة الفقراء الكرماء، فكان كل يجود بما عنده، ويتصدر المائدة طبق الفول، والفول في الأحياء الشعبية تبعث له رائحة زكية يسيل لها لعاب الجائع ويقوم «عم أحمد» خادم المسجد بعمل الشاي بعد تناول الإفطار حيث تدور الأكواب وكأنها الماء الزلال للظمأى. ولنشأ عند الفقراء رائحته وطعمه الجميل وكنت أظل معهم حتى أصلى بهم صلاة القيام، فكانت ساعات مباركة وأماكن طيبة تذكروني بقول شوقي:

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

نعم كان عزيزا على نفسي أن أفارق تلك القلوب ذوات الشفافية، وشوق إليها يتجدد كل يوم. وكما يقول أبو الطيب المتنبي:

لحلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا لودعت شيبى موجه القلب باكيا

وكتبت رغبتي في الانتقال إلى «جامع الملك» بحي خدائق القبة وبشارع مصر والسودان، وذلك لقربه الشديد من مسكني ويعتبر أكبر مسجد في الحي وكان بينه وبين مسكني مسافة لا تزيد عن خمس دقائق مشيا على الأقدام بحيث كنت أسمع أذانه وأنا بالبيت فكان ذلك دافعا لي إلى الانتقال، فقيه توفير الوقت الضائع في المواصلات، والوقت للداعية

لا يُقدر بحال ، وقد قالوا في الحكمة : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . وقالوا :
« الوقت من ذهب » .

وكنفك الله شر انتظار المواصلات . إن انتظارها في حاجة إلى رصيد من صبر، وقد جعلت وزارة الأوقاف للمساجد رجالا سميتهم بالمفتشين . فقد تحوكت المواصلات أو يصيبها العطل في الطريق ، ثم تذهب إلى المسجد متأخرا فيخبرك خادم المسجد بأن فضيلة المفتش قد مر ، وقد ترك تأشيرة في دفتر الأحوال فتقرأ التأشيرة فإذا هو قد كتب فيها : « مرت بعد العصر وإمام غير موجود ولم يعثر وعليه الحضور إلى الإدارة للتحقيق معه » . التوقيع فلان الفلاني مننش المساجد .. إلى غير ذلك من المآسى . وقد شاء الله تعالى أن يسير هذا الأمر ، فكان يجامع الملك خطيب قبلي طلب نقله إلى شبرا قريبا من مسكنه وأصبح المكان شاغرا . فانتقلت دواما عناء أو بذل جهد والله إذا أراد شيئا فيما يقول له كن فيكون .

في مسجد الملك

في اليوم الخامس من شهر مايو ١٩٦٤ بدأت العمل حطيا ومدرسا وإماما في هذا المسجد . ويقع هذا المسجد في منطقة حدائق القبة في شارع مصر والسودان وفي حي دبر الملاك تحيط به مجموعات كثيرة من النصارى . المسجد في بنائه فخم ضخم ، فرشت أرضه بسجاد فاخر ، ونقش سقفه نقشا فنيا بديعا وجهاز صوت فيه قوى ، وأجهزة التهوية والنوافذ تعش النفوس . وذكرني هذا بحال المساجد في فجر الإسلام ، وحالها في أيامنا هذه . قسى فجر الإسلام كانت المساجد في غاية البساطة والتواضع . ومسجد الصادق المعصوم خير شاهد على هذا ، فقد كان سقفه الجريد وكانت أرضه الحصاء ، ولكنه خرج العمالقة . فقد تخرج فيه المصلح العظيم كآبي بكر والزعيم الملهم كعمر ، والحنى الكريم كعثمان ، والعبقرى الفذ كعلي ، والقائد الجبار كخالد والنقى الحبير كابن عباس ، والمحدث الجليل كآبي هريرة ، وأستاذ الزهد كآبي ذر ، والفيلسوف البارع كسلمان الفارسي . فاسألوا الترخ في أي الجامعات تخرج هؤلاء ؟ لم يتخرجوا في جامعات الشرق أو الغرب إنما تخرجوا في جامعة عميدها المصطفى محمد ﷺ . وعنى امتداد العصور والدهور خرجت المساجد عبقرية البشر وأساطين الفكر وجهابذة العلوم وأساتذة الأخلاق والحضارة والثقافة فابن سينا والفارابي وابن البيطار والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان والخوازمي وثابت بن قرة والجاحظ والبتاني . هذه نجوم لمت وسطعت في سماء الدنيا في الكيمياء والفيزياء والأحياء والطب والرياضة والفلسفة والفلك ، ونقل الغرب عنها وأقام حضارته على ما أودعت وأنجرت . عبرت تلك العلوم وهذه الحضارات والتقدمت إلى الغرب عن طريق الأندلس

والحروب الصليبية والقسطنطينية ، فسطعت في سماوات باريس ولندن وواشنطن وغيرها من العواصم ثم نظرت إلى حال المساجد في عصرنا هذا وكيف صارت عملاقة شامخة البناء ولكن بناء القلوب والنفوس يمثل التزر ليسير . فماذا حدث ؟ لقد حذر الرسول ﷺ من زخرفة المساجد حتى لا يكون ذلك على حساب الجوهر الأصيل فقال : « إذا زخرفتم مساجدكم وحلیم مصاحفكم فالدمار عليكم » . ذلك لأن كثيرا من الناس قد يشغله الظاهر فيصرف إليه عن الباطن وتشغله القشرة عن اللب فيغفل عن رسالة المساجد التي قال الله تعالى فيها : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » . لقد كانوا يفخرون قديما بالذين يتلقون علومهم في ساحات المساجد فيظفون على الواحد منهم لقب « هذا مسجدي » كما تقول نحن اليوم « هذا جامعي » .

كان الجمع الذي يصل في جامع الملك غير كثير ولقد كنت أتردد على هذا المسجد وأنا طالب بالأزهر قبل أن أعمل بالمساجد الأهلية فكان الحاضرون في صلاة الجمعة يقفون في صفوف متباعدة بحيث يكون بين الصفين مكان يتسع لصفين آخرين . وكانت النوعية التي تؤم هذا المسجد من الطبقة المثقفة فقيه من السجاد والنظافة ما يفري هؤلاء بالذهاب إليه ، وكان بالمسجد حديقة غناء ملحقة به ، وقد اعتمدت على الله تبارك وتعالى ودعوت إليه على بصيرة ، وأقبل تاس على الدروس والخطب ، وأخفا العدد يزداد في دروس المساء التي كانت تمتد من المغرب إلى ما بعد العشاء كل يوم . وقد تنوعت مواد الدراسة فيها من تفسير إلى حديث إلى فقه إلى تاريخ إلى عقيدة إلى أخلاق بالإضافة إلى خطبة الجمعة ودرس بعدها وخصصت الوقت من بعد صلاة العصر إلى آذان المغرب للإجابة عن الأسئلة والفتاوى وحل المشكلات ، كما قمت بالإشراف على المدرسة المخصصة لتحقيق القرآن الكريم والمحفقة بالمسجد فأنت أكملها في حيز وبركة . ولما كان الكثرة من الطلبة في حاجة إلى دروس التقوية في المواد ولا يجنون ما يتفقون فقد دعوت إلى التدريس للكبار والصغار في دروس التقوية وفي مختلف المراحل الدراسية حتى الشهادة الثانوية واشترطت أن يكون ذلك بالجماع .

وقد اخترت لذلك إخوة نذروا نفوسهم لله . وكنت أقوم بتدريس اللغة العربية لطلبة الثانوية . ويقوم أخى الفاضل « عبدالرحمن الزيني » بتدريس اللغة الإنجليزية ويقوم إخوة آخرون بتدريس بقية المواد . وسارت الأمور في جو معتدل بحمد وحرز واجتهاد ، كما سارت أمير المسجد بنظام وجد . وضاق المسجد بالمصلين يوم الجمعة ، فبزع أحد رواد المسجد بتشيد بناء على أرض الخديفة بقي المصلين شدة الحر والبرد والمطر . وضاق البناء بالمصلين ولم يبق هناك موضع قدم في أرض الخديفة ، فقمنا بشراء كميات هائلة من الحصى حيث فرشنا بها الشوارع المحيطة بالمسجد حتى ضاقت هي الأخرى مما كان يؤدي

إلى تحويل مرور السيارات من شارع الملك إلى شارع آخر . ورأيت أن أجعل رسالة المسجد رسالة عامة تنتظم أنشطة المجتمع ، فجعلته يمثل خمس وزارات الثقافة ، والإرشاد في خطبة الجمعة ، ودروس المساء ، التربية والتعليم في التدريس للطلبة ، الصحة وذلك عندما دعوت الأطباء لعلاج الفقراء بالجان قلبى عدد كثير منهم النداء فأرسلوا إلينا بتذاكر العلاج في مختلف التخصصات الطبية فكان الفقير يأخذ التذكرة الخاصة بمرضه ويذهب بها إلى عيادة الطبيب مرفوع الرأس موفور الكرامة دون أن يكون هناك عوائد مالية لكنه كان المقصود به وجه الله تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ . ولقد تقدم بعض الصيادلة لصرف الدواء مجاناً ، وكان المسجد أيضاً يمثل وزارة العدل . فقد تكونت لجنة للمصالحات وفض المنازعات والفصل في الخصومات . وكَم من مشاكل أُحلت بإذن الله وقد كادت تدمر بيوتنا وتقوض نفوسنا . كذلك قامت بالمسجد لجنة تمثل الشئون الاجتماعية تبحث أحوال الأسر الفقيرة ، تنجى عليها المعونات الشهرية والكسوة في الشتاء والصفى ، بالإضافة إلى المواد التموينية في الأعياد والمواسم وتوزيع اللحوم في عيد الأضحى فقد يكون هناك بيوت لا ترى اللحم إلا قليلاً يقول فيها شاعر النيل حافظ إبراهيم :

عزّت السلعة الذليلة حسى	بات مسح الخذاء غطبا جُساما
وغدا القوت في يدي الناس كالياقوت	حتى نوى الفقير الصيام
ويخال الرغبة في البعد بدرا	ويظن اللحوم صيدا حراما
إن أصاب الرغبة من بعد كد	صاح من لى بأن أصيب الإدام
أيا المصلحون رفقا بقوم	قيد العجز شيخهم والغلام
وأغشوا من النفوس غلا	قد تحت مع الغلاء الجمام
أنقلوا أنفسا أضرب بها الفقر	وأحيا بموتها الأثام

الحاقدون يتحركون

ما من عمل ناجح في الحياة إلا وتكتفه شدائد ومحن ، فالخاسدون في الدنيا كثر ، والنفوس المريضة تملأ جنبات الحياة وتعربد في عرصات الدنيا وتنفث سمومها الناقعات . وخفائش الظلام تعمى عن رؤية الأجسام البينة لنا في ضوء الشمس . وقد جعلت شعاري دائما في الحياة قول الله جل شأنه : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فعلى كل إنسان يعمل في ميدان الدعوة أن يتحلى بالصدق والأمانة والصبر والشجاعة وأن يقول الحق ولو كان مرا ولا يخشى في الله لومة لائم :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وعلى الداعية ألا يضيق صدرها بالأمر فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، وكلما اشتد الكرب هان ، والعظام كفتؤها العظام ، فلا يكن في صدره حرج من قول الأعداء وتقول الشامتين :

ولا تجزع خادثة الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا	وشيمتك الساحة والوفاء
يفطى بالساحة كل عيب	وكم عيب يغطيه الحياء
إذا ما كت ذاك قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا	فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن	إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

وليعلم الدعاة إلى الله أن طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والأزهار ، إنما الطريق صعب تحفة الشدائد والمحن ، فماذا تتوقع لعمل نصح النجاح المرجو منه في كل المجالات وشتى الميادين . ضاق المسجد برواده ، وضاعت الأماكن والطرق التي تحيط به . وأدت المدرسة دورها كاملا غير منقوص ، ونجحت لجانة الخمس . والذي أراه جديرا بالذكر في هذا المقام أن أعدادا كثيرة من النصارى أعلنت إسلامها وجاءت إلى المسجد تسمى بوجوه مُسنفة ضاحكة مستبشرة . وكان للمسجد حفلات يقيمها على امتداد العام يبدؤها بالاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الشريفة على ذلك الاحتفال بذكرى المولد النبوي الكريم ، يليه الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج ثم يأتي شهر رمضان فتقام فيه الاحتفالات بغزوة بدر وفتح مكة وليلة القدر . كل هذا النجاح كان دافعا قويا وحافزا ضاغظا لنفوس مريضة أن تتحرك في الظلام تريد أن تطفئ نور الله بأفواهها وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . لقد أقمنا للنصارى الذين أسلموا حفلا إسلاميا ما زالت ذكره ترن في الأذان وتسرى سريان الكهرباء في أسلاك البلاطين . لقد هاجت عقارب البغضاء وتحركت ثعابين الحقد في قلوب أصيبت بداء الحسد وكفى به فأخذت تحيط تحيط عشواء ، وأخذت الشكاوى الكيدية تتوالى والأحقاد ترحف . فبدأت الاستعدادات إلى جهات الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود .

الأحداث تتابع

وإنما قلت «الأحداث تتابع» ولم أقل «الأحداث تبدأ» لأن الأحداث قد بدأت منذ زمن غير قريب . أذكر وأنا أعمل في مساجد إحدى الجمعيات الإسلامية كنت ألقى درس المساء يوم الجمعة من المغرب للعشاء وكان هذا المسجد يسمى «مسجد المنوق» ويقع في حي الشرايية . وأشهد أن هذا المسجد كانت له فتحات وبركات وكان رواده من ذوي النفوس المطمئنة وأصحاب القلوب الطيبة الراضية التقية . كان يقع بالقرب من هذا المسجد مسجد يتردد عليه كثير من رجال الوعظ . وكان يشرف على هذا المسجد القريب من «مسجد المنوق» رجل يعمل بالوعظ . لكنه كان يدعو كبار الوعاظ ليلقوا الدروس في هذا المسجد الذي يقوم بالإشراف عليه . وقد تحركت نفسه بما لا أحب أن أذكره من غيرة وحسد عليّ وعلى الرواد الذين تكاثروا عددهم يوماً بعد يوم حتى بلغ من حسده أنه بغى وطغى . والرسول ﷺ كان يقول : «إذا حسد أحدكم فلا يبغي» ومن هنا جاء قوله جل شأنه ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ فقد قيّد الله تعالى الحاسد هنا بالحسد مع أنه حاسد ذلك لأن المقصود (إذا حسد) أي بغى وانتقل من مرحلة زوال النعمة إلى مرحلة الأذى والبغى والطغيان وإلا فإن الحسد والطيرة والظن لا يسلم منها أحد ، لكن طيب القلوب ﷺ بعد ما شخص الداء وصف الدواء في قوله : «فإذا حسد أحدكم فلا يبغي وإذا تطير فلا يرجع وإذا ظن فلا يظن» أي ظنه جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «يَا كُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا تَجَاشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا .

بلغ من بغى هذا الرجل عليّ أنه كان كثيراً ما يقدم الشكاوى الكيدية إلى جهات قد يكون ضررها فادحاً ، وكان كثيراً ما يكتب في شكواه أنني لا أدعو للحاكم من فوق النير... إلى غير ذلك من المكابد والمصائد والشباك والشراك ، وهو يعلم أنني طالب أسأل الله العافية والعفو... حدث أنه أراد أن يوقع بيني وبين أحد الشيوخ بحيث يظهرني أمام هذا الشيخ (وكان من كبار الوعاظ) أنني بالنسبة إليه قبل العم . فدعا إلى حفلة تقام بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة وقال إن هذا الحفل سيقصر عن شيخين اثنين كنت أنا أحدهما وكان الآخر هو الشيخ «عبداللطيف مشتهري» وأراد أن يضرب كلاماً بالآخر ، ولم يكن قد استأذنتني قبل أن يعلن اسمي ، لكنه بذلك قد وضعني في وضع حرج : فإما أن أعتذر عن الحضور فتكون الصورة غير كريمة لأنه حفل يتعنى بذكرى من أعظم الذكريات لأعظم

الرجال فكيف أعتذر ؟ وإن أنا أجبت الدعوة فقد يحدث مالا لئحمد عقباه من هذا الرجل ، فالخلف سيقام في مسجد يشرف هو عليه وله أعوانه وأنصاره وبطائه ، لكن من كان الله معه فمن عليه ؟ ومن وجد الله فماداً فقد ؟ فمن اعتمد على ماله قل ومن اعتمد على الناس مل ، ومن اعتمد على جاهه ذل ومن اعتمد على علمه زل ، ومن اعتمد على عقله ضل ومن اعتمد على نفسه اختل ومن اعتمد على الله فلا قل ولا مل ولا ذل ولا زل ولا ضل ولا اختل .

قال نعال : ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلاً إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلقنا ثم الآخرين وأتينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾ . وجلّ جناب الحق إذ يقول عن الحبيب وصاحبه : ﴿إذ أخرجهم الذين كفروا ثانی اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ .. وقد قالوا في الحكمة : خير علاج للشدائد اقتحامها .

فكان أسلم طريق للخروج من هذا المأزق أن ألبس الدعوة معتداً على الله وحده . وأعلنت على المصلين استجابتي للدعوة كما أعلنت الزمان والمكان الذي سنتلقى فيه وذهبت إلى المسجد الذي سيقام فيه الحفل ، فجمع الناس ليقات يوم معلوم ، وازدحم المسجد بالمصلين حتى درج السلم ، وكان حفلاً شامخاً ، وكان أكبر ظني أن كثيراً من الحضور ما جاءوا لسمعوا درساً أو علماً يقدر ما جاءوا ليشهدوا مباراة بين ناديين ، وحضر الشيخ «مشتهري» وحضرت قبل المغرب وكان في سن والدي ، وأذن للصلاة ثم قمنا فصلينا ركعتين قبل المغرب قال عنهما الصادق المعصوم ﷺ : «صلوا قبل المغرب لمن شاء» وأقيمت الصلاة . فأقسم الشيخ لأصلي إماماً فكانت هذه الخطوة بمثابة نصر من الله وفتح قريب ، فما كان أحد من الذين جاءوا بقصد رؤية نصر مادي بمفهومهم المتواضع يتوقع هذا . وبعد الفراغ من الصلاة وختامها ساد المسجد صمت عميق ، فالكمل يتساءل في نفسه : من الذي سيتحدث أولاً ؟ فإذا تحدثت أولاً وتحدث الشيخ بعدى فقد يستطيع بعلمه أن ينسى الناس ما سمعوه مني ، وإذا تحدث هو أولاً فقد يحيط بجميع العناصر المتعلقة بموضوع الحديث في ذكرى الهجرة : فإما أن أعيد ما قال فأضرب في حديد بارد وإما أن أتحدث في موضوع غير الموضوع المخصص للحفل فيكون هذا هروباً منياً على إفلاس علمي وتلك لثالة الأثافي . وهذا ما كان يبغيه أنصار هذا الذي دعا إلى الحفل . لكن فوق تدبيرنا لله تدبير ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ .

واسترزق الله مما في خزائنه فإن رزقك بين الكفاف والنون
واستغفر بالله عن ذنبا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
كما يعجبني قول القائل :

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطغيا
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيا

ترج بحرين بخرالين وخر بترين بآبرتين وغسل عديني أسودين حتى بصيرا كأبيضين
وكنت أرض الحجاز في يوم شديد الهواء بريشتين خيري من أن أفق على باب ليتم يضع فيه ماء
عيني .

هي القناعة فاحفظها تكن ملكا لو لم تكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الذي بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن
ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
وإدراك الذي يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

ليست السعادة في الانشاء بالكنوس المترعة ، ولا في الاستمتاع بزخارف الحياة ،
إنما السعادة مملكة يقيمها الله تعالى في القرب يتربع على عرشها الرضا قال عليه السلام : « أرض بما
قسم الله لك تكن أغنى الناس ، فأمل معي الحمد كيف يفعل ، وأعجب معي للحسد ماذا
يصنع . كيف تحرك إنسان لمنع الخير عن أخيه المسلم . سبحانه يامن قلت : « ولا تطع كل
حلاف مهين . فماز مشاء بميم . مناع للخير معتد أثيم » . وصلى الله وسلم على سيد
البشرية ومعلم الإنسانية الذي قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ قلنا : بلى قال : من أكل
وحده ، ومنع رفده وضرب عيده . ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ قلنا : بلى . قال :
من لا يقبل عثرة ولا يقبل معثرة ولا يغير ذنبا . ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ قلنا : بلى .
قال : من يغيض الناس ويغضونه » .

شدائد ومحن

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

ادفنت الخطوب واحتدمت الغم وكشّرت قوى الشر عن أنيابها تحاول اقتلاع شجرة
طيبة من مكان طيب ، إنها شجرة الدعوة إلى الله في جامع الملك . فوجت في شتاء ١٩٦٥

باستدعاء إلى أحد جهات الأمن ، ولأول مرة في حياتي أدخل مثل هذه الأماكن ؛ وإذا
المقصود من هذا الاستدعاء إنذار شديد اللهجة بمنع الصوت الخارجى للمسجد أثناء إلقاء
دروس النساء ، وقلت في نفسي لا مانع ، وليقتصر الدرس على الجالسين داخل المسجد لأننى
قد فهمت من هذا الاستدعاء أن المسألة ليست مسألة صوت داخلى أو خارجى فليس ذلك
من الأهمية بمكان ، فالصوت الخارجى في جامع الملك لا يمثل أى قلق لأحد من القاطنين
حول المسجد ، فشارع الملك ذاته لا تكف السيارات عن ذرعه جيئة وذهابا ، ليلا ونهارا ،
ولها أصوات مفرقة . فلم يكن الدافع إذن قلقا أو فرعا لأحد إنما كان من باب قول الذئب
لحميل : « لقد عكرت عني الماء » لذلك تلتقيت المسألة بحكمة وصبر ، فليست الشجاعة
تهورا ، بل الشجاعة أن تقول الحق دون أن تسمح للآخرين أن يتسلقوا على كتفيك . ومنع
الصوت الخارجى ، وجاء كثير من القاطنين حول المسجد يطلبون إعادته فقد كانوا يستمعون
الى الدروس وهم في بيوتهم . أن تؤذن العشاء . وتقدموا بكثير من الشكاوى إلى الجهات
عنتصة يصلون بذلك فإن لندن للنفوس كالماء والهواء والضياء .

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يخشى دنيا
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا
ولكن شكواهم ذهبت أذراج الرياح ، وكانت كما قال شوقي :

لقد أزلت أذنا غير راعية ورب مستمع والقلب في صمم

وبعد أيام من منع الصوت ، جاءت استدعاء آخر من نفس الجهة ، وذهبت إلى هناك
عملا بقول الله جل شانه : « واصبر وما صبرك إلا بالله . ولا تحزن عليهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وسئلت في هذا الاستدعاء : لماذا لم تمنع الصوت الخارجى ؟ فأجبت : لقد منعت
فقال : لم يحدث هذا . قلت : فقد حدث ولست بكذاب . واحتدم النقاش ، وكان لابد أن
يختمه لأن النيات لم تكن خالصة من الطرف الآخر .. وتطورت الأمور من سيء إلى
أسوأ !!

دعوة إلى الجامعة

في عام ١٩٥٦ جاءت بعض طلبة جامعة عين شمس ووجهوا إلى دعوة لإلقاء محاضرة
للطلبة ، فلبيت الدعوة كما كنت أسمى أى دعوة في أى مكان ولو كان قصبياً وألقيت المحاضرة
وتحدثت فيها عن « دعوة الإسلام » وأنها عالمية ، وأنها تقوم على المسؤولية كما أخبر بذلك

الصادق المعصوم في قوله : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . ثم تحدث عن توزيع المسئولية من أول الإمام إلى الرجل في بيته والمرأة في مال زوجها ، حتى شملت المسئولية من أول الإمام إلى الرجل في بيته والمرأة في مال زوجها ، حتى شملت المسئولية المخدومة في بيت سيدها . ثم بعد ذلك طال الحديث في شرح هذه الكلمة الطيبة التي نطق بها الفم الشريف « فم رسول الله ﷺ » : ما من راع على أمر عشرة إلا جاء يوم القيامة يدها مغلولتان إلى عنقه حتى يذكه العدل أو يوقه الجور . وتطرق الحديث إلى مسئلة القاضي بين الناس . وذكرت في ذلك حديثاً رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يُؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة ليلقى من الحساب ما يتمنى معه أنه لم يكن قاضي بين اثنين في تمرة » .

ثم عقب بعد ذلك بالحديث عن المسئولية في ساحة العدل يوم القيامة أمام أسرع الحاسنين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين . ورويت في ذلك قول الصادق الأمين : « لا تزول قدمي عبد من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن أربع : شبابه في أهله وعمره في أهله وماله من أين اكتسبه وفيه أنفقته وعملك ماذا صنعت فيه ؟ » .. وحثت مخاطرة ببناء وجهته إلى الطلبة : قلت : تريد منكم العلم المسلم ، والطبيب المسلم ، والمهندس المسلم والمدرس المسلم ، والصييد المسلم ، والمخمس المسلم ، والمخمس المسلم ، والمخمس المسلم ، والقاضي المسلم ... وكان كلامي في مثل هذه الموضوعات يثير خطيراً يودي بصاحبه إلى غياب السجون ، ومهاوى الردى ، ولكن القلب إذا تجرد لله هانت عليه الدنيا ، فمن خاف الله خُوف الله منه جميع خلقه ومن لم يخف الله خُوفه الله من جميع خلقه : قال ﷺ : « من أرضى الله بإسخط الناس كراه الله ما بين الناس ومن أسخط الله بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس . ومن أصلح سيرته أصلح الله علاقته » . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « من تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله سترة وأبدى فعله » ورحم الله من قالت لربها :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل حين وكل الذي فوق التراب تراب

جمعية الهداية بمدينة السويس

من المساجد التي كنت أتردد عليها لإلقاء بواعظ مسجد الشهداء بالسويس فقد كنت أقوم بخطبة الجمعة فيه على قنات مساعدة ، ولم تكن أدري ما وراء الحجب وما خبئته

الأقدار . كذلك كنت أتردد على مساجد كثيرة لكن في غير يوم الجمعة ، لإلقاء دروس المساء بها في كل شهر مرة . فمن هذه المساجد مساجد المحلة الكبرى حيث التجمع العمالي الكبير في شركة نخول . فقد رأى رئيس مجلس الإدارة - وكان رجلاً صالحاً أحسبه كذلك - رأى أن العلاج السليم لبناء النفوس على الصدق والأمانة ومقاومة الانحرافات إنما يكون بتعاليم الدين وتقوية الرقابة بين العبد وربّه ، أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

« ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينتههم بما عملوا يوم القيامة . إن الله بكل شيء عليم » ..

سيت مساعدة الفرد أو المجتمع في تشييد القصور ، وليست مقصورة على بناء المصانع فما قيمة مصنع إذا كان الذي يديره حياى القلب ، سقيم الوجدان ، مريض الضمير ، يأكل التراث كلاً ما ويحب المال حياهما ، لا يراعى في ذلك إلا ولا ذمة ولا يرقب كتاباً ولا سنة .. لا يمكن أن تقوم الحياة بلا دين ، كما أنها لا تستقيم بلا خلق حميد .

وإذا أصيب اللوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأثماً وعويلاً
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا
وليس بعاصر نبين قوم إذا أخلاقهم كانت خراباً

وقد أصاب فيلسوف الإسلام ، محمد إقبال ، كيد الحقيقة عندما قال :
إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يخفي دنيا
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

عسما تون « يشارد نيكسون » حكم الولايات المتحدة قال في كلمة ألقاها على الشعب الأمريكي : « إن الولايات المتحدة لا تعانى أزمة مادية إنما تعانى أزمة روحية لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع ، لكننا فقراء في الروح . نصل في قرب عظيم إلى القمر . لكننا نسقط في خلاف حاد على الأرض » .

بعد أن الحياة بلا روح مادة مضطمة فالمة حالكة السواد . عليها غيرة ترهبها فترة ، ويرحم الله بنت بائمة الذين بقيت لأمها : بأماما أتغشيت المسلمين ؟ وتغشيت في حين ؟ وتكذبت عن أمير المؤمنين ؟ كان هذا أيام الفاروق وهو يتنفض الليل عن الكرب المصوبة . فما كان منه إلا أن أعطاها جائزة النبوة التقديرية ، فزوجها لابنه عاصم ابن عمر قرزفه الله منها فذة سماها « حلى » تزوجت « عبد العزيز بن مروان » فأوليت منه خامس خلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، وسد الطيب يخرج نيته بإذن ربه .

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا بالرى أورق وإنما إبراق

نعم كان عملا ناجحا أن تلقى المحاضرات الدينية على العمال . فالدين هو الحياة ولا حياة بلا دين .. كنت أتردد على مساجد المحلة الكبرى ومساجد القرى التابعة لها . وكنت أعد اليوم الذي أتقى فيه بيولاء الإخوة يوم عيد من أعياد الدعوة إلى الله . كذلك كنت أتردد على مسجد الجمعية الشرعية بمدينة المنصورة ، أنفى بأهل الدقهلية في يوم مشهود يجتمع فيه الناس ووجوههم تبيض بشرا وسرورا وقلوبهم مطمئنة راضية مرضية .. كما كنت أتردد على بعض المساجد في « مدينة أسوان » حيث كنت أنفى بأهل هذه المدينة الطيبة وهم قوم عرفوا بظهاره القلب واليد واللسان ، عرفوا بالأمانة والإكرام الضيف وحسن المعاملة . وهكذا كنت أتردد على تلك البلاد وغيرها أنشر كلمة الله خالصة لا رياء فيها ولا سمعة ولا غموض ولا لبس . وكانت السعادة الغامرة التي لا تقوفها سعادة أن يجلس الداعية بين مستمعيه يصيح السمع إلى مشاكلهم وأسئلتهم ، فيحل المشاكل وينجب عن الأسئلة . إنها متعة نفسية تنك على الإنسان أقطار نفسه وبشرق ضياؤها في جيبات فزاده .

صيف ساخن

في أغسطس عام ١٩٦٥ رُجَّت الأرض رجًا ، وهبت رياح هوج اشتدت كأنها رماد في يوم عاصف ، فقد أطلت الفتنة برأسها تحاول اقتلاع « شجرة الدعوة الإسلامية » عندما وقف حاكم الدولة أمام قبر لينين في موسكو يوعد ويهدد ويرغى ويوبد : يهدد بالشبور وعظام الأمور ، يهدد كل العاملين في مجال الدعوة الإسلامية ونسى ربه فأنساه الله نفسه حتى قال : إننى لن أرحم . وأقسم أنه لن يعفو بعد اليوم مع أن الذى يعفو ويرحم ويملك الرحمة والعفو هو الله . ولكن ما أشقى الإنسان إذا استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ﴿ أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون . إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ﴾ . ما أضعف هؤلاء الخيابة إذا نسوا أنهم بشر وأنهم لن يخفوا ذباها ولو اجتمعوا له : ﴿ وإن يسلمهم الدياب شيئا لا يستقلوه منه . ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز ﴾ .

وما أشد جهلهم عندما يدعون أنهم أقوياء يملكون خزائن رحمة ربي، إنهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبثت العنكبوت لو كانوا يعملون . ولحكمة بالغة بقر الله تلك الخبيثة ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ . ومن آياته جل

شأنه أنه يعامل الخيابة بأسلوب لا ترقى إليه أفهام البشر فاحمروذ عند ما قال : ﴿ أنا أحيى وأميت ﴾ سلط الله عليه بعوضة أخذت تطن في رأسه ، فكان لا يشترج إلا إذا شرب بالنعال على أم الدماغ . وفرعون لما قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ . وقال : ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ . وقال : ﴿ أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى ﴾ . كان الجزء من جنس العمل ، فأجرى الله الأنهار من فوقه ﴿ حتى إذا أدركه العرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ فجاء الرد حاسما : ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟ فاليوم ننجيلك ببدنك ﴾ ثم تأتي الحكمة ناطقة بلسان اليقين ومنطق الحق المبين ﴿ لتكون لمن خلقت آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ .

وما كان أضعف فارون عندما غرّه ماله فقال : ﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ فكان الجزء أن حسف الله به وبداره الأرض ﴿ فما كان له من فنة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ . ولما في سورة القصص ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد : فقد عرضت لاثنين من جبابرة البشر : الفرعونية الحاكمة والقارونية الكاذبة ، لم جاء الختاف في قصة فرعون : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار . ويوم القيامة لا يُنصرون . وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقيحين ﴾ . وجاء ختام القارونية الكاذبة ﴿ فحسبنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فنة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمموا مكانه بالأمس يقولون : ويكأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر . لولا أن من الله علينا لحسف بنا . ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ . وجاء التعقيب بعد ذلك على القصتين حازما وفيه صراحة ووضوح : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ . وجاء الختام شاهدا بعظمة الله وانفراده سبحانه بالسلطان والبقاء والجلال والكمال ، فهو صاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة . قال تعالى : ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو . كل شيء هالك إلا وجهه . له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

ولد في سورة العنكبوت عبرة وعظة ، وللخيابة فيها درس بدمى القلوب ولا ينسى على مر الأيام وتطاول الأمد والأباد والآزال . فقد قص الله تعالى فيها أخبار أقوام استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . بدأ الحديث عن هؤلاء الأقوام بقوم نوح ونسب بقوم إبراهيم ، ثم ذكر بعد ذلك قوم لوط ثم حدث عن قوم شعيب ، ثم أخبرنا عن عاد وثمود وقارون وفرعون ودمان ثم كانت العاقبة تكذب سماوات بتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . قال تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنية . فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا . ومنهم من أخذناه

الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿

ومن جلال القرآن وحكمته البالغة أن يسمى هذه السورة التي استفاضت بذكر الجبارة - يسميها بسورة العنكبوت ، مع أن الجبارة قد برزوا في هذه الصورة بشكل يبرز القلوب من أعماقها . لقد بلغ بهم الغرور أنهم قالوا : من أشد منا قوة ؟ وجاء الجواب من الله ، وفيه ما فيه من المعاني ذات العمق . قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ وكانوا بآياتنا يمجدون ﴾ لقد سماها الله بسورة العنكبوت لما جاء في قوله جل شأنه : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

فمن استعز بغير الله فهو كالعنكبوت اتخذت بيتا تحمي به وأوهن البيوت بيتها ، فمن اتخذ وليا أو ناصرًا دون الله مهما كان النصر والأولياء جبارة فقد اعتمد على سراب ببيعة يحسه الضمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . نعم إنه إذا اعتقد ذلك فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

لما زحفت جيوش الإسلام لفتح بلاد فارس أرسل كسرى جبار الفرس إلى امبراطور الصين يطلب منه المدد والنجدة وأخبره بالإنذار الذي أرسله إليه سيف الله المسلول خالد ابن الوليد ، وقال فيه : يا كسرى أسلم تسلم فقد جئتكم بقوم يحرصون على الموت كما تحرصون على الحياة . فماذا كان جواب امبراطور الصين على كسرى ؟ رد عليه قائلا : يا كسرى لا قبل لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها !!

يد الله تعمل في الخفاء

ذات يوم من أيام شهر أغسطس عام خمسة وستين وتسعمائة وألف وكان يوما قاتظا شديد الحر كان شمس طلعت من بين الرمال لا من بين السحب وكان الجو كله يندثر بالهروق والرعود والعواصف والصواعق ضد الإسلام ورجاله ، فوجفت بالباب يطرقت طرقات عنيفة ، وبمجرد أن فُتح الباب دخل جماعة غلاظ شداد وقاموا بعملية التفتيش ، وكانت حنابة لا تُغتفر إذا تم ضبط أي كتاب لشهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب ، خاصة كتاب « معالم في الطريق » . وكان هذا الكتاب بين يدي يقرأ في فيه ، لكن الله سلم فلم ينته

أجد لهذا الكتاب . أمروني بارتداء ثيابي لأبني سأذهب معهم إلى أين ؟ ولماذا ؟ وعمّا أسأل ؟ لست أدري . ولماذا لست أدري ؟ لست أدري . وحاول بعض الإخوة أن يصحبوني ، ولكن لم يُسمح لهم لأنهم صمموا أن أتتبعهم فردا ، وبعد إلحاح شديد من شقيقى سمحوا له بالركوب معي في سيارة عسكرية ذات مقاعد خشبية غليظة . وانطلقت بنا السيارة تهب الأرض تها . وبعد بضعة أمتار ، أمر أخى بالنزول فنزل وظللت وحدى بين قوم لا عهد لي بهم وكأني في سرير المنايا لا أدري ما يُفعل لي . وكان السيارة تقول بلسان حانقا :

« أنا سرير المنايا كم سار مثل بمثلك »

لكن من أراد مؤنسا فإله يكفيه . ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه . ومن وجد الله فماذا فقد ؟ ومن كان الله معه فمن عليه ؟ ويرحم الله من قال يتاحى ربه :

ولقد جعلت في الفؤاد محمدا وأبحت جسمي من أراد جلوسى
فالجسم منى للجلوس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

قال أحد الصالحين لمريديه : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة . فقال له أحدهم . فكيف إذا ذكر الله تعالى ؟ فأطرق الشيخ مليا ثم قال : إذا ذكر الله نزلت الضمائية . أو ما قرأت قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

فإذا ضاقت عليك الدنيا فقل يا الله . وإذا نغلت عنك أهل الأرض فقل يا الله . وإذا احتدمت بك الشدائد فقل يا الله . وإذا ادهمت بك الخطوب فقل يا الله . وإذا نمت على فراش المرض فقل يا الله . وإذا جاءتك سكرة الموت بالحق فقل يا الله . ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم . والله جتود السماوات والأرض . وكان الله عليما حكيما ﴾ .

ياصاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله
الأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأسن فإن الكافي الله
إذا بُليت فتق بالله واراض به إن الذى يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر مسرة لا تحجز عن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله أحد فحسبك الله فى كل لك الله

لقد تذكرت وأنا في طريقى إلى ذلك المجهول تلك الوصية الغالية التي جاءت على لسان الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه قال : عجبت من ابنى بأربع كيف ينسى ربعا : عجبت من ابنى بالخوف كف ينسى قوله تعالى : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . وقد قال

الله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .. وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف ينسى قوله تعالى : ﴿ منسى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ وقد قال الله جل شأنه ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى منسى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا به من ضر ﴾ . وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف ينسى قوله تعالى : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ وقد قال الله تعالى : ﴿ وإذا التين إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات : أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ﴾ .. وعجبت لمن ابتلى بمكر الأعداء كيف ينسى قوله تعالى : ﴿ وأوفى أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ وقد قال الله تعالى : ﴿ فوқаه الله سيئات ما مكروا . وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ .

كنت أردد هذه النصوص الكريمة حتى وقفت بنا تلك السيارة في مكان لا أعلمه وأحسست بنزول من فيها جميعا ، وظللت وحدى ، وبدأت الحرب النفسية . وسمعت من يتساءل : أهذا هو الذى يحطّب في مسجد دير الملاك ؟ فرددت عليه الآخر : نعم هو فيسأل آخر : ألقى القبض عليه اليوم ؟ فيجيبه : نعم .. وهكذا أسئلة كثيرة ألقيت ، وأجوبة رُدّ بها عليا . وشممت رائحة الموت في الهواء الذى أنشقه فالتقم غلاظ شداد والأصوات رهية والجو مكفهر خانق ، وسمعت وقع أقدام ثقيلة تريد أن تدك الأرض دكا حتى انتهت إلى السيارة التى كنت فيها وحدى وإذا هو أحد غلاظ الأكباد يجذبني من ذراعى ، وفي صمت أشد من صمت القبور أدخلتني غرفة شعرت كأن الشية جائمة فيها . قلت في نفسى : إن الروح والرزق لا يملكها إلا الله . وأنزل الله برد السكينة في قلبى ، وتحركت أمامى كوكبة من الآيات التى تثبت العقيدة ، وتبعث في النفس الطمأنينة . قال تعالى : ﴿ فاعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ﴾ وإذا بصوت ينبعث من الجالسين في الغرفة ولم أكن أدري ما عددهم إلا بعد أن أمطروني وابلا من الأسئلة . صاح صاحب الصوت : أحضر له كرسيًا ليجلس . كنت ساعتها أرتدى العمامة والحية . ففعل الرجل قد رحم كف البصر واحترم تلك الثياب التى درجنا على احترامها ونوقيرها . وجلست وجاء السؤال الأول : آتت فلان ؟ قلت نعم . قال : ما هذه الضجة التى تحدثها في مسجد دير الملاك ؟ قلت : إبتى أؤدى دور المسجد كما كان في فجر الإسلام . أؤديه على أنو رسالة لا وظيفة . ثم أخذ يسأل في موضوعات شتى أذكر منها : أنه أجرى تنقيشا عقليا على الفكر الإسلامى سأل في مسألة الجبر والاختيار ، والتخير والتيسير ، كما سأل عن نظام الحكم في الإسلام . وأخيرا وبعد مدة استغرقت أكثر من ساعة عرض على مجموعة من الأسماء وقال : أتعرف هؤلاء

أو واحدا منهم . ولم يكن لي معرفة سبقت بهذه الأسماء جميعا ، والذي قد علمته فيما بعد أنهم قد تمّ اعتقادهم وأنهم في السجن الحرى . ولعله سألتني عنهم لأنهم كانوا يصلون في المسجد الذى أقوم به خطابة فيه . وبعد صمت قصير قام أحدهم فربت على كفتي بيده وهمس في أذني قائلا : إن هناك الكثير من الشكاوى قُدمت فيك لذلك استدعيناك . وحسبت أنه سيصدر لإشارة بشرحي إلى أحد السجناء التى تحولت إلى جحيم وسعير اشتعلت فيها نيران تعذيب لأبرياء . ولكن لم أسم ، فقد نادى على لى لى قبض على وقال له : أعدده إلى بيته . فكانت لى لى غنى شخص على يسألني في عجب : ماذا كنت تقرأ وأنت قادم إلى هذا المكان !!! لقد جئت بشت من هذا فلم يعد منهم أحد إلى بيته !!! فقلت له : ﴿ لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ وتذكرت آيات التى كنت أرتبها .

خطوة لتكوين الأسرة

في أواخر عام ١٩٦٥ كنت قد عرمت على إتمام الزواج ، فإن المستقبل بيد الله وحده وقد تبحثت لرب الاستعاضات ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ وكنت أحس إحساسا داخليا بأن هناك شرا مبينا لكنه ينظر فرصة شى يستطيع أن يلقى فيها قضية يؤمنى فيها ظلمه السجن . كنت قد عقدت زواج منذ عام مضى . فم لى لى في سنة ١٩٦٥ وما هي إلا شهور قضيتها حتى كان ما كان وقد قضيت . حتى سنة ١٩٦٦ وكنت أحسب عام الحزن ، وجاءني شخصان في سن الشباب وأخبراني أنهم مندوب من جهة إحدى السلطات وسألاني : أتدري قيم جثتك ؟ قلت : لله أعلم . قال : إن المشير عبدالحكيم عامر يعلم أن لك شعبية ومحبة في قلوب الناس وإنه يصب منك أن تحل دم سيد قطب ، ومن معه ، أعلمت ؟ وتريد أن تسمع هذه الفتوى في الحصة القادمة . وقد أخبرني قلبى كأنه السهم المربى : ألقى بخل دماء الأبرياء فأبيع آخرتي بدينيا غيبي ! ودخل النار في الآخرة وبس القرار !! أم أرفض طلب المشير فأدخل السجن ؟ ولكن هذا الصرع لم يدم طويلا . فقد تذكرت قول الله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ . وسألاني : بأى شى ترد على سيادة المشير ؟ قلت على الفور : ربنا يهتج ما فيه الخير . وقبل أن يتصرفا ذكرا عبارة مزروعة بالوعد والوعيد . فيها العسل والحنظل . قال : إن أعطت الأوامر فتحت أمامك أبواب الترقية والبعثات وإلا فأنت تعلم أن السجن تنلقى كل يوم المئات ثم انصرفا ... وظللت أقلب هذا الكلام على وجهه . وسفت أمنا شديدا ما سمعت : أبيضير الدين ألعوبة على أيدي الحكام ؟ أنصير مشير أوقا سلاطين ؟ يريدون أن يجعلوا من ظهورنا جسورا إلى جهنم . إن العالم يتهم في دبه إذا

طرق أبواب السلاطين والله لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله . وقد صدقت
بارسول الله إذ قلت : « من أرضى الله بإسخاط الناس كفاه الله ما بين الناس ومن أسخط الله
بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس ومن أصلح سيرته أصلح الله علاقته » .

ليت المسلمين يقفون موقف العبيد من هذا الأعرابي الذي مثل ذات يوم بين يدي
الحجاج بن يوسف طاغية العراق . كان إذا أراد الطعام لا يأكل إلا إذا دعا من يأكل معه .
فأرسل ذات يوم في طلب من يشاركه الطعام . فوجدوا أعرابيا فجيء به إليه . فقال له
الحجاج : أتدري يا أعرابي من أنا ؟ قال الأعرابي : أنت الحجاج بن يوسف ، قال له : لقد
دعوتك اليوم لتشاركني طعام الغداء . قال له : لقد دعاني من هو أفضل منك . إنني اليوم صائم
مدعو على مائدة الله جل جلاله . قال له : أتصوم اليوم وهو شديد الحر ؟ قل : نعم أصومه ليوم
هو أشد منه حرًا . قال : أفطر اليوم وصم غدًا ، قال له : وهل اطلعت على الغيب فرأيتني
أعيش إلى الغد ؟ قال الحجاج : فاطلب ما تشاء نمطك . قال الأعرابي : أنتستطيع أن تدخلني
الجنة وتباعد بيني وبين النار . قال : لا . قال الأعرابي وهو منصرف : إذن فدعني مع الذي
خلقني فهو يهدني . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يبيتنى ثم
يحيين . والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .. إنه أعرابي ولكنه جمع الحقيقة كلها في
كلمات . إنه يتكلم بلسان اليقين ومنطق الحق المبين . إنه لا يملك الروح والرزق إلا الله
وحده . قال صلوات ربي وسلامه عليه « ما قدر على فكيفك أن تمضاه ، فلا بد أن تمضاه ؛
فامضه بعزة » .

لا تعجلن فليس الرزق بالمعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
قلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

دعوة أخرى من جامعة عين شمس

في أحد أيام شهر مارس ١٩٦٦ ووجهت إلي دعوة حضور حفل إسلامي في جامعة
عين شمس . شاركتني فيها بعض كبار الدعاة وكان حفلا بهيجا اغتصت فيه المقاعد
بالحاضرين حتى لم يبق فيه مكان لتقدم . وبعد أن فرغنا من الحديث فتح الباب للأئلة .
فاستأذن الذين كانوا يشاركونني الحفل لما هم من الارتباطات في أماكن أخرى . وأصبحت
وحدى في تلقى الأسئلة وكانت متنوعة يدل الكثير منها على اتجاهات السائلين . وقد علمتنا
الأيام في مجال الدعوة أن هناك أسئلة قد لا يكون الغرض منها طلب الإفادة إنما المقصود بها
أن تكون مصايد وشراكا يقع انجيب فيها لأن السائل قد يكون مريض القلب ، سقيم

الوجدان ، حارب الضمير . وقد كان من ضمن الأسئلة التي علمت أن سائلها يريد أن يحفر
بها بئرا ، لا يريد بها علما سؤال قال صاحبه : هل الاشتراكية من الإسلام ؟ .

وكانت الاشتراكية يومذاك ديننا اتخذها الحاكم من دون الله ، أخذ يتفنى بهذه الكلمة في
خصبه ، فجعل منها بدبلا عن ذكر الله . ورأيتني أمام هذا السؤال واقفا على مفترق الطرق :
إما أن أقول الحق فأدخل السجن وإما أن أنافق الحاكم فأدخل النار وإما أن أقول لا أدري فيقول
ذلك على أنه هروب من الإجابة فإن هؤلاء القوم لا يعرفون : لا أدري . فمن ترعب على
منصة الحديث عندهم ، لا بد أن يكون قد جمع علوم الأولين والآخرين .. ولم يكن هناك يد
أن أقول الحق والله عاقبة الأمور . فقلت : يا أيها السائل إن الإسلام نظام إلهي متكامل نزل به
الروح الأمين على صاحب الرسالة العصماء ، فهو وحى معصوم انتظم شؤون الدنيا
ولآخرة . أما الاشتراكية فهي مذهب اقتصادي وضعي . والإسلام كل لا يتجزأ ،
ولا تنقسم منه عروة عن عروة . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾
أي خذوا شعب الإسلام كاملة غير منقوصة . وذلك مصدقا لقوله جل شأنه في آية أخرى :
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ وتقبل
استنعمون هذه لإجابة بقول حسن . وحدث ما كنت أتوقعه : ونفذ القضاء في اليوم الذي
حدده صاحب العظمة والكبرياء جل جلاله .

مهاجمة المنزل مرة أخرى

في يوم الخميس الموافق الرابع عشر من شهر إبريل ١٩٦٦ تم اقتحام المنزل وكنت قد
أعددت خطبة الجمعة بناء على حدث وقع في العراف وهو قتل المشير عبدالسلام عارف .
وكنت قد هيأت في نفسي كلاما يتركز موضوعه في عظمة الله وسلطانه ، وفي ضياء قوله
جل شأنه : ﴿ ولا تدع مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه . له
الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

تمت عمية التفيتش ثم أمرت بالذهاب مع هؤلاء ، وقيل لي ساعتها إنها خمس دقائق لن
تريد ثم تعود . وركبت سيارة أخذت طريقها إلى مكان نزلت فيه ، وكنت يومها صائما
وظللت مع الخارس في هذا المكان . وأشهد أنه كان غليظ القلب فيه جفاء وقسوة ، ذا
صوت مقلق . سألتني ولم يكن معنا ثالث إلا الله : فإذا أمرت من رئيس في العمل أن أضربك
حتى الموت هل علي من ذنب ؟ قلت له : نعم . قال : وكيف وأنا عبد مأمور ؟ قلت له :
تستطيع أن تنصرف دون أن تكون شريكا في الجريمة . أمامك الحائط فاضرب كيف شئت
من دماغ لن يراك أحد إلا الله . وأردت أن أستنصره معه في الحديث لأشغله عن أفكاره

الشيطنانية . فقلت له : إن المؤمن كئيب فإني يستطيع ان يتصرف في الأمر ما دام صادراً من جهة تضر العباد والبلاد . فقد رووا أن الإمام مالك بن أنس سأله شاب فقال له : يا إمام إن أباي طلق أمي وإن أمي طلبتني فممنني أباي . فماذا أصنع ؟ قال له الإمام : أطع أباك ولا تعص أمك أي : صل أمك ولا تذكر ذلك لأبيك . وهكذا يتصرف المسلم في حدود طاعة الله تعالى : ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ . وأذنت المغرب وجرى لي بما يسمونه باكوي بكسوت وكوب من الماء . وحمدت الله تبارك وتعالى على ما ساقه إلي من الرزق . وبعد قليل جمعونا استعداداً للرحيل ، وكانت مفاجأة كأنها صدمة كهربائية ، عندما رأيت الكثير من الذين معي في مبنى الداخلية ، كانوا يؤدون الصلاة معني في مسجد الشهداء بالسويس . وأخذت أفكر في المحيط الذي جمع بيننا ، وما هي الصلة التي ربطت بين من يسكن القاهرة وبين من اختار مدينة السويس منزلاً ؟ وهل ترددي على هذا المسجد لأداء بعض الخطب هناك يوم الجمعة هو الذي جاء في إلى هذا المكان ؟ ثم ما هي التهمة التي سوف توجه إلي ، وأنا من فضل الله علي ما كنت يوماً من الأيام مقترفاً لجريمة أو آتياًً بجناية . لقد كنت كما يقولون في المثل المصري : ﴿ من بيته للجامع ﴾ فماذا حدث إلا أن تكون القضية بلغة الذئب الذي قال للحمل : ﴿ لقد عكرت علي الماء - وهو يعلم أن ماء لا يجري في العلالى - ﴾ .

مهما يكن من أمر فسوف تتضح المسائل المهمة وتتمك الأطلام وتحل الألفاظ ، وقطع تفكيرى علي صوت نادى على أسمائنا وجمعتنا في سيارة نضعت بنا لطريق إلى مكان إن صح أن يقال فيه شيء فهو مقبرة الأحياء ومُسْتَمْت الأعداء ، ومُحْرَق الأصدقاء ، ومُفْرَق الأحياء .. وجرى بالأعظمية التي تغطي الأعين حتى تحجب الرؤية . مع أن الساعة قد بلغت العاشرة مساءً والليل قد أرخى سدوله ، لكنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .. ما الداعي إلى أن يوضع على العينين غطاء سميك إلا أن يكون ذلك تشبيهاً للإنسان الذي سخره الله بالحيوان الذي يسقى الحرق بالسانية ؟! هل هناك أسرار بلغت من لدقة ألا يراها مواضع في بلده الذي منها نشأ وعلى أرضها ترعرع ، نشق نسيمها واستضاء بشمسها وقمرها . وعاش على عيون الله التي بارك الله فيها ؟! لقد علمت أن هذا المكان هو القلعة ، وصاحت أصوات مرعبة تأمر بتوزيعنا على الزنازين . ودخلت في الزنازة لأول مرة . ورأيتني أتحسس أربعة جدران فيها حديد معلق ، فذكرت عندئذ دخول القبر حيث لا صديق ولا رفيق ، ولا جليس ولا أنيس وكأني بالنداء العلوي من الحق جل جلاله يقول : (عبدي رجعوا وتمركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك . ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا أموت) ..

تذكرت هذا النداء فأنس وحشيتي ، ورحم غربتي ، وبعث بنور السكينة في قلبي .. لم يكن في الزنازة فراش ولا غطاء والمكان قارس البرد ، وأرض الزنازة تكاد تأكل الأجسام الصلبة ، فقد بطنت بطبقة من الأسمنت فضلاً عما فيها من الحشرات المختلفة الأنواع من قارض وقارض واسع . استسلمت لقضاء الله وقدره ، وخلعت جبتي ففرشتها وخلعت حذائي فتوسدته ، وأدخل لي السجان كوباً من الماء ، ثم أغلق علي الباب فمت مرهقاً من شدة الإعياء يوماً كان أشد من الإرهاق نفسه .

في منتصف الليل

أشهد أن العذاب النفسي في تلك السجون وهذه المعتقلات لا يقلل أما عن العذاب البدني فمن الذي يستطيع أن ينام نياماً أو يهزأ بأصوات الضحايا تملو ثم تبص ، ثم تخفي ، وقد يكون اختفاؤها إلى يوم يعنون يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿ وأزلت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار فكيف كانوا فيها هم والغاوين وجنود إبليس أجمعون يومئذ يتدمون حيث لا ينفع الندم ويقولون : فمأنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فكنون من المؤمنين وهم يصطرون فيها ربنا : أخرجنا عمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فيقال لهم : أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير .

وليس لأحد أن يوجه هذا السؤال إلى أي معتقل أو سجين فيقول له : هل عذبت ؟ ورأيت إن هذا السؤال فيه مغالطة فكفى بالاعتقال عذاباً وبالسجن ألماً ولوعة !! إنه إهدار لأدمية الإنسان وإذا كان هناك دوافع فطرية كالإشباع بعد لوعة الجوع والإرواء بعد غيب الظم والإخراج الذي يؤدي عدمه إلى تسمم الجسم واستنشاق الهواء والعيش في الضياء والنوم الذي جعله الله آية من آياته فقال : ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله ﴾ فالطعام والنوم والماء والإخراج والحربة والهواء كلها دوافع فطرية جعلها الله حقا لكل مخلوق له كبد رطبة ، كيف يقال لمن دخل السجن هل عذبت ؟! أليس حرمانه من كل هذه الحقوق الفطرية عذاباً أليماً مهيباً ؟! أم تسمع قول رسول الله ﷺ : (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، هذه هرة حبست فاستحق حبسها النار وعذابها !! فما بالك تحبس الموحدين الصابرين الصادقين الثابتين المنفذين والمستغفرين بالاسحار !! فإذا أضيف إلى هذا العذاب العذاب البدني كان نصاب ودحاً وحضب حسيماً كيف يضرق الكرى جفون قوم

يستمعون إخواننا لهم بصطرخون ويولون ويصيحون ويثنون من شدة العذاب فمتهم من ينادى سأ موت سأ موت أرحمني عشان خاطر ربنا .. آه !! آه !! بالله أحد أحد اتقوا الله يا هؤلاء !! إنها كلمات تقض المصاحح وينخلع لها الفؤاد ألماً ولوعة وتسيل لها الكبد مرارة وجوى، وبعد ما انتصف الليل فتح باب ززانتي بعنف شديد فعمت من نومى فرعاً وبصوت كالرعد يصم الأذان قال لى أحد الجلادين: قم للتحقيق وصعدت درج سلم فى جو مشحون بالصراخ والوعيل وجلست أمام محقق .. هل ذهبت إلى مسجد السويس؟ قلت: نعم. قال لماذا؟ قلت: لأقوم بخطبة الجمعة هناك. أين كنت تبيت ليلة الجمعة؟ قلت: فى منزل مخصص للاستراحة قال ففى أى نبيء كنتم تتكلمون؟ قلت: كنا نتكلم كلاماً عادياً. قال ألم تتكلموا فى غلاء الأسعار؟ قلت: لا. فأمر بانصرافى ونزلت إلى ترزانة محبوساً حسبا انفرادياً ووضعت جنبى على الأرض أحاول النوم ولكن دون جدوى فبعد ساعة أو يزيد فبلا فتح الباب مرة أخرى، حيث ذهبت للتحقيق، وأعيدت الأسئلة مرة أخرى إلى سمعى، وأجبت عنها بنفس الإجابة، ثم عدت وفى صباح يوم الجمعة وهو اليوم الثانى من اعتقالى وكنت فى ميسس الحاجة لى أن أذهب لى دورة المياه فقد حصرنى ببول فرد على الحرس بغلظة وفظاظة فتلا غير مسموح لك بذلك وأمامك نمت ساعات لا طعام، ولا شراب، ولا قضاء للحاجة، ومهما قلت عما لا يقناه فإن البيان يعجز، وإسان يقف، وإحسان يصاب بأصداع، والحياة يمنع مما وقع للمسلمين، فى تلك الأيام النحسات !! ولكن كى أضع أمد القابى صوراً مما وقع لى سجون مصر ومعتقلاتها، فإبنى أقل هذه ناسى منك المفجعات من كتاب (باشوات وسوير باشوات) للدكتور حسين مؤنس تحت عنوان منح رقم ٦ (خلف البواب السوداء).

«مهما بلغت كراهة الإنسان لأخيه فإنها لا ينبغي أن تهبط به إلى مستوى هو دون مستوى البشر وفى الصفحات التاية التى نقتبسها من كتاب الأستاذ أحمد رائف «صفحات من تاريخ الإخوان» التاريخ السرى للمعتقل (القاهرة بدون تاريخ) صور لمواصين مصريين بلغوا فى تعذيب إخوانهم مبلغاً يهبط بهم إلى مستوى الوحوش الكاسرة وليتهم مع ذلك كانوا يعذبون إخوانهم لحساب أنفسهم إنما كانوا يؤمرون بالتعذيب فيقبلون عليه وكأنهم يتسلون بما يفعلون هؤلاء لى يفخر الله لهم أبداً وستردد هذا الكلام بعد أن تقرأ تلك الصفحات التى تربنا صورة من الجانب الأسود للمصر الناصرى إنها حجرة فى الدور الأرضى على يمين الداخل من بوابة السجن الحديدية الكبيرة تقع أمام بئر الماء لها نافذة تطل على خارج السجن كبير حيث فناء السحن الحرفى ويقع المستشفى أمامها مباشرة وتبدو مكاتب التحقيق بعيدة فى نهاية الطريق تؤدي إليها.

والحجرة لا تتسع لأكثر من عشرة ذبى ضيقة بالنسبة للعديد الكبير الذى وضع فيها وقد أشرفت علينا شمس النهار وعدادنا خمسة وأربعون بينما مساحة الحجرة التى يطلقون عليها مخزن رقم (٦) حوالى مترين فى ثلاثة أمتار وكانت تفوح فيها رائحة البول والبراز والصديد وتنطلق منها الأنات الخافتة المكتومة فالتعليمات تقضى بعدم صدور أى صوت وإلا فسوف تدخل الكلاب الجائعة التى تثيرها رائحة الجروح !!

وهنا ينبغي التنويه لقد دخلنا المخزن وليس فىنا واحد إلا وبه بعض الجراح والدم يسيل دون توقف أدخلونا المخزن فى فزع وخوف فتساقطنا فى ظلامه كل منا فوق الآخر وجمد كل منا بالوضع الذى قذف عليه حتى مطلع النهار فقد قال الحراس إنهم لا يريدون أصواتاً أو حركة فالوت جزء من يفعل وكنا نعرف أنهم لا يكذبون فى مثل هذه الشهديدات شد عن هذا واحد منا كان يجيب بوليه وكان أقلنا فى الذهاب لى دورة المياه قد انتهى عهده بها منذ ست وثلاثين ساعة وبعد فترة قصيرة فتح الباب وظهر من فرجته شيخ جدى عملاق كرية المنظر قد أمسك سوطاً فى يده وصرخ فىنا:

هل هناك من يريد الذهاب لى دورة مياه؟

وسكتنا جميعاً.

وفتح الجندى فمه بسباب فذر بذىء ثم صرخ ثانية مكرراً نفس السؤال وكان الظلام شديداً فكان من الصعب أن ترى الانفعالات المختلفة على الوجوه وكان خوف هو القاسم المشترك بيننا بطبيعة الحال وتشجع أصحابنا وطلب الذهاب لى دورة مياه وكان نواء فى الجيش فأخرجته الجندى الكرية المنظر من المخزن بعد أن مر هذا الزميل فوق جثث زملائه المكتومة دون ترتيب وأمام باب المخزن حيث الأنوار الخافتة المنبثة من المصابيح الموجودة فى المكان ضرب هذا الضابط الكبير ضرباً شديداً موسعاً ثم جاءت الكلاب وبهفت من لسه أماننا وبعد هذا كله ألقوه فى البئر وعندما أوشك على الموت أخرجوه وأدخلوه إلينا. يقطر دماء وماء وتركوه يرتجف حتى جفت ملابسه وحدها وكانت هذه العنفة مدعاة لاستغناؤه عن الذهاب لى دورة المياه فقد تبرز الرجل وبأل على نفسه وصارت رنحته تركة الأنوف القريبة منه وكان منها أنفى وبقي كل فى مكانه يجتر أفكاره والآمه فى صمت رهيب ولم تكن تسمع همسة أو تحس بنأمة وكل ربع ساعة تقريباً يفتح الباب، ويقذف بنا بمعتقل جديد، يقذف كما يقذف جوال ملء بالبيطاطس مثلاً دون ما اهتمام، وفى العادة يكون هذا الشخص عائداً من التحقيق أو من منزله.

وكان الظلام شديداً فم نستطيع تمييز وجه أحد، ولكن كانت هناك أهد تمتد فى الظلام لنكتم الأنات الخافتة، الصادرة من أفواه الجرحى خوفاً من بضاح الجود، وكان جوعنا

شديداً وعطشنا أشد ، ولكن ! ما الجوع والعطش بجانب هذا الخوف العارم الذي يقتلع القلوب من الصدور ؟ وبعد مدة سمعت أحدهم بهمس : يا جماعة ..

وانبرى إليه صوت الضابط الكبير الكريه الرائحة من ملابسه المسخة بالبول والبراز :

ماذا تريد ؟ ألا يكفيك ما نحن فيه ؟

ولكن الصوت الهامس قال بإلحاح لقد اكتشفت شيئا هاماً !!

وما هو ؟

بجانب الباب وعاءان من المطاط .

ماذا تعنى ؟

أظن أن أحدهما للبول والآخر للشراب ولكن لا أدري على وجه التحديد أيهما للبول وأيهما للشراب !!

وقام أحدهما بخفة وبلطف شديد ينبول الواحد في إناء ويشرب من الآخر وفي هذه الليلة المباركة شربت البول لأول مرة في حياتي ولم يكن ضمعه مريحا على أية حال : وليس هناك داع لأن أقول إن أحداً منا لم يذق طعم النوم في هذه الليلة وربما ليالي أخرى أنت في أعقابها ، وكانت الآلام التي واجهناها وعاشناها تشعنا قليلا عن التفكير في التحقيق الذي قد يدعى إليه أحدهما في أية لحظة من اللحظات !!

وقد قدر لي أن أعيش في هذا الانتظار أكثر من أربعين يوماً حتى أرسلت بعدها إلى التحقيق وقد رأيت كم هو مخلف عن مثيله في أبي زعبل إنه القتل تحت السياط والأسياخ الحمراء ، وخلع الأطافر ونهش الكلاب وأسلاك الكهرباء ، أو تحت وطأة ركل الأحذية الثقيل .

وفي رحلتنا عبر هذه الليلة الرهية فتح الباب وقذف إلينا باثنين ثم نودى على أحد الأسماء وقام صاحب الاسم يرتعد خوفاً ورفقاً ، ونحن نستمع إلى صرير أسنانه وصرت أركز بصري في الظلام ، واستطعت أن أتبينه وهو يمر من فرجة الباب خلال الضوء الشاحب الآتي من المصابيح المنتشرة عبر الساحة كان الضابط المسكين الذي لم يسترح من علقه المساء ، لقد طلبوه للتحقيق وإني أعتقد بعد مرور ذلك الوقت الطويل أن كل من بالمخزن قد شاركني دعائي الحار حتى يخفف الله من آلامه ، وهو ذاهب إلى مصيره المجهول !!

ومع الحيزوت الأولى للنهار حيث استطاع كل واحد منا أن يتبين وجه زميله فتح الباب وظهر أربعة من الجند الأشداء يحملون الضابط الكبير وقد تمزق جسده من السياط وأكلت

الكلاب من جسمه حتى شبعت وفي لمح البصر سمعنا صوتاً لظننا أنه فوقنا ولم يجرؤ واحد منا على نسه أو تخفيف آلامه التي كانت ممثلة في أناته الخافتة المعطبة ، وكانت ملابسه غارقة بالدماء وكان من الصعب أن نعرف مصدر التزيف كان جسده جرحاً كبيراً غائراً ينزف دماً من كل مكان ومع إشراقه الشمس فتح الضابط عينيه عن آخرهما ثم أرسل صرخة عظيمة تحيل إلى معها أن جنات السجن قد ارتجت ثم سكت إلى الأبد !!

وكانت خسائر هذه الليلة الثين من القتل وأكثر من أربعين جريحاً كما علمنا فيما بعد .

جاء الجند وحملوا جثة الضابط المسكين في بطانية من الصوف إلى حيث لا يعلم أحد وطلع نهار واستوت الشمس وذببت الحركة في آلة الرهية .

لا أكنتمكم أن أحداً لم يحزن على واحد من الذين ماتوا في الليل ، لم يكن في قلب أحدها مكان لتحزن ! فقد عطى الأم والخوف كل جوانحنا ! وكنا نغيب الثين بنحون من العذاب بالشهادة ، والذهاب إلى الله .

فتح باب المخزن قليلا واستطعت أن أتبين فناء السجن من خلال عيني اللتين أضناها السهر والأم وأغرة البول في تلك الليلة الحارة .

ورأيت منظرًا لا أنساه !!

مجموعة من جند يهالون على شيخ بالسياط ضربا وهو يصرخ ويستغيث ولا تجيبه سوى فرقة السياط الملتجة على جسده الواهي الضعيف وسكت الشيخ أخيرا بعد أن يبح صوته من الاستعفاف وطلب النجدة ، وظلت يداه مرفوعتين إلى لسماء تصافية ولا أدري .. أكانتا تحتجان أم تتوسلان ؟ وعلى الجدار المواجه كانت صورتان لجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر مرسومان بالريت ولم تكونا من رسم فنان بل كانا رسما شبيها برسم لأطفال في السنة الأولى من المدرسة الابتدائية وفوقهما حكمة مكتوبة بخط واضح : كنت أخلدع الحياة كي أعيش كما أريد ، ولا أدري من كتبها أكان مكتوباً مثل أم أحد الجلادين ، كنت أشعر أنني في كابوس مزعج ولا أحتمل التفكير فيما يدور حولي ، لم يكن هناك ثمة سبب يبرر كل تلك الآلام ولم أتصور الشكل الذي ينتهي عليه هذا الحلم المزعج ، وكنت أحسب ألف حساب لكل لحظة قادمة كانت الطاحونة التي تهرسنى كل لحظة أقوى من طفتي كإنسان محدود الطاقات ، كان الزمن شيئاً مرأ كالعلقم أو أشد مرارة ولم يكن أمامي في مواجهة هذه الأحداث غير الاستسلام الكامل ورويدا رويدا أصبحت أبعد التذمر عن قنبي وأتذكر المؤمنين الصادقين الذين بنوا الإسلام على أكتافهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ودعوا من نسي أن أكون منهم وأن أتحمل هذه الوطأة القاسية دون اعتراض أو احتجاج .

دخل جندي كريمة الوجه واليد واللسان ، عرفت أن اسمه « الروي » ، وانها علينا هذا « الروي » بسيل من الشتائم البديهة ، وكنا نفهم بعضها ونعجز عن فهم بعضها الآخر ، لكننا على ثقة من أنه يسبنا سباً فيحاً ، كأن يحمل في يده وعاء قدراً وبأصبعه المتسخة صار يعطى كل واحد منا قرصاً صغيراً من الطعمية الرسمية ، وعاد التوزيع وأذكر أنني لم أتفرز. كان الأمر كما قلت لكم أكبر من التفرز ومن كل شيء ، ثم ألقى فوق رءوسنا حفنة من الأرغفة وانصرف .

وأحصينا الحيز فوجدنا أنه كسرات مجموعها ما يوازي خمسة أرغفة وكان عددها قد قارب الخمسين ، فكان لكل عشرة رغيف واحد من الحيز .

بعد جوع طويل ورغم هذا فقد رفض الكثير منا تناول هذا الطعام ولم يكن الرفض احتجاجاً أو تكبراً ، بل كان الخوف يجعلنا لا نحس بضرورة الجوع وبعد قليل دخل « الروي » نفسه وأعاد على مسامعنا ما سبق أن قاله وكان ممسكاً بيده اليمنى سيخاً طويلاً من الحديد .. وفي يده اليسرى .. كوباً من الألمنيوم القديم قد امتلأ حتى حافته بالشاي ...

وبسيخه الطويل شج رءوس بعض المساكين وانسكب قدر كبير من الشاي الموجود في الكوب أثناء ضربة لنا ، ثم أعلن لنا مفاجاته .. كانت بقية الشاي الموجود في الكوب هو ما تقرر صرفه للخمسين المجتمعين في مخزن رقم ٦ الرهيب .

وفي هذه المرة رفضنا أن نشرب الشاي/احتقاراً من الكل شيء ... وبقي في مكانه حتى الظهور ...

واكتشف الروي أننا لم نشربه/فضرتنا جميعاً علقه ساخنة ..

وبعد ذلك أنانا جندي آخر أشد شاعة من صاحبه .. لقد تقرر أن نذهب إلى دورة المياه لنفسي حاجتنا ونغتسل ونشرب بدل البول ماء زلالاً من لصناير .. ولم تم الفرحة .. ذهبنا إلى دورة المياه المقامة بالدور الأول عدنا والسياط والكلاب تنوشنا من كل ناحية .. ظهورنا ووجوهنا ورءوسنا . وأدخلوا كل واحد منا مكاناً ، وكان المكان قدراً جداً والبراز يملأ كل شبر فيه ، ولا توجد نقطة واحدة من الماء .. ليس هذا فحسب .. بل فوجئت - عندما أغلقت الباب وهمت أن أفعل شيئاً - بالجندي وقد فتح الباب في قسوة وانها على ضرباً بالسوط .. وارتيكت ولم أفهم ماذا يريد هذا المخلوق بالضبط .. كان في نظري مجرد مخلوق من مخلوقات الله ليس إنساناً وما ينبغي أن يكون .. أسود الوجه .. غائر العينين تبعث من فمه رائحة كريهة تننته بفعل التعفن الذي أصاب اللثة والأسنان من زمن بعيد .. وكانت البقع الجلدية الباهتة البيضاء تنخلل وجهه الدميم .. وتذكرت داروين وحلقته المفقودة .. وكذلك مر بمخيلتي الكاتب النرويجي ..

وانطلق من فمه الأهم صوت كالزئير :

- اطلع بره بالين الكلب

- يافندم لسه ..

- أنت بترد على ياجربوع ياخاللة .. يا .. يا

والسيوط يفرقع في حمية وشدة وحماس ...

وعدت إلى المخزن .. وما استفدت شيئاً في هذه الرحلة المشقومة إلى دورة المياه غير العلقه الساخنة .. تلك التي تركت آثارها جروحاً في وجهي وعلى كفتي وظهري ورأيت الباقين وهم يهرولون كالغتران المذعورة .. والجند وراءهم كاللوحوش والسياط والكلاب تعوى في الفضاء الخائض عبر ساحة السجن الكبير .

وجلست مكوماً ساخناً بين عشرات الأجساد التي أهبها حرارة السباط وعرفت أن أحداً لم يقض حاجته .. وظلت لوجوه صامتة قائمة عليها غيرة غريبة ثم حرك أحدهم يده في عصبية وانخرط في بكاء مرير .. ونسى نفسه وتمم بكلمات :

هذا ظلم !! .. هذا ظلم !!

وقال له ناظر المدرسة الثانوية الأشيب الذي حنكه الأيام :

- كنا نعرف أن هذا ظلم .. فاضبط نفسك ولا تنطق بكلمة واحدة .. فنحن

لا ندرى من سيموت منا هذا النهار !!؟

وخيم صمت على المخزن لم يقطعه إلا صوت السباط العاوية والصرخات المكتومة تأتينا

من بعيد ..

وعاد كل واحد فنا يحتر أفكاره في شروء ..

وكان كل ما يشغل تفكيرى تلك الكلمة التي قالها لي الضابط في معتقل القلعة ..

شعبان « بتاع الخانكة » .. نهن أنت ؟ سيكون هلاكى على يدك يا شعبان .. بسألونى

عنى وأنا لا أعرفك .. وسأموت من أجل جهلى بك ... ولكن الموت تحت السباط شيء

رهيب يا شعبان .. ربما يجلدونك في هذه اللحظة ..

وجدتني أسأل الموجودين في صوت ضعيف :

- يا جماعة .. هل فيكم من يعرف شخصاً من الخانكة اسمه شعبان ؟

وبصوت هامس استجاب لي صوت متأفف النبرة :

- أنا من الخائفة ولا أعرف فيها من يدعى « شعبان » غير رجل في الستين من عمره يعمل قراشاً في الوحدة الصحية .

واقتربت منه بإلحاح :

- هل له علاقة بك ؟

- لا أظن .. إنه رجل أمي ولا يفهم شيئاً من شؤون سياسة ..

- هل له علاقة بالإخوان ؟

- ومن أدراك ؟

فأجابني في تأفف خوفاً من حضور الجند :

- أنا من الإخوان .. صدقتي .. ليس في المنطقة كنه شخص واحد في جماعة الإخوان يحمل هذا الاسم ..

وعدت إليه في إصرار وتوسل ..

- أرجوك ..

- ماذا تريد بالضبط ؟

- أعطني أية معلومات عن شعبان ..

- فراش الوحدة الصحية .

- نعم ..

- ماذا ؟

- سوف يسألونني عنه ولا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق ..

وأجابني بتذمر وكأنما أراد أن ينهي الحديث .. فكل ما به مشكلته المعقدة ..

- لقد قلت لك .. هذا رجل مسكين ولا يعلم عن عالم شيئاً .. وربما لم يغادر

الخائفة أبداً ولم يكن له أي نشاط سياسي .. وربما لا يعرف من يحكم مصر في هذه الأيام

هنا « الشعبان » الذي يسألونك عنه لا يمكن أن يكون من سبينة الخائفة .. فلا تشغل

بالك وتشغلي معك ...

- ولكن ...

قاضي :

- أرجوك أن تسكت .. في رأسي ما يشغلني .. وليس عندي كلام عن « شعبان »

أكثر مما قلته لك ..

وعاد إلى نظراته الشاردة وإلى ما في جوفه من خوف وهلع وانشغال ... وفشلت كل محاولاتي معه لأجعله يتحدث عن شعبان .. ومن بين النظرات التائهة الشاردة صرت أنفحص الوجوه وأناملها بطريقة غير واعية .. كان الألم يفترسها افتراساً .. وكانت وجوها مصفرة كتيبة عليها آثار التراب المختلط بالدم المتجلط .. وكان في بعضها دم مازال رطباً طازجاً يتزف من جرح في أعلى حاجب ذلك الوجه .. ويبدو أن صاحبه لم يلتفت إليه فقد كان في حالة شرود كاملة ... كان الدم يتساقط على وجهه وملابسه ولا يفعل هذا الإنسان شيئاً سوى أن يرمحه بأصبعه إذا اقترب من عينيه ..

وصرت أنتقل ببصري من وجه إلى آخر ... وأجدها جميعاً متفضضة ولا شيء يميز بعضها عن بعض .. ثم وقف بصري على وجه .. كان صاحبه قد أتى قبل أن يطلع النهار ولا أدري لماذا ركزت عيني على مكانه في الظلام حتى أستطيع أن أراه بوضوح عندما يطلع النهار .. وقد شغلني قتل الضابط للحظات عن أي شيء آخر ... والآن وانت الفرصة لا تمل هذا الإنسان ...

كان وسيم الوجه ... في الخامسة والعشرين - هكذا خيل لي - على شغفته ابتسامة مينة ... أو ابتسامة في طرفيها إلى الموت . يرتدى ملابس فاخرة - حليق الذقن والشارب ... وكان يداعب أصبعه الوسطي في يده اليمنى في شرود ثم يرسل نظرات إلى المكان .. ويحاول أن يبحث ابتسامة ولكنها مائتة أو كانت في طرفيها إلى أن تموت وصرت أمر بين الوجوه ثم أعود إلى هذا الوجه .. ولاحظت صاحبتنا أنني أعاود النظر إليه بين الحين والحين .. وكنت أسأل نفسي .. ترى هل رأيت هذا الإنسان قبل ذلك ؟ ... لقد كنا جميعاً نقف على حافة الأبدية .. وكانت رائحة الموت تملأ أنوفنا ... فقد كان الموت هو الحقيقة الوحيدة التي مارسها في هذا المكان ..

واقتربت هذا الشاب بوجهه مني .. فقد كان لا يعد عنى بأكثر من شهرين .. وباهتمام بالغ مهتم في أدنى :

- أريد أن أفصي لك بشيء بالغ الأهمية !!

وارتعدت فرائصي .. ماذا يمكن أن يقول هذا الشاب لي ؟ وقلت له وكأنني أدفع خطراً عني :

- أنا لا أعرفك ... ولم أرك من قبل الآن ...

وكانه لم يسمع كلامي ..

ونجلى إلى لحظاتها أن ابتسامته قد بعثت .. ولكنى عرفت بعد ذلك أنه كان وهماً
صوره لى اقتراب وجهه منى ..
وقال لى :

- اسمى عاطف .. أعمل فى بنك مصر ...
- ياسيدى لا أعرفك .. واسمك لا يذكرنى بشئ ..

وقلت لىفى ربما يكون هذا الشاب فى ورطة .. ونجلى أنتى أستطيع أن أمد له يد
المساعدة ... وفى نوبة من نوبات الشهامة .. قررت أن أستمع إليه .. والنفت إلى
فى حصة .. وأنتى نظرتة الحزينة .. وقلت له :

- ماذا تريد ؟ ... أنا تحت أمرك .. لىنى أستطيع أن أقدم لك شيئاً ..
- ألا تعرفنى حقاً ؟

- كلا
- حول أن تتذكر ... وجهك ليس غريباً عنى ... نجلى لى أنتى رأيتك فى مكان ما ...

- صدقنى .. لم أرك قبل الآن ...
- لماذا يبدو وجهك مألوفاً لى إذى ؟

- لست أدرى ..
- هل تستطيع أن تكتم سرأ ؟

- فى هذا مكان ؟
- نعم

- لى من نجير أن تحتفظ بأسرارك هنا ؟ ربما ...
- ربما ... ولماذا ربما ؟ يستطيع أى إنسان أن يكتم سرأ

- إذا كان هذا الإنسان أقوى من السوط ...
- وهل السوط أقوى من الإنسان ؟

- لست أدرى ، ربما ...
- تصحكت بالبريى ...

- دعنى من هذا سأقول لك :

- ولماذا تقول لى أنا بالذات ؟
- وجهك يبدو مألوفاً لى ...

- ألا تحبى أن يخونك التقدير ؟
- وماذا به .. ؟

- فى الحقيقية أنك تثير اهتمامى ..
- كأننا أصدقاء ..

- فى الماضى كلا ..
- أقصد أن تتصادق الآن ..

- أنت تمزح ولا ريب ..
- كلا .. أنا أعنى ما أقول ..

ووجدت لىفى أنتى ابتسامة ساحرة من ذلك الإنسان العجيب .. أنتى مثل هذا
الوقت تحاول أن ينشئ صداقة !! ربما إحساسه بالخطر الذى يدفعه إلى الارتباط .. ربما
يزيد أن يحتمنى خلف شئ ما .. ربما .. ربما ..

وجدت وجهه صبوراً نبيلاً مليئاً بالأسى .. ونظرة صافية حزينة تشع من عينه ...
وابتسمت من جديد ... وكانت ابتسامة عذبة مخلصه .. وكانت لحظة سعيدة .. وكدت
أضحك وأنا أقول له :

- أنا موافق ... لا بأس أن تكون أصدقاء ... اسمى ..
- فقاطعتنى ...

- لست أن أقول لك السر ...
- أى سر ؟

- السر الذى حدثتك عنه قبل قليل ..
- لا بأس ... لى مصغ إليى ..

- وتفتت حذراً هنا وهناك .. وبدت عليه علامات الجد والاهتمام ...
- الموضوع له علاقة بنبيلة ...

- نبيلة ؟
- اصبر ... سأذكر لك كل شئ فى حينه ...

وبدا الحرف | يغزو لىفى من جديد .. وغاضت سعادتى .. كنت أريد أن أبعد بأى
اسم لى فتاة عن هذا المكان ... فأى اسم يتردد وعلى أية شفة ممكن أن يأتى خلال ساعة من
الزمن ... ولو كان هذا الاسم لعفريت من الجن على حد تعبير أحد الضباط ... ولكن عاطفاً
هذا لم يكن مفتتاً إلى أفكارى التى تتساب عبر عقلى ... ويبدو أنه كان يريد التحدث
فقط .. وأتأتى صوته ضعيفاً :

- كنت أحبها ... حباً عميقاً ... وكانت هى كذلك ..

- نحن نتاديهن في الظاهر ... أما حقيقة الأمر فنحن نخدم اليهود المخلصون ...
 - نحن من ؟
 - المباحث الجنائية وسائر أجهزة الأمن ومن يوجههم ...
 - أنت تقول كلاماً خطيراً ..
 - أنا أقول الحقيقة ... كل هذا يضعف الأمة فلا تقوى على الحرب ..
 - أية حرب ؟
 - بعد أن ينتهي هذا المعترك سوف ندخل في حرب مع إسرائيل ... ونهزم أمامهم هزيمة منكرة تقتل روح الأمة ..
 - لعمرى هذا أمر غريب ..
 - ستأتيكم الأيام بما لا تعرفون ..
 وكان عاطف شارد الذهن ولعله يدرك شيئا من هذا الحوار ولكنه كان يتمم :
 - عندما أتينا ذهبوا بها إلى مكان ... يقولون الثين ... وهنا أخذ الأماشي دينة الزواج ...
 - أكانت دينة من الذهب ؟
 - وأجاب عاطف :
 - نعم .. كانت كذلك ..
 - ألا تعرف أن الذهب حرم على الرجال ؟
 واستغرق كل في أفكاره .. وأنا أفكر في شعبان بناع الحانكة .. وعاطف يفكر في زوجته والشيخ يفكر في اليهود القادمين .
 قطع علينا الصمت الذى يجيم على المزون صوت فتح الباب في جلبة وضوضاء ..
 ودخل جندى كرهه كأصحابه .. يحمل في يده ماكينة خلاقه مما يستعمله اخلاقون حلق الشعر وكان يمسكها بطريقة محيطة .. كأنه يمسك بألة حادة بهم أن يطش بها بإنسان وتكلم كأنه ذكر الخنزير ...
 - بأولاد ... بأولاد الكلاب .. باحشرات ... ستحلقون رؤسكم القذرة بعد فليل بأبناء العاهرات .. وهذا شرف لا يليق بكم بالمائة .. عبدالنسي .. نعم أنا الأسفى عبدالنسي .. (وقالها بطريقة كأنه يقول أنا باليون) الخلاق السابق واجتند حالياً .. سأحلق لكم ... هل تفهمون هذا الكلام ؟ شرف كبير يصرف لكم دون جهد .. هيا تعال أنت ... واستار واحداً منا وكان الذهن يلفنا كالدوامة ... وتقدم الشخص الذى اختاره .. وحسن

- وشملتى إحساس عارم بالسخرية وقلت له :
 - لعلك سوف تحكى لي قصة غرامك ...
 ونظر إلى بجدية وهو يهيب ...
 - نعم وماذا في هذا ؟
 - لا شيء .. ولكن ألا ترى أن المكان لا تناسبه هذه القصة ؟
 - ولكنى أراه مناسباً تماماً ..
 وتقرت في وجهه ... كان المسكين في حالة ذهول كاملة ... وأدركت ذلك عندما دقت النظر في وجهه ... وأحسست بمدية حادة تمزق قلبي ... كان المسكين في حالة غير عادية لقد أذهه الموقف .. وشعرت بالحيرة .. ماذا يمكن أن أفعله له ؟ لا شيء وفجأة رأيتاه ينخرط في بكاء حاد ومن بين البكاء صار يقول :
 - لقد أخذوها عنوة ... توصلت إليهم أن يتركوها فرفضوا .. كانت فتاة رائعة .. وقاطعت .. فقد وقف شعري من هول المعنى الذى تحمله هذه الكلمات :
 - عنم تتكلم ؟
 - نبيلة - كنا سنزوج بالأمس .. جاء المأذون لعقد القران ... ولكن قبض على أنا وهى .. أخذوها ...
 - من الذين أخذوها ..
 - المباحث الجنائية العسكرية .. قبل أن يعقد ..
 - لماذا ...
 - لست أدري ..
 - أنتما من الإخوان ولا ريب ..
 - أنا وهى من المسلمين ..
 - إنهم يقبضون على المسلمين ل هذه الأيام الحمراء ..
 - لحساب من ؟
 - لحساب الروس .. لحساب الأمريكان .. وربما لحساب اليهود ...
 - اليهود ؟
 - نعم ...
 - ألسنا أعداء لهم وفي حرب معهم ؟
 واقرب شيخ عجوز يسيل الدم بجوار علامة الصلاة في جيبه وهمس :

صاغراً بين يديه كالمغشى عليه من الموت ... وكان هذا الشخص ملتجياً ... ورأينا الأسطى
عبدالنبي الأسطوري صاحب الصيت الذائع في عالم الخلاقة كما يدعى .. وقد هم به كأنه
سيفترسه لا سيقطع له ..

ومن بين الكلمات والصفات الخوالية خلق له .. وكانت حلاقة عجيبة .. فقد خلق له
نصف لحية ونصف الشارب المخلوق .. ثم خلق له شعر رأسه .. وختم الأسطى له حلاقتيه
بضربة قوية من ماكينة الخلاقة على رأس الزميل المسكين فتناثر الدم وسقط مغشياً عليه ..
واستمرت الخلاقة أكثر من ساعتين بين الصراخات والأناث المكتومة .. والكلاب تعوى
في فناء السجن .. وماكينة الخلاقة في يد « عبدالنبي » التي تقطر دماً .. وضحكات الجنون
ترتفع فوق الصراخات والأناث وعواء الكلاب الضارية في فناء السجن ...

وجاء دورى في الخلاقة وكان نصيبى جرحاً عميقاً في أعلى جبهتى ...

وانتهت هذه المجرزة واصرف الأسطى عبدالنبي ضاحكاً مسروراً ... ولم ينس قبل
أن ينصرف أن يوزع علينا بركاته من الشتائم المنتفاة التي - والحق نقول لكم - منها ما لم
أسمع به قبل أن ينطق بها الأسطى عبدالنبي .

وانشغلنا بعد ذهابه بتضميد جرحنا .. ولم تكن لدينا أدوات لإسعاف اللازمة فكنا
نمزق ملابسنا الداخلية ونحاول أن نكتم الدم المتدفق .

وأذكر أنهم أثناء ذلك قدفوا لنا يأخذ المصابين العائدين من التحقيق ... وكان ذلك
المسكين قد أخذ علقته منذ بويين وترك في العراء حتى جيفت جروحته وتقيحت .. وفاحت
رائحتها الكريهة .. ولحظة دخوله المخزن هبت رائحة كريهة كأنها صادرة من قبر دفن صاحبه
حديثاً ... وتكوى الرجل بيننا ولم ينقطع صراخه لحظة واحدة

« رجلى ياناس ... اخقوفى ياناس ... النار ... النار .. ياناس .. حاموت ...
ألا يوجد فيكم مسلمون .. والله ما أعرف حاجة عن الإخوان .. الله يلعن السياسة ..
ياناس أنا عرجبى إيش عرفتنى بالإخوان .. ياناس واحد يطغى النار نلى في رجلى » .

كانت قدمه اليسرى ملهبة ومتمتة بالصدید ولم تكن تمثلك غير الدعاء بأن يخفف الله
آلامه وعندما اشتدت آلام الرجل وعلا صراخه حتى جاوز المكان اندفع الدم في عروقه أحد
الذين معنا وقام وطرق الباب طرقة عصبياً حتى يأتينا أحد الحراس ونجمد الدم في عروقه
وفي عروق الموجودين على ما أذن ولن نتمكن من منعه فقد قام وفعل ذلك في حركة خاطفة
وضح ما توقعنا !!

فقد فتح الباب وظهر من فرجه ثلاثة من الجنود كأنهم الشياطين وفي يد كل واحد
هراوة ضخمة وكأنهم كانوا على استعداد وفي انتظار إشارة البدء وصاح رئيسهم وهو أقبحهم
وجهاً : وقمتم في المخطور بأولاد الكلب .. كنا ننتظر هذه الغلطة هيا إلى الخارج جميعاً !!

وأوقفونا صفاً متجاورين ولم يأت معنا الرجل الجريح فما كان بقادر على الوقوف وقد
نأكد رئيس الحرس من ذلك بعد أن طحنه بهراوته طحننا ولم يقم الرجل بل كسرت ذراعاه في
هذه العنفة أما ما فعلوه بنا فقد كان شيئاً جديداً لقد أرغمونا على كس فناء السجن بأيدينا
التي مزقها الزجاج الدقيق الشائثر في الفناء وأوسعونا ضرباً ولكما وه رفساً ، ثم جعلونا نلتحس
سلام السجن بالسنتنا تحت ضغط السياط والمراوات ونهش الكلاب !!

وعدنا إلى المخزن والدماء تسيل من أفواهنا ومنا من صاحبه ورم في لسانه حتى وقتنا
هذا !!

أما الرجل الذى تركناه جريحاً يعانى من الصدید الذى ملأ قدمه فقد رأيناه يفعل شيئاً
عجيباً !!

كان يبرز ثم يدهن قدمه استورمة ببرازه يطغى نارها المستعرة ثم انتابه حالة عصبية
فصار يأكل البراز ويصرخ صراخاً عالياً وحاولنا رغم كل ما حدث أن نهدئه وأن نمنعه
بما كان يفعل !!

ووجدت دموعى تساب على خدى دون صوت كان قلبى يتمزق وكان هو يتمزق ،
وينضغط تحت ثقل يد قوية عاصرة ولم يفكر أحد منا في استدعاء الحرس لإسعاف الرجل
المسكين ولم ينقطع صراخه طوال النهار !!

وفي الليل وأثناء تغير نوبة الحرس المائة مرار الرجل ينادى زوجه رأيناه بأعلى
صوته ويطلب منهم أن يسامحوه ويفغروا له ذنوباً لا تعرفها ثم اختلج جسده وأسلم الروح .

وفي الصباح وجدنا في وجهه تعبيراً هادئاً مطمئناً كأن الله غفر له !! بعد أن مات
الرجل وعرف كل من في المخزن أنه مات انفعال أحد الموجودين وبكى بصوت مكتوم ثم ارتج
المخزن بالبكاء وصلينا عليه ونحن في أماكننا وهو غارق في برازه ، وصدیده ، وابتهامته الهادئة
التي لم نرها إلا في الصباح !!

وكانت هذه هى الليلة الثانية في السجن الخرقى، الليلة الثانية التي لم أذق فيها طعم النوم
وإذا أضفنا الأربعة أيام التي قضيتها في الخمصة بأنى زعيل يكون مجموع أيام السهر ستة أيام
كاملة ويبدو أن معظمنا قد نسى أن هناك ضرورة حياتية اسمها النوم .

وفي هذه الليلة كان جوفى يحترق من العطش مما جعلنى أشرب قدراً أكبر من البول الذى جمعناه في أوعية المطاط طوال النهار وجاء النهار ومعه الجند ليفعلوا معنا ما فعلوه في أمس فتكلم أحدنا في صوت ضعيف : وهناك روايت أخرى تهب من الأجواف التى أنتها الجوع والسغب وقذارة الأسنان وكان صوت المزاج عندما يتحرك إيدنا بفتح الباب يجعل كل من يسمعه يتبه ويصل إلى قوة إنفعاله وتمتلئ عروقه بالأدريالين تخفراً واستعداداً لمواجهة الخطر وتمثل لنا أسوأ الأوقات في لحظة تسلب الضمض الكمية القدر الصناعة لأهم يتهبون هذه الفرصة فيوسعوننا ضرباً ولكنما وأذى !!

وكان كل واحد ينتظر لحظة الرهية لحظة استدعائه إلى التحقيق وكان عذاب الأنتظار رهيباً هناك من مات في انتظار هذه اللحظة لم يستطع قلبه احتمال ذلك القدر العارم من الخوف فلم يكن أمامه غير الموت يا أقدم فيه واحد ميت !!

وأشار بيده إلى الخطة الهاملة وارتسمت على وجهه جدى ابتسامة وقحة :

واحد فقط يا أولاد الكلب ؟ أين نذهب بوجوهنا من سيادة العميد ؟! أى إنسان هنا الذى يتحدث عنه الجندي ؟ لا شيء أنه ليس من البشر ألا يؤثر فيه منظر الموت الجديد ؟

قد رأيت جنديين يحملان الخطة وهما يضحكان ويتدبران كأنهما يحملان ماذا أقول ؟ كأنهما يحملان أرخص الأشياء وأدناها قيمة وذهب الرجل سكنين الذى لم يعرف عنه شيئاً سوى نساء أمائه الذين ظل يذمهم في لحظاته الأخيرة فس أن يموت لقد ذهب الرجل إلى مكان خلف الحياة إلى الله الذى يجد عنده العدل والرحمة والسوان وكانت الأفكار في هذا اليوم تمور في نفسى .

ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما الظلم ؟ وما العدل ؟ وما العزة ؟ وما الذلة ؟ ما البغض ؟ ما الحب ؟ ما الجوع ؟ ما الخوف ؟ كل هذا ليس سوى كلمات وما أنا ؟ لست سوى كلمة وما الآلام ؟ أيضاً كلمة وما النكرة وما الصمت ؟ الحق والباطل كلمات ولكن تختلف الكلمات وتباين هناك ﴿ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض ماها من قراب ﴾ وهناك الكلمة الخالدة طيبة ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ والحياة التى نعيش فيها ويصنعنا بعضها وتصنع نحن البعض الآخر ليس هذا كله إلا صراعاً بين الكلمات ... الكلمات الخبيثة والكلمات الطيبة - ونحن بين هذه وتلك في علو وانخفاض ولا يتربع فوق عرش الحياة في النهاية التى لا يمكن قياسها بمقاييس البشر إلا أصحاب لكلمة العليا الكلمة الطيبة ذات الأكل الشجدد الدفاق اللا متناهي ما دام للوجود حس أو شعور .

الحقيقة أننا واجهنا الموت في هذا المخزن وبعضنا ناله .. قضيت في هذا المخزن ثلاثة أيام ونقلت في اليوم الرابع إلى الزنازين ولم يتركنى الموت لحظة طيلة العام الذى قضيته في السجن الحرفى فقد كنت ألقاه في كل دقيقة وقد ترك هذا العام في نفسى أثراً لا يمكن أن يمحي أو يوصف أو يتخيله إنسان غير ذلك الذى عاشه وعاناه !! وقد تكونت ثقافة مشتركة بين هؤلاء الذين عاشوا تلك الأيام المفزعة فكم من الكامات لا تعنى شيئاً بالنسبة لكثير من الناس !! ولكن هناك كلمات تتردد بين هؤلاء الذين كانوا هناك فسرى بينهم كما تسرى الكهرباء في سلك النحاس ويكون في نفوسهم معنى لا يختلفون عليه !!

كانت أكثر اللحظات أمناً تلك التى يُحكّم فيها الحراس علينا غلق باب المخزن رغم الرائحة القذرة التى تملأ المكان من البراز والبول والصدئ الموجودة في كل مكان ورائحة كريهة هاتية. وبعد تقديم هذه الصور التى تقشعر منها الأبدان وتشيب من هو لها الولدان أستطيع أن أجزم بأن ماذكر فيها ليس كل الحقيقة بل هو غيض من فيض وجزء من كل وقطرة من بحر وسطر من قمطر من الواقع المرير الذى لا تشرحه العبارة ولا يقوى على وصفه بيان ولا يستطيع أن يوفيه لسان فهو عند رضى في كتاب ﴿ لا يضل رضى ولا ينسى ﴾ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مفعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلّموا ربنا آخراً إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبّع الرسل أو لم تكونوا أقمستم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلّموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لئزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليحزى الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليتكر أولو الألباب ﴿ .

همة عجيبة

دخل معى السجن فتبان كأنه تربطنى بهما صلة الشيخ برواده وكانا يقومان بخدمة المصلين يوم الجمعة حسبة لله تعالى وقد تم اعتقالهما معى فقد كانا يسافران بصحبتى لأداء الخطبة في مسجد الشهداء بمدينة السويس وقد نالا في المعتقل العذاب الأليم في سبيل أن يكونا شاهدين على وقد أخبرنى أحدهما بعد انتهاء فترة التحقيق بأنه قد استعمل معه الوسائل العلمية التى تدفعه دفعاً إلى أن يقول كل شيء وكان السؤال الذى يتردد عليهما دائماً أين يخفى الشيخ

كشك السلاح ؟ وما يعلمان ، علم اليقين ، بل « عين اليقين » أن السلاح الذي أدعو الناس إليه هو « سلاح القوى » وهو السلاح الأقوى !!

إذا المرء لم يلبس لباساً من النقى تغلب عرباناً ولو كان كاسياً وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصياً

وأراد الله تعالى أن يجعل من اعتقائهما سلوكاً لنفسى وتخليقاً من أهوال الخطوب الجسيمة فقد كانا يقومان على خدمتي من غسل الثياب التي كادت تبيد وتعشش فيها الموام كذلك يقومان بإعداد الطعام الذي إن شئت فقل إنه لا يقل بشاعة عن طعام الدواب ، فضرره أكثر من نفعه ، قطعة من الجبن إن شئت فقل إنها لقطععت من جبال الملح ، إبان العصور الوسطى ، وغسل أسود حامض كأنه الغسلين ، والناس كثيراً ما يتلون بالأمراض التي لا تتفق وهذا الطعام فمرض الضغط ، لا يستطيع أن يأكل هذه الحجارة التي كأنها طبخت في جهنم ، ومرض السكر لا يقوى على تناول هذا العسل ، فماذا يفعلون ؟! إنهم إن امتنعوا عن الطعام ماتوا جوعاً ، وإن أكلوه ازدادت الأمراض ، وشدت الأمم فهم بين أمرين أحلاماً مر ، أما عن النوم فقد فرشت الأرض بطبقة من الأمست لئلا يؤلم الأجسام صيفاً وشتاءً ومن الناس من أصيب بأمراض في عظامه وكثير من يؤذيه أن ينام على تلك الأرض الصلبة ذات التعاريج والحفر ، أما ما تحويه الزنزانة من أنواع الحشرات فحدث عنها ولا حرج ، فإن ماها من لاسع وقارض وقارض يذهب بالنوم من الجفون ليرك الأدمية في فرج وهنق وقلق وجزع هذا هو الطعام ، المنام ، وثاني ثلاثة الأثافي . الذهاب إلى دورة أمية ، إنها مشكلة المشاكل فاعجب معي لقوم يتحكمون في أخص خصائص الإنسان حتى لقد قرأنا على أحد جدران الزنزانة كلمة قالها أحد الذين دخلوها قبلنا كتب يقول : كنا نطالب بحرية القول ، فأصبحنا نطالب بحرية البول ، نعم إنها لفطرة التي ركبها الله في إنسان وقد كان من هديه ﷺ إذا فرغ من تناول الطعام يقول : الحمد لله الذي أذاقنا لذته ، ودفع عنا أذاه ، وأبقى علينا قوته وكان يدعو بعد الطعام بتلك الكلمات : أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة الأخيار ، وأظفر عندكم الصائمون ، وذكركم الله فيمن عنده اللهم بارك لنا فيما رزقنا ، وزدنا خيراً منه ، أما إذا شرب اللبن فكان يدعو قائلًا : وزدنا منه .

كيف يصبر الإنسان وهو يدافع الأجنبيون ؟ كيف يصبر على من يرد عليه قائلاً أمامك ست ساعات إنه يظلم بتلوي من حصر البول !! أيول في المكان الذي ينام فيه وليس معه ما يبول فيه ؟! أليس هذا تعدياً غير سوط أو عصف أو كسي بالكهرباء أو إطفاء أعقاب السجائر في ملابس العفسة !!! أيقال بعد ذلك لمن دخل السجن هل عذبوك ؟ إنه سؤال

غير وارد لقد كان يجاورني في زنزانة أخرى أحد علماء المسلمين ، وكان له قدم ثابتة في العنم وكان يؤدي خطبة الجمعة في أحد المساجد بالضاحية المعروفة بمصر الجديدة وكانت الجموع العفيرة تولى وجوها شطر هذا المسجد وتؤمه فرحة مستبشرة بالاستماع إلى هذا الدعية الإسلامي الكبير لئلا تنطق الحكمة من نواحيه ولأنه كان يقول الحق ولا يخاف في الله نومة لأم ويبلغ رسالات الله ويخشاه ولا يخشى أحداً إلا الله من أجل ذلك أصبح نزول السجن وكان مريضاً بالسكر ، ومرض السكر كما هو معروف بكثير من الذهاب إلى دورة المياه ليخرج ما في المثانة من بول ، فكان كثيراً ما يطرق باب الزنزانة من داخلها مستعيت بمن يفتح له لما يعالجه من ألم ليول ، ولكن لا يجيب ولا مستمع !! لم يكن هناك رحمة بالأدمية فإذا ما كثرت أصوات الأبن وانزعجت صاح في السجن صائح ذو صوت غليظ قائلًا : اسكت ياويلي هذا الصوت لو سمعته الظير ما خرجت من نوكرها ولو سمعته لخرت من نوم ما فارتفت أعشاشها إنه تعيق الخراب وتدير الشؤم في أيام حسرات نعه كانت أياماً بلا خمس وكانت لياليها بلا قمر إن هي ظلمات في بحر حتى يغتد موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا حرج به لم يكدر بها .

استدعاء إلى التحقيق مرة أخرى

في الليلة الثانية من اعتقال وفي حجر قبيل فتح علي باب الزنزانة وصاح أحد الجلادين بصوت مرتفع قائلاً : إذا سمعت صوت زنزانة يفتح فقم ولما بلا تردد فقال أحد مرافقي : إنه كليل وأخذت من يدي إن مكان التحقيق وحلست أمام الخلق فإذا هو يقضي علي هذه الأسئلة : هل سبق لك الحجج أو العمرة ؟ قلت : لا . ثم سأل هل أسلم على يديك بعض النصاري ؟ قلت : نعم . وسأل وكيف كان ذلك كذلك قلت : كانوا يستمعون إلى دروس العلم من خارج المسجد ، وكانت تدور بيني وبينهم مناقشات في أرض الخديفة المشحقة بالمسجد ، وقبل ذلك وبعده فإن الله تعالى يقول : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ وذكرته له قصة إسلام أبي ذر الغفاري وقد جلس بين يدي رسول الله ﷺ ولما سأله رسول عن اسمه وقبيلته وعلم أنه من غفار قال له وبمه جئت ؟ سأله هذا السؤال وهو يعجب عندما أخبره أبو ذر بأنه جاء ليصدق بكلمة توحيد يصير مسلماً موحداً .

وسر عجب الرسول ﷺ من ذلك أن قبيلة غفار كانت تقف بقطع الطريق وتنسب الناس أموالهم ولكن زال لعجب عندما قرأ الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ إن الإيمان إذا تمكنت بشائته من شعاف قلوب يكاد يجعل مستحيين ممكنين ونسج لأحرج عذبا مرة سلسبيل ، إن قوة الإيمان تحرك الجبال ، وتسير عوام .

وانتهى التحقيق عند هذا الحد فقد حاولوا أن ينتزعوا أى كلمة من الشابين اللذين دخلا معى السمن ليجعلوا منها قضية ولكن كان الحق أقوى ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ أين أخفى السلاح ؟ أخفيه في المنبر الذى أخطب عليه ؟ وماذا أصنع بالسلاح والحق قوة بين قوى الجبار أمضى من كل أبيض هندی ؟ إننى مازلت أذكر عندما حضر أحدهم إلى بيتى للفتيش ولم يكن قد مضى على زواجى خمسة أشهر وجد بعض السكاكين التى كنا قد جننا بها بمناسبة الزواج فسأل متبهما ما هذا السلاح ؟ وقلت في نفسى سبحان الله أتسمه سلاح الطيران ؟ أم المدفعية أم المدرعات ؟ أم الصواريخ ؟ وأخيراً قلت : نعم إنه سلاح البصل !! إنها لغة الأفواہ !! لغة الذئب الذى قال للحمل عكرت على الماء !! وهو يعلم أن الماء لا يجرى في العلاء ، ولكن القوى يختلج الذئب للضعيف ليهلكه ونسى أن في السماء مملكة يقول فيها مالكها ومليكتها ، وما كنا عن الخلق غافلين ﴿ لقد كتب على باب تلك سلطنة ﴿ وتضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

رؤيا عنامية

سألت نفسى وأنا داخل السجن في أيامه الأولى لماذا حثت على هذا المكان ؟ وما هو الذنب الذى جنبته ؟ ومتى وقت ترحيل ؟ وهل هذا الليل من آخر ؟ ليل الظلم والظلمات وقطع على هذه الأسئلة النوم فقد نت بعد إرهابك الشديد رأيت في المنام الصديق رضى الله عنه وفقاً أمام منبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وسألته أيرضيك بأخليفة رسول الله ما نحن فيه فرد على بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسيح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ وعلمت أن هذه لشدة لا بد لها من الصبر والصبر كما قال العلماء : احتمال الكد أو هو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد للقبائح أو هوانيات يعث الدين في مقابل باعث الشهوات . وقد يكون الصبر عفة إذا كان صبراً عن شهوة ، وقد يكون حلماً إذا كان عن جهالة الجاهلين وكاد الخليم أن يكون نبياً ، وقد يكون شجاعة إذا كان على الغضب وقد يكون قناعة إذا كان عن شهوة الغنى ، فالصبر مع الله وفاء ، والصبر لله ولاء ، والصبر في الله عطاء ، والصبر عن الله جناء ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تلك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وعلمت أنه لا بد من الصبر من التسيب بحمد الله حين يقوم الإنسان وحين الليل وساعة يدبر النجوم ولا بد من لزوم الاستغفار فإن من لزوم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل شدة مخرجاً وورقه من حيث لا يحتسب .

جاء عوف بن مالك إلى النبي ﷺ يشكو له أسر ابنه بيد الأعداء فقال له الرسول صلوات ربي وسلامه عليه « أكثر وأنت زوجك من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » وعاد الرجل من بيته وأخبر زوجته بما أوصى به رسول الله فجلس يرددان هذا القول سائور « لا حول ولا قوة إلا بالله » وما أن أوشك الفجر أن ينشق ضوءه حتى كان الباب يطرقة وإذا الصرغ ابنيهما ربهما أن استقر به المقام بسأل ماذا كنتم تقولان فقالا كنا نقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » فماذا حدث لك ؟ قال لقد قيدي الأعداء بسلاسل من حديد كفى لا أستطيع الفرار فشرعت كأن حلقات السلسلة تتسع شيئاً فشيئاً حتى أخرجت يدي وقدمي وعلى حين غفلة من الأعداء سقطت تلك الربوس من الغنم فذهب عوف بن مالك وفرجة ترفرف فوق رأسه كأنها الحمام البيضاء ، فوق المروج الخضراء ، ذهب إلى رسول الله ﷺ ليقتصر عليه ما حدث وإذا الصادق المعصوم يقول له : يا عوف ، لقد أنزل الله في حقل قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وتلا عليه قوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً ﴾ .

صور من السجن

أخبر الصادق لمعصوم ﷺ أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها وذكرها أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لما ذهب إلى بلاد الشام وجد رجلاً يقف في حر الشمس وأمامه ظل ظليل فسأل : لم وقفت هذا في حر الشمس وهو لا يفتح ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لقد أتى دنيا فكان ما رأيت عقاباً له ، فأخذه عمر بيده إلى الظل ثم قال لهم : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » . نعم يا فاروق هذه الأمة . بمن حكمت فعدلت فأمنت فمنت . لقد كان إسلامك نصراً وهجرتك عزاً وخلافتك رحمة :

إن جاع في شدة قوم شركتهم	في الجوع أو تتجلى عنهم غواشياً
جوع الخليفة والدنيا بقبضته	في الزهد منزلة سبحان مولياً
فمن يبارى أبا حفص وسيرته	أو من يحاول للفاروق تشبهاً
يوم اشتت زوجته الحلوى فقال لها	من أين لي ثمن الحلوى فأشترتها
ما زاد عن فورتنا فالمسلمون به	أولى فقومي لبيت المال ردياً

إن رسول الله ﷺ يخبر عن الرحمة فيقول : « من لا يرحم لا يرحم » ويقول : « لا تنزع الرحمة إلا من شئى » ويقول : « الراحون يرحمهم الرحمن » « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . وروى أبو بكر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ عن الأمين

جبريل عن رب العزة أنه قال في حديثه القدسي الجليل: (إن أردتم رحمتي فارحوا خلقى) .

حدث أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فدعا الله قائلا: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم أحدا سوانا فقال له مبعوث العناية الإلهية: يا أعرابي لقد حجرت واسعا أى ضيق رحمة الله الواسعة . وكان أحد الصالحين يناجي ربه فيقول: إلهي إن لم أكن أهلا لبلوغ رحمتك فإن رحمتك أهل لأن تبلغني فأنت القائل: ورحمتي وسعت كل شيء وأنا شيء فلتسعن رحمتك . وكان بعضهم يقول: شعاع من رضاك يطفى غضب ملوك أهل الأرض ، ونحة من غضبك تزهق الروح ولو انغمست في نعيم الدنيا . قطرة من فيض جودك تملأ الأرض رباً ، ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر ولياً .

إن كانوا يقولون: الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى ، فهناك من يقول: الحزبة تاج على رؤوس الأحرار لا يراه إلا المسجونون . إذا نزع الرحمة من الإنسان فقد نزع منه حقيقة الإنسانية في الإنسان . لقد رأيت صورا داخل السجن يندى لها جبين الإنسانية حياء منها ، فقد كان بجوار زيرتى شيخ من علماء الإسلام سبق أن تحدثت عنه كان قد اشتد به مرض السكر ، فكان إذا حاح أنه الجوع إبلا ما شديدا بحيث ينهار انهياراً كاملاً . طلب الطعام وهو بين من وطأة جوع . فجاءه أحد الجلادين وهو من غلاظ الأكباد ، جفاة الطباع ، فساء القلوب ، فسأه الشيخ شيئا من الطعام ، فقال له الجلاد ساخرا: انظر إلى سقف الزنزانة ، فنظر الشيخ خليل . الذى كانت أنوف النفوس تهوى إلى سماعه في مسجده ، قال له: فماذا ترى؟ قال: أرى حشرة تمشى . قال له الجلاد: إن قفرت وجمت بها من السقف فسوف أحضر لك الطعام . وازداد الشيخ ألماً على ألمه كما يقولون: وأخف من بعض الدواء الداء . وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء . وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ . لقد فتح الإسلام أبواب الجنة أمم رجل سقى كلبا كان قد اشتد به العطش . وهذا إنسان زادت منه عن الخمسين وعام . وسع قلبه كتاب الله لفظاً وغاية ، ومريض هزم المرض فيه العافية . فما حركت كل هذه العوامل شعرة في هذا الجلاد . بالألسنى !!

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكادت أطير

ومن هذه الصور التي يسيل لها الكبد مرارة . استيقظنا ذات صباح على صوت ينطلق من داخل زنزانة يصيح: صداع . صداع . صداع . صداع . فما ردد عليه أحد الجلادين بصوت مفزع: مت إن شئت . فلو مات من صدائك مليون أو مليونان لاستراح

البلد . فتصور معي: إسبانيا يكاد الصداع يفلق رأسه ويشق كبده . لا يستجاب له ولو بقرص من المسكنات .

- صورة أخرى مقبضة: شكوت ألما في مفاصلى من طول المكث على أرض لا تليق إلا بالدواب حتى أوشكت ألا أقوى على القيام ، وتودى ذات يوم: من أراد الباشا الدكتور فليبلغ عن اسمه ، فبلغت عن اسمي عسى أن أجده عنده من الدواء ما يسكن ألمي . وجاء من يأخذ بيدي فإذا الطبيب على غير ملة الإسلام وسألني: مم أشكو؟ . وشرحت له . فقال متبهما: إذا كنت تشكو الألم عندما تقوم فلا داعى إلى قيامك . فقلت له: يؤلمنى أكثر أن أصل جالساً . فقال متبهما ساخرا: لا داعى أن تصلى وماذا فعلتم بصلواتكم؟ وتذكرت قول الشاعر العرفى:

والمستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

- صورة مؤسفة: نعم بها مؤسفة ومحنة ومحنة ولكن فيها عبة، كنا إذا ذهبنا إلى دورة المياه صباحاً نُساق بالعصا كقطع من الغنم . وكان أحدنا لا يُسْمَعُ له في دورة المياه بأكثر من ثلاث دقائق لفضاء الحاجة فإذا مضت الدقائق الثلاث دون أن يخرج فُتح عليه الباب قسراً وضرب ، وخرج مهيناً كاسف الباب قليل الرجاء . بل لقد كان بعضنا يخرج دون أن يقضى الحاجة . وكان من بيننا شاب يشكو مرض «الدوستاريا» وكان قضاء الحاجة يؤلمه بحيث يحتاج إلى وث طويل . فكان كثيراً أو دائماً ما يخرج مضروباً . وكان ذلك يجز في نفوسنا ويزيدنا كرهاً فوق كربنا ، فكان إذا اشتد بنا الكرب وادهمت أماننا الحطوب نستغرق في الاستغفار وذكر الله .

يد الله تعمل في الخفاء

إن يد الله تعمل في الخفاء فدعوها تعمل بطريقتها الخاصة فليس لأحد أن يستعجبها أو يقترح عليها وما من يد إلا ويد الله فوقها وتديرنا لله تدير وتعالى في كل نفس مائة ألف فرج !!

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفارج الله
الأس يقطع أحياناً باصاحبه	لا تأسن فإن الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فثق بالله وارض به	إن الذى يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد	فحبسك الله في كل لك الله

وقد صدق الرسول ﷺ وهو يقول في قوله تعالى : ﴿ فَإِن مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ قال لن يغلب عسر يسرين ، فقد هيا الله تعالى للشيخ الجليل الذي كان جوار زيارتي وكان يعاني من مرض السكر وكثير شرب وشدة الجوع هيا الله له رجلاً من الحراس لكن رزقه الله قنباً طيباً كان يتنازل عن طعامه ويعطيه للشيخ ، كما أحضر له كوزاً ليبول فيه وقصارى القول كان يتعهده وهكته تسئل بحبص من الرحمة كشعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة وسبحان من رفى مرسى في بيت فرعون ﴿ وقالت امرأة فرعون قرة عينى لى ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه وندا وهم لا يشعرون ﴾ نعم إن يد الله تعمل في الخفاء .

عسر اجلاء الذي كان يسوفى في دورة مياه بعصاه كفضيح الغنم همس في أدنى ذات يوم وقال هو يكاد يكيى : ادع الله أن يشفى زوجتى فإنها تعاني من الدوسنتاريا . فقلت له : إن أردت أن يشفيا الله فاعمل بصبر حتى . أتعرف الأخ فلا ؟ قال نعم : قلت إنه يعاني من الدوسنتاريا وأنت لا تسمح له في دورة مياه إلا بثلاث دقائق فإن تأخر عنها فمحت عليه الباب وصريته دعه يأخذ راحته وأعضه من أوقات أضعاف ما كنت قد قررت له وسوف يشفى الله زوجت وذكرت بقول السيد نعميه ﷺ : « البر لا يبل والذهب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كالتدين لئلا ، ولقد النصيحة حتى كان ذلك الأخ المريض يعجب لحسن تعاملته حتى لم يعهدها من قبل فكان كلما أراد الاستئذان من الغير عائداً من دوره المياه قال له لئى كان يضربه من قبل رجوع فقد صرفت ربع ساعة ، وقت ضايق ، وجاءنى ذلك الجلاء بعد يومين فرحاً مستبشراً بشفاى الله لزوجته نعم !! بالكيف لئى تكيل به الناس سيكالم به عليك ﴿ وبل للمطققين الذين إذا اكلوا على الناس يستوفون وإذا كالهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ بأياها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزن أعمالكم قبل أن توزنوا .

أما عه سيد ذلك الحارس طبيب فقد أهدانى هدية من نساها ما حيث فقد أخذنى ذات يوم لأ ترحباً لصلاة الفجر وأنه عودنى إلى العبر عزمى في بدى ووضع بها بصلصة صغوية وقال لى خذ هذه لتأكله بجانب اللبن وادع لزوجتى ، أم نقيسة ، وأرجوك ألا ترمى قشرها في العبر فإن من المنوعات . فنت سبحان الله !! فشر فصل من المنوعات !! وقتل الأبرياء . وتعذيب الناس وجلدهم وبخهم ووضعهم في زنازين تصفها ماء ، وصلبهم فوق سور سجن أى زعبل ، وتشريد عائلاتهم وتوزيع الأمتين ، وإطفاء أعقاب السجائر في ملابس العفة ، كل هذا ليس من المنوعات !!! فنت له أضمن باعم سيد فسوف آكلها بقشرها .

وكذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالكها

لنت الله يا مصر !!

صبرنا إلى أن مل من صبرنا الصبر
فكان غداً عمراً ولو مدَّ حبله
وقلنا عسى أن يدرك الحق أهله
عجبت لمصر تهضم الليث حقه
سلام على الدنيا سلام على الورى
وقلنا غداً أو بعده ينجل الأمر
فقد ينطوى في جوف هذا الغد الدهر
فصاحت عسى من لا ولا طعمها مر
وتفخر بالتثور ويحك يا مصر !!
إذا ارتفع العصفور وانخفض التسر

كان من أشد الأشياء لنا إيلاً أنه لم يكن معنا ثياب حتى تغسل ماعى أجسامنا ونسبه بل لقد خرجنا من ديارنا أو أخرجنا منها وقيل لنا يوماً : إنكم لن تأخروا خمس دقائق وكادت الثياب تنبى وقد ملأها الهوام ومنها حشرة القمل وأوشكت العورات أن تنكشف ولم يكن معنا إبرة ولا خيط فكنا نقضى أكثر وقتنا ندعو الله بدعوتين عندها النبى ﷺ أصحابه يوم الخندق وبنى قريظة بعد ما اشدت الكرب ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ قالوا يا رسول الله فماذا نقول؟ قال هم : قولوا : اللهم استر عورتنا ، وأمن روعاتنا .

فصبت في سجن القلعة ثلاثة أشهر مضت الساعة فيها كأنها شهر ومضى يوم كأنه دهر كان الزمن يمضى متاقلاً بضياً كأن أيامه سلسلة من الجبال ولكن مما كان يخفف عن نفس قبلاً أننا كنا مجموعة تتردد عن العشرة في مكان واحد لكن كان الأتيين الذى ينهت من أصوات المعدين يمنع النوم عنا ويجعل الطعام ذا غصة كأنه الضريع أو الزقوم أو الغسلين فكان ذلك كله يهر في النفوس أضف إلى هذا ما كنا نعانيه من الانشغال على أولادنا وأهلينا فإذا هان علينا العذاب البدنى فمن الصعب أن يهون العذاب النفسى ولكن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر وسبحان من قال ﴿ ولا تياسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ كان القرآن لنا خير جليس وأفضل أنيس وأعظم صديق وأكرم رفيق فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في صلاة ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن . فمن أراد مؤنساً فله يكفيه ومن أراد حجة فليقرأ القرآن يكفيه ، ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه . ومن أراد وعظاً فليوت يكفيه ، ومن لم يخفه شيء من هذا فإن النار تكفيه نعم كان القرآن لنا شرباً ومعسلاً .

وخير جليس لا يُمل حديثه
وحديث الفتى يوتاع في ظلماته
وترداده تزداد فيه تجملاً
من الفير يلقاه سنأ متهللاً

هناك بينه مقبلا وروضه ومن أجله في ذروة العز يجلي
يناشد في إرضائه حبيب وأجدر به سؤلا إليه موصلا
فيأبها القارىء به متمكناً بجلا له في كل حال مبجلا
هيناً مريئاً والداك عليهما ملابس أنواع من التاج والحلي

وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ نعم إنه الروح
الذي يحي الموت والنور الذي يذيب غياهب الظلمات ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً
من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً هدى به من نشاء من
عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ .

انتهى الجزء الثاني من كتابي

« قصة أيامي »

ويليه الجزء الثالث بإذن الله مبتدئاً به تحت عنوان :

« من قلعة إلى طرة »

من القلعة إلى طرة

قبل الرحيل إلى سجن صرة لابد أن أذكر تلك الواقعة التي تعتبر من المضحكات
سكيت ، وقد قالوا : إن من شر المصائب ما مضحت . فوجفت وأنا في معتقل القلعة
بوجود طالب قد اعتقل وهو أحد طلبة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وكان مندوب الطلبة
في دعوة المحاضرين بكلية الآداب ، وهو الذي كان قد دعاني مرتين لأحاضر في كلية جامعة
عين شمس ، وقد لقيته باعتقال سائقه السؤل الشفيهي الذي يتردد على السنة المعتقلين عندما
يلس بعضهم بعضاً . فست : من الذي جاء بك ؟ عند لفتاح ؟ وما التهمة التي وجهت
بك ؟

وكانت لأجابة تدعو إلى الأسي !! وفي نفس الوقت تدعو إلى الضحكت !! قال :
عندما دعوت مشايخ إحياء حفلتنا استدعيت نسوة في إحدى الجهات المختصة بالأمن
وقدمو : إليك قد كلفت بإحياء حفلة ترفيهية تخفف الأعباء عن الطلاب ولم تكلف بإقامة مأتما
وأحزاناً !

فست به . فماد كانت إحاسبت ؟ قال : أسيرهم بأنني قد ذهبت إلى بعض نجوم
عكاهة والضرب فطلبوا مني مبلغاً من مال لم يكن في صندوق نصفه ولا ريعه ، فلما
دعوت المشايخ لم يطلبوا مني شيئاً ، فأقمت الحفل عن خير ما يرام وأنفقنا المبلغ الذي كان
سبعسى إلى نجوم الفكاهة والضرب للطلبة المحتاجين . والذين لا يجدون ما يتفقونه في الكساء
وإعداد الكتب ، فأى الوجهتين خير ؟

فكان جواب : إذن فإذهب إلى مشايخ الدين دعوتهم !! أتدري أين هم !! إنهم هناك
في سجن القلعة وبين غمضة عين وانتهت رأيت نفسي وراء الأسوار !! فصطحته بالضرب
وتفويض الأمر إلى الله . وذكرته بقوله حل شأنه : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو
مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

ترامت، الأبناء بقرب رحيلنا من هذا المدح، وطن العوض إفرجاً فسرت البهجة في النفوس؛ فإن الإفرج للسجين كالإحياء للميت، لأن السجن مقبرة الأحياء، ومشت الأعداء ومفرق الأحياء، وعزّون الأصدقاء، لكنني لم أشعر بهذه البهجة، فقد زارني أحد الصالحين في المنام، وقال لي اصبر واحتسب ولا تجزع؛ فإنه ما زال هناك قضاء سيفذ، وصلينا الفجر، ونودى على أسمائنا، وقال المنادي: من سمع سمه فليحضر مناعه، ويستعد لركوب السيارة، ولم يكن لدينا متاع سوى ثيابنا التي بليت وقال فيها حافظ إبراهيم:

أبلى الثقباء	جديده	فقطعت منه	الأظافر
فانظر إلى ثوابه	لم يبق منها	ما يظهر	
هو لا يريد فراقها	خوف القوارس	والهواجر	
لكنها قد فارقته	فراق معذور	وعاذر	
إني أعد ضلوعه	من تحتها	والليل عاكر	
أبصرت هيكل عظمه	فذكرت سكان	المقابر	
فكانه هو ميت	أحياء عسى	بعد عاذر	
قد كاد يهدم النسيم	وتكاد تذروه	الأعاصير	
وتراه من فرط الهزال	تكاد تغيه	المواطر	

كانت هذه أحوالنا من ثياب بالية، وهزال، وضعف في الأجسام وعافية هرمها العذاب، والضعف، وجفوة النوم، وسوء التغذية، والتبعية، وسألت نفسي بعدما أمر بالرحيل: لماذا سجنتم؟ ولماذا لم يفرج عني من هذا المكان؟ وماذا الرحيل إلى سجن آخر؟ وطريقي ما طريقي؟ أطويل أم أقصر؟ وحتى الآن ما زلت أتحدى من يجيب عني هذا السؤال؟ لماذا سجنتم؟ وما هي التهمة التي وجهت إلي؟ وأي ذنب اقترفت؟

إلى سجن طرة

قطعت بنا السيارة الطريق من القلعة إلى سجن طرة، تحت حراسة مشددة من جنود الصامتين الذي لا يردون على سؤال منا، وقد دارت في نفوس أسئلة كثيرة كان مني: إلى أين؟ وإلى متى؟ ولماذا؟ وكان الجواب عنها علم ذلت عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. ونزلنا في ساحة السجن الرهيب حيث وقفنا ساعات طويلاً تنتظر ما سيحدث بنا، وأمرنا نخلع ثيابنا لنلبس ثياب السجن، وحمدنا الله فقد بليت ثياب التي كانت علينا من يوم اعتقالنا وليسنا ثياب السجن، وقد حز في نفسي حالة ذلك الشيخ الذي بلغ من السن ما يزيد عن الثمانين عاماً، وهو الشيخ محمد عوض، كان يعمل نظراً في إحدى مدارس

السويس، وكان رجلاً قد وهن العظم منه واشتعل رأسه شيباً، وقد بلغ من الكبر عنياً، جيء به كما جيء بالألوف من أمثاله من غير ذنب أو جناية أو جنحة أو مخالفة، لكنها لغة الذئب الذي قال للحمل لقد عكرت على الماء.

صدقت يا رسول الله يا من رويت عن ربك في إحدب القديس الجليل: «اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري واشتد غضبي على من وجد مظلوماً فقرر أن ينصره فلم ينصره». حزن كثيراً لحال ذلك الشيخ المهيب الذي جيء له بكثير من يدل لسجن فكانت كلها فضفاضة لا يستطيع أن يلبسها لأنه ناكل الجسم كأنه يقول بلسان خال ما قاله شاعر قبله:

كفى بجسمى نحولاً أنتى رجل لولا مخاطبى إياك لم ترفى

لكنهم لم يرحموا شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ضعيفة ولا عجوزاً فانياً، ولا مصاباً وهياً، وأخيراً أمر بتوزيعنا على العنابر، لقد سرنا في الطريقة المؤدية إلى العنابر وسمعنا أصواتاً عالية وضجيجاً وعجيجاً فعلمنا أن بالسجن جموعاً من المعتقلين ونسبت أصواتهم على كثرتهم ولما أراد الحارس المكلف بتوزيعنا فتح باب العنبر وأدخلنا واحداً بعد الآخر وهو يقول منكم ما سخرا: هذا أخوك في الله!! ولما جاء دور الشيخ محمد عوض قدمه قنلاً: هذا جدك في الله!! إنها سخرية برجل كان يجب أن يحترم لسنه وعلمه وفضله وضعفه: فلما رحلنا برحمة الرحمن «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». «ومن ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر». «ومن لا يرحم لا يرحم». «ولا تنزع الرحمة إلا من شقى» ودخلنا العنبر وما فيه من اسمه شيء، فهو من أسماء الأضداد كما تسمى الصحراء بالمغازة، وما هو بعنبر، بل إلى أقسم بالله غير حائل على أنه لا يلبق حتى بالندوب!! الداخل فيه مفقود، والخارج منه مولود، نعم مفقود لأن الحضور فيه موت بطيء، والخروج منه موت بطيء، فما نجا من المرض إلا لقليل. وليس مرضاً عابراً أو خفيفاً إنما أمراض أهلها الربو والروماتزم، يشعر الإنسان عندما يدخل هذه الأماكن بالسامة والملل والكلال، فسوء التهوية وسوء التغذية، والظلام الدامس بالليل والنهار، والحر الشديد اللاصق، وإغلاق الباب، أضف إلى ذلك هذه المسألة الكبرى، لم يكن هناك دورة للمياه تصرف الفضلات خارج المكان، إنما كان هناك بجانب العنبر صفيحة على جانبيها قطعان من الخشب وسط بول كثير تنبعث منه رائحة تركد الأوف، وتعمى الأبصار، وتملأ الرئتين وباء ووبالا، والويل كل الويل لمن زلت قدمه فسقط في تلك الصفيحة، لضعفه أو لكبر سنه، أو لضعف بصره، إنه حينئذ يرى من المتاعب وأنصاع مالا تشرحه العبارة، فهو إما أن يقع في الغائط حتى منتصف جسمه أو يقف في بحر من

البول إنه في كلا الخالين ضائق الصدر ، معتل الوجدان ، سقيم النفس ، وكم كنت ألاق من العناء ما ألاق عندما أريد قضاء الحاجة ، بما كان يدفعني إلى أن أقلل من الطعام والشراب ، وكثيرا ما كنت أصوم ، وأنا أعلم أنه لا غذاء في الإفطار ، وما هي إلا لقيمات بقطعة جبن هي عبارة عن منح متجمد ، كأنها قطعت من جبل في ظلمات العصور الوسطى .

لقد ضاقت بنا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا ، وعلمنا أن ليس لها من دون الله كاشفة ، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فماذا نصنع ؟ السجن رهيب وقد انقطعت صلتنا تماما بالعام الخارجي ، فلا نصلنا أخبار عن الدنيا وما فيها ، وأصبحنا كما يقول القائل على لسان أحد السجاة :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن بالأموال فيها ولا الأحيا
إذا جاءنا السجن يوما حاجة عجبنا ولنا جاء هذا من الدنيا

مناجح مختلفة

كان كل عنبر من عنابر سجن طرة يشتمل على نماذج مختلفة الأستان والثقافة والعمل ، لكن جمع بينها جميعا وحدة العقيدة وسمو الغاية وشرف الهدف ، فهذا شيخ قد بلغ من نكير عتيا ، وذاك شاب فنى ، وذلك في ميعة الصبا ، وغصن العمر الأخضر ، جاؤوا من بلاد شتى من أسوان .. إلى الاسكندرية .. رأيت شيوعاً لما دخلوا السجن ظلوا صائمين حتى جاءهم فرج من الله لم يلفغوا إلا أيام العيد ، ورأيت شبانا في ريعان أيامهم رأيتهم إذا جن الليل عظيم نجحت جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً . شباب مكتهلون في شبابهم غضبضة عن الشر أعينهم ، قصيرة عن الباطل أرجلهم ، نظر الله إليهم في جوف الليل وأصلابهم منحنية على أجزاء القرآن ، إذا مر أحدهم بأية تبشر بالجنة بكى شوقاً إليها . فإذا مر بأية تنذر من عذاب النار شق شققة كأن زفير جهنم بين أذنيه نعم ! لقد أحبوا الليل بالصلاة والقرآن .

سمعت أحدهم وقد قرأ في ركعة واحدة جزء ، تبارك الذي بيده الملك ، وفي الركعة الثانية جزء عم يتساءلون .

سمعت بعضهم يدعو الله فيقول : اللهم لا تخرجني من هذا المكان حتى أتم حفظ القرآن الكريم . واستجاب الله له فلبث في السجن عامين حفظ فيها القرآن الكريم حفظاً جيداً ، وإن كنت سأسال الله العافية إلا أنه رأى في السجن خلوة جعل منه غار حراء ، تعبداً ، وتبتلاً وسجدة وصلوة وقرآناً كريماً ، رأيت في السجن أساتذة الجامعات كما رأيت صدميين والمهندسين والأطباء ، كما التقيت بالقلبة والفلاحين وأعمال شد جاؤوا جميعاً تحت لافتة

كتب عليها ، الإخوان المسلمون ، أو النشاط الديني ، أو النشاط المعادي ، أو الثورة المضادة ، أما ما كان ، فإن الظلم مرتعه وخيم ، ، وه هو ظلمات يوم القيامة . ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخركم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعين رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾

يا نائم الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يأتين اسحارا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

كان الحر يشتد ، ونسبة الرطوبة ترتفع ، فذلك العنبر الذي لا يصلح اصطبلًا سخبول ، ولا حظيرة للمواشي كان يضم بين جدرانه مائة وعشرين . وكانت الجدران ذات لون سود ، والأرض حتر وتعارج ، وقد نلاصقت الأجسام من شدة الزحام ، وانعقد في سماء العنبر بخار كثيف من التنفس ، فإذا كان كل إنسان يتنفس في الدقيقة ست عشرة مرة فما بالك بمائة وعشرين يتنفسون في مكان قد أحكم إغلاقه . وهو في نفس الوقت يحتوى على حيرة من اليأس والواقف والعاظم والروائح الخبيثة !! لقد كنا نتبادل وضع الألف على ثقب مفتاح الباب ، لعل أحدنا في ليالي الصيف الفائضة يحصل على شيء من الهواء الذي ملأ الله به جنات الأرض لكن ذلك كان علينا حراماً ، وكانت أماسة الكبرى عندما يكلف اثنان منا حمل صحيفة البراز للإلقاء بها في مكان خارج العنبر ، كانت هذه فرصة لمن يأتي عليه الدور فإنه يستشق شيئاً من الهواء ، لكنهما وهما يعملان تلك الضفيحة كان يسقط منها في وسط عنبر ما يثر في النفس الغثيان ، وفي الكبد المرارة ، كانت أماسة ما بعدها أماسة .. لا هواء ولا ماء .. إلا ما يسد الرميح ، ولا نوم حيث لا فراش ولا غطاء إلا القليل الذي لا يمنع ألم الأرض ، ولا شدة البرد ، ولا طعام إلا كقطع الأتم .. كالضرب والرقوم والغساق والغسلين ، والظلمة قاتمة ، والفراغ قائل وأصحاب الفكر قد تجمد فكركم ، والكفاءات وأساتذة العلوم والمعرفة أصبحوا يتنفسون من الحارس أن يفتح باب العنبر ولو لدقائق قليلة ، والمرضى يموتون ، أو يتنون ، أو يستغيثون ، فلا يعاتون ، والحر لاصح ، والعرق ملجج ، والتهاب في حاجة إلى تنظيف ، وارتفاع درجة الرطوبة لا تساعد على تخفيف العرق !! لقد بلغت القلوب الحناجر !! وضاقت علينا الأرض بما رحبت !!

درس العصر

لما صدقت بنا الأرض ، والظلم ضارب أضبابه ، وتقنوب أصبحت أشد قسوة من الحجارة ، رأينا أن نخفف من وطأة الأحداث فاقترحنا أن نتحدث من يستطيع الحديث إلى اخوانه بعد صلاة العصر من كل يوم ، فليحاضرنا الأطباء في الطب ، والأدباء في الأدب ، والمهندسون في الهندسة ، والعلماء في الإسلام حتى لا يضيع العمر في هذا الجمود ، وحتى نقضى الوقت في شيء مما يخفف الأعباء وقد كلفت بإلقاء درس بعد العصر ، فاخترت التفسير واخترت من القرآن ما يناسب المقام فكان حديثي يدور في سورة يوسف حول ما لقيه الصديق ، عن نبينا وعليه الصلاة والسلام من شذائد وعجائب !! وهو الذي دخل السجن مظلوماً بكفة من مكابدة النساء ، وكيف قام القميص بتوقف مشهودة في السورة ، فهذا قميص اجده : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . وقميص الإبراء : ﴿ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ وقميص الشفاء : ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ . ثم تحدثت عن دور الرؤيا في حياة السجين وحقا لم تكن هناك وسيلة اتصال لنا بالخارج إلا الرؤيا الصادقة وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « لم يبق بعدى من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له » وقد علمنا الصدق المعصوم أدب الرؤيا حيث قال : « إذا رأى أحدهم رؤيا يحيا فليحمد الله عليها وليحدث بها . وإذا رأى غير ذلك مما يكره فليستعذ بالله منها ولا يحدث بها أحدا ، فإنها لا تضره » . وقد جاء رجل إلى بيت الإمام محمد بن سيرين ليقص عليه رؤيا فأخبرته الجارية بأن الإمام نام فغضب وقال : ولكني أريده هو فقلت له : قص على رؤياك ، وسأعبرها لك . قال : رأيت كأنني أصعد السلم فانكسر في فسقطت من فوقه فست . فقالت له : إن صدقت رؤياك فستمت ؛ فانتاج غضبا وصعد السلم ليقظ الإمام من نومه ، فانكسر به السلم فسقط فمات ، فاستيقظ الإمام على هذا الصوت صوت سقوط السلم ، وارتضام الرجل للأرض ، فسأل الجارية فقصت عليه رؤياه فقل الإمام متعجبا : سبحان الله الرؤيا على جناح ضائر متى قص وقع . وسبحان ربي لقد انشئت سورة يوسف على أنواع كثيرة من الرؤى - هذا العلي العظيم برؤيا يوسف :

﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ ثم ذكر مولانا تبارك وتعالى بعد ذلك اثنين من الرؤى قصصهما فتبين دخلا مع يوسف السجن : ﴿ قال أحدهما : إنى أراى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أراى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبينا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾ ثم ذكر مولانا جل ثناؤه رؤيا السك التي كانت سببا أرادته تعالى لإنقاذ أهل مصر من أزمة اقتصادية حادة ، وبجاعة مدمرة . وكانت سببا في أن يقول الملك : اتنوفى به أستخلصه لنفسي قال تعالى : ﴿ وقال الملك إنى أرى سبع بقرات ثمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ فتأمل معى كيف قامت الرؤيا في سورة يوسف في شتى المقامات وبخسب المناسبات كيف قامت بتلك الدلالات وهاتيك الإشارات وكيف كانت سببا في أن يقول تلك يوسف : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ وكيف كانت عاقبة الصبر والصبرين ذنوا : ﴿ أأنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ثم نظر كيف جمع الله الشمل ، ورأب الصدع ، ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا . وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن إلى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ نعم ! لقد كتبت الرؤيا في حياتها مناها ومغزاه ومعناه ومرماها فقد كتبت داخل السجن أفضى الساعات طوال كل يوم أستمع إلى رؤى الإخوة أقوم بتعبيرها ، والرؤيا لا تقص إلا على حبيب أو سيب . وما ريت أذكر هذه الظاهرة العربية في الرؤيا فكثيرا ما كنت أرى أبى رحمه الله تعالى في المنام جالس معى لا يفارقتى إلا عندما أقوم استعدادا لصلاة الفجر ، وكان حانا قد عر على الأموات فجاءوا يفتقون بجانبنا مدما بعد أن قست قلوب الأحياء وقدت من الصخور !!

رمضان في السجن

قضت شهور الصيف ثم فيها من المآسى والمعاناة والشدائد والحن والفتن وكان على رأس تلك المآسى ما أصبنا به - أعنى الكثير من المسجونين - بالأمراض الجلدية التي سرت في صفوفنا سريان النار في الخفاء ، والسقم الزعاف في الأحشاء ، وكان ذلك ناتجا عن منع الماء عنا مما كان يدفعنا كثيرا إلى استعمال قطرات الماء في الشرب . ونستعمل التيمم حذى الصلاة . وقد لطف الله في فعدون من هذه الأمراض الجلدية التي كان المرضى بها يعنون في مكان بعيد . وقد علم الله تعالى أن معى في العنبر إخوة يقومون على خدمتى . فلو أني نزلت مع اثنين غزلوا لشفق ذلك على نفسى : ﴿ إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ . كذلك كان من الأحداث الجده التي وقعت في صيف السجن ذلك الخبر الذي تعمسوا أن

يذيعوه علينا بالمذبذباغ غداة تم تنفيذ حكم الإعدام في الشهداء الثلاثة : « سيد قطب »
 و « عبد الفتاح إسماعيل » و « محمد يوسف هواش » . ولن أنسى صبيحة هذا اليوم وقد أذاعت
 النبأ إحدى المذيعات وكأنها ترف نبا انتصار الجيش على إسرائيل ، وكأننا استعدنا أرض
 فلسطين المقدسة .. وما زاد الأمل في النفوس أنها بعد إذاعة النبأ قالت : والآن نستمتع إلى أغنية
 بسبس نو !!

إلى هذا الحد بلغت شتماته بقوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ونسى هؤلاء أو تناسوا أن
 هؤلاء الذين تم تنفيذ الإعدام فيهم أحياء عند ربهم يرزقون . قال رسول الله ﷺ لجابر بن
 عبد الله يوم استشهد أبوه يوم أحد : « يا جابر إن الله تعالى كلم أباك كفاحا (أى بدون
 حجاب) . وقال له : يا عبد الله ممن على . قال : يارب أمتي أن أعود إلى الدنيا فأخبر
 إخواني بما أنا فيه من النعيم المقيم ثم أقتل فيك . قال له الله : لقد حق القول مني أنهم إليها
 لا يرجعون . قال : يارب فمن يخبر إخواني ؟ قال الله : أنا أخبرهم فأرسل الله جبريل
 بقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون .
 فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . ألا خوف
 عليهم ولا هم يجزنون ﴾ .

إن هؤلاء النفر الذين نفذ فيهم حكم الإعدام فجر التاسع والعشرين من أغسطس
 ١٩٦٦ قوم قالوا كلمة حق عند سلطان جائر ، فهم بين حمزة بن عبد المطلب ، وجعفر بن
 أبي طالب . لقد أمروا هذا السلطان الجائر بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلهم بعدما عضنهم
 بناه ، وصب عليهم سوط عذابه ، لقد جرعههم كتوس التكيل ، وأذاقهم من العذاب ما لو
 صب على الجبال لحُرَّت له هدا . إن هؤلاء الدين نفذ فيهم حكم الإعدام يقول فيهم تبارك
 اسمه : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾ ويقول في الظلمة الذين
 أوقعوا بهم تلك العقوبة : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم
 تشخص فيه الأبصار ﴾ .

وبينا الأحداث الجسام تتوالى والهم والغم والصب والوصب والحزن والأذى تنظم
 سلكا واحدا ، وقد بلغت القلوب الحناجر وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، كان ربك
 ينزل برد السكينة في القلوب ، كلما اشتدت الحطوب وادهمت الحن ، فكنت تسمع
 بالعناير نوبا بالقرآن كدوى النحل . فسبحانك ربى يا من قلت وقولك الحق : ﴿ هو الذى
 أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم . والله جود السماوات والأرض
 وكان الله عليما حكيما ﴾ . ولولا السكينة في قلوب المؤمنين ما حُمدت العواقب ومن ثم
 ترى السكينة في قلوب المؤمنين تُذكر في مواطن الشدة ، قرأ قوله تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد

نصره الله . إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين . إذ هما في الغار . إذ يقول لصاحبه لا تحزن
 إن الله معنا . فأنزل الله سكينة عليه ﴾ . وقرأ قوله جل جلاله : ﴿ لقد نصركم الله في
 مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا . وضافت عليكم
 الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ .

عم نقد ونف الصدق المعصوم في حومة برغى وساحات القتال في حموع
 مشركين . وقف رجح زجرة الضياغم في بظون الغاب وينادى بأعلى صوته : « أنا السبي
 لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

سیدی ابا تقاسم یا رسول الله :

أنت الذى قاد الخيوش محطما عهد الضلال وأدب السفهاء
 وسجوت بلبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعداء
 سعدت بظلمتك السماوات العلاء والأرض صارت جنة خضراء

و قرأ معى قول ش تبارك اسمه : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت
 الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ ثم قرأ قوله تبارك
 اسمه : ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حية الجاهلية فأنزل الله سكينة على
 رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء
 عليما ﴾ .

فسحان من بقول منىء كن فيكون . وسحان من خشعت الأصوات نعظم
 ملكوته . وعنت لوجوه خلال جبروته . يحيى العظام وهى رميم . وله ما سكن في الليل
 والنيار وهو السميع العليم . تنزه عن الشريك ذاته وتقدس عن مشابهة الأعيار صفاته . بالبر
 معروف وبالإحسان موصوف معروف بلا غاية وموصوف بلا نهاية . واحد لا من فنة .
 وموجود لا من عة . كل شيء قائم به . وكل شيء حاشع له . رضا كل يئوس ، وعز كل
 دليل وعسى كل فقير ، وقوة كل ضعيف . ومفرغ كل ملهوف . من تكلم سمع لصفه ومن
 سكت علم سره . ومن عش فعليه رزقه ، ومن مات فبنيه منقبه علا فقهر ، وبطن فخبر ،
 وقدر فقهر . قائم بلا عمد ، وناق بلا أمد . لا ينقسه نائل ولا يشغله سائل .

من لصف الله تعالى ومن سننه في كونه أنه كند شند الكرب هان ، وأقرب تساعات
 إلى نجر أشد ساعات بين ظلمة . لقد جاءني البشر وأنا في سجن طرة من إدارة تسجن
 بحسن نبي بشرى مولد غلام قد تركته جنيد في بطن أمه لأربعة أشهر . وقد سقت هذه
 بشرى رؤيا كنت كفتني صبح : عندما رأيت شقيقى الأكبر في المنام يحمل طفلا صغيرا وقد

كساه الله تعالى جمالا يعف به على باب السجن ربيبي وبينه هذا الباب الخديدي ومن وراء
القضبان سألته : من هذا ؟ فقال : إنه ابنك سيد . والرؤيا تفسر بالإشارات التي تحملها
الأسماء . فرؤية من يسمى بهاسر أو سبيل أو مفتاح .. كل هذه الأسماء تعطي معنى اليسر
والسهولة والفتح هكذا علمنا رسول الله ﷺ في تأويل رؤى فقد قال له الصحابة ذات
يوم : لقد رأى أحدنا أننا نأكل رضيا في بيت عفة فقد لهم : لقد طاب لكم الأمر
والعقبى لكم . وقد كان ﷺ يتغافل بالأسماء .. لما جاء سهيل بن عمرو مندوبا عن
المشركين يوم الحديبية قال له الرسول . ما اسمك ؟ قال له : سهيل بن عمرو . قال له
الصادق المعصوم : الأمر مسهل إن شاء الله .

ولقد تقابلت باسم سيد . قلت : لعله سيد من شئ فافقه خير حافظاً وهو أرحم
الراحمين . ولقد تم تأويل هذه الرؤيا عندما مضى عنى في السجن بعد مولد هذا الغلام
أربعة عشر شهرا . وجاء بزورق مع أعمامه . ولما أنسى يوم أن أشرع من بين ذراعى عندما
انتهى وقت الزيارة ، وكان ثلاثين دقيقة . وقلت له : ودع . أستودعت الله الذي لا تضيع
وداعه .

وقد يجمع الله الشيعتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

رؤيا قبل رمضان

كان الفلك يتحرك والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، والليل والنهار
يتعاقبان ، إذ رأيت في المنام كأن جملا قد رُبط بحبلين من عنقه بحول الفكاك فجاء إنسان
ويده مديّة ، قطع الحبلين وأطلق البحر من عقاله . فعلمت أن إضلاق سراحى من السجن
أمامه عقبتان ، إذا ما مرا بسلام جاء الفرج من الله . لكنى لم أكن أدري ما هاتان العقبتان ؟
ما نوعهما ؟ وما حقيقتهما ؟ كان هذا الحادث على أبواب شهر رمضان المعظم ، وجاء
رمضان وفتحت أبواب الجنة . وغلقت أبواب النار . وسُلسلت الشياطين لكن شياطين
الإنس الذين يتحكمون فينا ، ويجلسون ظهورنا ، ويعدون علينا أندسا لم يُسلسلوا . لقد كنا
نتوقع أن يجيء رمضان سبيعت في قلوبهم ألوانا من الرحمة ، وتدفع من الشفقة فيعاملونا
معاملة الإنسان لأخيه الإنسان ، لكن كان التوقع في غير موضعه :

ولا ترج السماحة من مجيل فما لي النار للظمان ماء

أو كما قال الآخر :

ومكلف الأشياء ضد طباعتها مطلب في الماء جدوة نار

كنا نتوقع من هؤلاء أن يسمحوا لنا بالرسائل إلى أهلنا وأن يفتحوا باب الزيارات
لنطمئن على ذوبنا ، ونقف على أخبارهم ، ولكن :

لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن نادى
ونار لو نطقت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

إن رمضان كما عرفناه في الإسلام حمسة أحرف : الراء رحمة ، والميم مغفرة ، والضاد
طمأن للجنة ، والألف أمان من النار ، والنون نور من الكرم الغفار . لكن هؤلاء الذين
قاموا على شأننا لو وزعت قسوة قلب واحد منهم على أهل الأرض ما بقى للرحمة سبيل إلى
قلب واحد من بني آدم :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب وبأكل بعضنا بعضا عيانا

صدق الله تعالى إذ وصف هؤلاء بأنهم أضل من الأنعام فقال سبحانه : ﴿ ولقد
ذرأنا جهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يسمعون بها وهم
أذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ﴾ .

نعم بل هم أضل :

أسمعت بالإنسان ينفخ بظفه حتى يورى في هيئة البالون
أرأيت للإنسان يوضع رأسه في الطوق حتى يُتبل بجنون
أعلمت بالمظلوم يلهب ظهره حتى يقول أنا المسيء خدول
اسأل ترى الحرقى أو جدرانه كم من قيل تحتها وطعين
من ظن قانوا هناك قانما قانوبهم هو حمزة البسولي ،

كنا نتوقع أن هؤلاء في رمضان سيخشون الواحد الديان الذي يأمر ملكا بنادى في
رمضان : يا باغى الخير أبشر . يا باغى الشر أقصر . ولكن هؤلاء لا يسمعون ولو سمعوا
لا يستجيبون والحكم لله العلى الكبير ﴿ يوم هم يارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تحزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع
الحساب . وأندرهم يوم الألفة إذ القلوب لدى الحناجر كاطمين . ما للظالمين من حيم ولا
شفيع يطاع . يعلم حاله الأعين وما تخفى الصدور . والله يقضى بالحق والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء . إن الله هو السميع البصير ﴾

الله معه فمن عليه؟ ومن وجد الله فماذا فقد؟ ومن يتوكل على الله فهو حسبه. إن الله بالغ أمره ومن اعتمد على الله لا تزل قدمه ولا يضل سعيه ولا يضع سؤله.

إلى أين؟

استعدنا للرحيل بعدما صلينا الفجر، ولكنهم جمعونا في فناء السجن، وكان يوما عاصفا تحمل رياحه الهوج لرمال والغبار وكأن الطبيعة التي خلقها الله تعالى قد احتجت على هذا الظلم المبين، وظللنا واقفين في هذا الجو المكفهر، وفي هذا العراء حتى تعد الظهر، ثم جرى بسيارة الترحيل، ذات المقاعد الحشبية الخشنة فحشرنا فيها حشر الأنعام. إنهم قوم لا يعرفون للإنسان كرامة ولا للرجال قدرا ولا لكبار السن وقارا ولا للعلم كرامة. إنه ليحز في نفسي كثيرا أن أرى هؤلاء الناس الذين داسوا بأحذيتهم الغليظة كل قيمة من القيم، وحطوا مثل فأصبحت المعيار عندهم منكوسة، وصارت مثل في خيالهم المريض منكوسة، وأصبحت معايير الأمور لديهم معكوسة. لقد اتكفوا كل حرمة، واستحلوا كل عرض، لأنهم مسخوا، فظنوا الحياة كلها مسخا شائها:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأثما وعويلا

نظقت بنا السيارة ونحن يلفنا صمت أعمق من صمت القدير، وعلامات الاستفهام تصرخ في وجوهنا تريد أن تقول هؤلاء الجلادين: فآين تذهبون؟ وعلامات التعجب تصيح: أي ذنب جنيناه نستحق عليه كل هذا ولمصلحة من هذا؟ ولكن سرعان ما طاشت تلك العلامات أمام حقيقة تقول: إنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وويل للإنسان من الإنسان ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾.

بما كانت الجهة التي سنتجه إليها فإنها في ملك الله، والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم. فنحن أينما كنا فالله معنا: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض. ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾. واستقرنا المقام أمام أحد السجون المشهورة في مصر. إنه «أبو زعبل» ونزلنا هناك وكان النهار قصيرا، وأوشكت الشمس الغاربة أن تطبع قبلة الوداع على السحاب فتكسوه ثوب الحياء الأحمر. كان اليوم يوما عبوسا مقظريا خيم الحزن فيه على النفوس وزاد من أسانا وأسفنا أنه ما كان ينبغي في بلد الإسلام والأزهر أن تنزل كل هذه التكبيلات على رعوس المسلمين. ودخلنا أحد العناير ولم يكن يسع هذا العدد، فقام بعض المهندسين المعتقلين بتوزيعنا على عدد البلاط بحيث إننا

تلاصقنا لو أراد أحدنا أن يغير جنبه الأيمن إلى الأيسر لا يستطيع إلا إذا جلس أولا. ثم يتحول إلى الجانب الآخر. ولست أبالغ إنما أكرس الحقيقة إذا ما قلت إن بعض الأفراد لم يكن لهم مكان قاضطروا إلى أن يناموا في دورة المياه، وكان بها مرحاض فكان كل واحد منهما يضع جسمه داخل المرحاض ورأسه خارجه. وقد يعنصرك الألم اعتصارا عندما تعلم أنه لم يكن بالسجن طعام تناوله عند الإفطار، لولا أن تداركنا الحق بلطف بره فجاء لنا بعض المعتقلين ببعض كسر الخبز الجاف وبعض حصيات الملح.. كل هذا يجري على أرض مصر!!

عجبت لمصر تهضم الليث حقه وتفخر بالسنور ويحك يا مصر
سلام على الدنيا سلام على الزوى إذا ارتفع العصفور وانخفض النسر

وصبيحة اليوم الثاني تودى علينا وعلى المعتقلين جميعا في هذا السجن، فوقفنا في الفناء الفسيح وكل يحمل أمتعه. وكنا ألوفا، فذكرني هذا الموقف بصعيد القيامة بعدما تشر من القبور: ماذا يراد بهذا الجمع؟ إنه جمع يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه. إنه يوم يذكرني بيوم البعث: يلقي الولد والده فيقول له: يا أبت لقد كنت بك بارا وإليك محسنا وعليك مشفقنا. فهل أجد لديك حسنة يعود علي خيرها اليوم؟ فيقول له: يا بني ليني أستطيع ذلك. إنني أشكو مما منه تشكو. وتلقى الأم ولدها فيقول له: يا بني لقد كان بطني لك وعاء، وكان حجرى لك غطاء، وكان ثديي لك سقاء. فهل أجد لديك حسنة يعود علي خيرها اليوم؟ فيقول لها: يا أماه ليني أستطيع ذلك. إنني أشكو مما منه تشكين. إنه العجب كل العجب:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالكبا

إنها المأساة وإن شئت فقل: إنها الملهاة. لماذا جمعنا؟ قالوا: إنه بلغة السجون: تسكين جديد. وتم التسكين وقد أصابنا الإعياء واللغوب وكان هذا هو المقصود الأهم: أن تهزم العافية في الأجسام المتعبة، لا نوم ولا طعام ولا هواء، إنه تخطيط لموت بطيء. إنهم غلاظ الأكباد، قساة القلوب، جفاة الأطباع، قذت قلوبهم من حديد، بل إن الحديد يألم عندما تشبه به قلوبهم، فإن الحديد قد يلين، ولكن قلوب هؤلاء لا تلين.

ومرت أيام رمضان، وأقبل عيد الفطر، فأنار في النفوس الحنين إلى الأهل الذين تقطعت بهم الأسباب، وسُبح في هذا اليوم بفتح الأبواب: أعنى أبواب العناير الحديدية، فكان في ذلك ترويح للنفوس وتخفيف للمعاناة، فقد تزاورنا وتجادبنا أطراف الحديث فما بيننا، وسُبح لنا أن نخفل بالعيد، فقام الأدياء بإلقاء القصائد، وقام آخرون بأداء بعض التمثيليات الهادفة. ثم بعد ذلك اتى العيد بما فيه من دمة وبسمة: دمة شوق وبسمة رضا

بقضاء الله تعالى وقدره ، قضاء الله لا يُقابل بغير التسليم وليس له عدة سوى الصبر الجميل .
كان هذا السجن - أعنى سجن أى زعبل - أقل سوءاً من سجن طرة ، وذلك لأن عتباره
نظيفة ودورات مياهه جارية . فقد بُنى خصيصاً لنا قبل أن ندخله ، ويوم نزل البُاعون
وسلموه دخلته أول فرقة من المعتقلين الذين لاقوا ما لاقوا من ألوان العذاب التى تقشعر منها
الأبدان ، وتشيب من هولها نواصي الولدان . لقد عُلّقوا على سور السجن كما قال فرعون
للسحرة الذين آمنوا : ﴿ فَلَاقَطْنِ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جَدُوعِ
النَّخْلِ ﴾ . بدأ ذلك العذاب من أغسطس ١٩٦٥ إلى أن انتهت التحقيقات - استغفر الله -
بل التفتيحات ، . لقد مارسوا مع هؤلاء الأبرياء ألواناً من العذاب يستحى الشيطان أن يذكرها
فاللهم اجعلها في حسناتنا وكفر بها سيئاتنا .

كان المرحلون إلى أى زعبل يعلمون أنهم جئ بهم ليمكثوا مدة طويلة . فقد كان هذا
السجن يسمى المخزن ، وكان فناؤه يسمى المحمصة لشدة ما وقع فيه من العذاب . ولا
أستطيع أن أنسى ذلك العالم الجليل الكفيف البصر الشيخ « عبد الحليم سعفان » . وكانت
تمهته أنه تبرع لأسرة اعتقل عائلها ، فكانت هذه جريمة لا تُغتفر . التقيت به في سجن
أى زعبل ، فسمعته يردد هذه الأبيات :

إذا شاب الغراب أتيت أهل وصار الفأر كاللين الحليب
وصار البر مرتع كل حوت وصار البحر مرتع كل ذيب
ثم بصت قليلا ويقول :

عسى الكرب الذى أميت فيه يكون وراءه فرج قريب

أعددتنا أنفسنا لمكث طويل . وكانت يد الله تعمل في الخفاء ، وعلى المؤمن أن يسلم
الأمر لله وحده : ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ . ﴿ والله غيب السماوات والأرض وإليه
يرجع الأمر كله . فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

شئ من التيسير

تبركت ربنا وتعاليت لقد قلت وقولك الحق : ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾
وجاء في محكم كتابك : ﴿ فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً ﴾ . وجاء على لسان
رسولك : « لن يغلب عسر يسرين » .

تقدمنا إلى قائد السجن بمطالب :

- طالبنا بأن يُسمح لنا بفسحة في إحدى ساعات النهار فُسمح لنا بنصف ساعة .
كما نلتقى فيها فتحدث والحديث ذو شجون ، ونمشي طوال هذا الوقت حتى يكون في ذلك
رياضة للأجسام التى كادت تتصلب من طول القعود .

- وطالبنا بأن يُسمح لنا بمراسلة الأهل ليرسلوا إلينا بعض النقود لتقوم إدارة السجن
شراء بعض المعلبات والفاكهة والخضر عن طريق ما يسمى بلغة السجن « الكانتين »
يُسمح لنا بذلك .

- وطالبنا بأن يُسمح لنا بقراءة الصحف اليومية فأذن لنا .

واستطعنا بذلك أن نكيف حياتنا حتى لا تسأم النفوس من طول انكث وكانت
صحف مرآة تعكس ما يجري في هذا البلد . وكان لها أثر عميق في النفوس لما نعاين من
ظلم وما يرفل فيه غيرنا في النعيم : قوم يُعاقبون لأنهم مدوا يد المعونة لأسرة فقدت عائلها
حيث رُمى في غياب السجن وراء القضبان ، وقوم يقضون الليالي الحمراء حول الموائد
خضراء يُشار إليهم بالبنان ، وتسير بمفاخرهم الركبان . ما تعاقب المنوان واحتلف الجديدان
قوم تتمرغ النعمة في أعتابهم ويدوسونها بأقدامهم . وآخرون يتجشمون الأوصاب
ويتجرعون كتوس العذاب . قوم تهب عليهم السمات معطرة بالأريج ، وآخرون يفتحهم
فيظ المواجر من فيح جهنم . قوم إذا جنّ عليهم الليل ركبوا فرس اللهب يفرحون ويمرحون .
وقوم لا يُسمح لهم إلا أن يفتروشوا الغبراء ويتحفوا السماء .

إن الله تعالى صَوَّر هذا المجتمع أدق صورة في أسمی درجات الدقة ، قال عز من قائل :
﴿ فكأن من قرية أهلكتناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر
مشيد ﴾

دعوة إلى وضع المساجد تحت الرقابة

تصور معي كاتباً يحمل قلماً مسموماً يكتب فيقول : « راقبوا أولادكم في المساجد » .
بها الكتب كيف طوعت لك نفسك وكيف استجاب قلمك أن تكتب هذه العبارة ؟
وكيف تدعو الجبارة إلى أن يضعوا المساجد تحت الرقابة البوليسية ، والمساجد منازل السكينة
والرحمة والملائكة . ألم تسمع قول الله تبارك اسمه : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من
المهتدين ﴾ . كيف طوعت لك نفسك الأمانة أن تكتب مطالباً بوضع المساجد تحت الرقابة

إلا أن يكون ذلك سعياً منك في خرابها لأن من دخل المساجد وهو يعلم أنه مُراقب وبعد الرقابة سيُكتب فيه تقرير يؤدي به إلى عالم التيه في ظلمات السجون التي تذكر بعصر التفتيش في ظلمات العصور الوسطى . أو ما قرأت قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها . أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم في الدنيا خزي . ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ . كيف تدعو إلى وضع المساجد تحت الرقابة ، وقد قال رب العالمين : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ . وقال في حقها : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

وكيف يُوضع أهل هذه البيوت التي أذن الله أن تُرفع . كيف يوضعون تحت الرقابة . وقد قال الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » . إن المساجد هي بيوت الله . وقد قال الله في حديثه القدسي الجليل : « بيوت في الأرض المساجد وعمارها زوارها . فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي . وحق على المزور أن يُكرم زائره » . فكيف يكرم الله زواره في تلك البيوت وتريد أن تضعهم تحت الرقابة ؟ إن الرقيب الأول هو الله وحده لا شريك له . كنت أود أن تصحح تلك الكلمة التي كُبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً - كنت أود أن تصحح هذه الكلمة الحبيبة فتكتب : راقبوا أولادكم في المسارح . إن المساجد مهبط الرحمة : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

الظلم إذا دام دُمّر

أيام بلا شمس وليال بلا قمر . تلك التي صار المعروف فيها منكراً ، والمنكر فيها معروفاً . والتي صار شعارها :

صوموا ولا تتكلموا إن الكلام محرم
ناموا ولا تسيظوا ما فاز إلا النائم
إن قيل إن نهاركم ليل فقولوا : مظلم
أو قيل هذا شهدكم مر فقولوا علقم

نعم لقد أصبح الشعار للمجتمع : ﴿ نافي أو وافق وإلا ففارق ﴾ . وضاعت النصيحة كما ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحولت الأمة إلى أسباح تتحرك ومن قبل عنه إنه صاحب مبدأ أو يدعو إلى مبدأ ، فليس مكانه بين الناس ، إنما يُعزل بعيداً عنهم هناك وراء القضبان ﴿ أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ . ولم يقف الإنسان عابداً مشدوهاً من شدة العجب عندما يقرأ قول الله تعالى على لسان نبيه صالح وهو يقول لقومه : ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ . إنها ذروة المأساة وقمة الملهاة ألا يحب الناس الناصحين حتى يقول الناصح الأمين :

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا فأوقعتني نصحي بدار هوان

أصبحت سماء مصر مليدة بغيوم النفاق والظلم ، فهذا صاحب قلم يسيل مداده سماً نافعاً يريد أن ينافق صلاح نصر فيكتب عنه قائلا : « إنه الرجل الذي تكلونا عينه بالليل ونحن نيام » ثم يستطرد قائلا : « إنه الرجل الذي بلغ من دقة رقبته أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » . هل هذه العبارة في حاجة إلى تعليق ؟ ألم يخطر على باله آية في كتاب الله تقول : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السموات وما في الأرض . من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ . إن الله تعالى هو القيوم وحده ، القائم على شئون عباده . ألم يقرأ قوله جل شأنه : ﴿ ما للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ . تلك خاصية من خصائص الألوهية والله لا يشرك في حكمه أحد ﴿ والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ﴾ . ألم يقرأ قوله جل شأنه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . ثم ألم يقرأ قول الباري تبارك اسمه : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . ولو كان هذا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور كما قال صاحب هذا القلم - لو كان كذلك فلم لم يبحرنا بما سوف تقوم به إسرائيل في هزيمة يونيو . سبحانك هذا بيتان عظيم : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .. لقد بلغ النفاق مداه عندما وقف أحد الشعراء ينافق عبد الناصر فيقول :

بشرى إن صلاح الدين قد عاد وأصبحت هذه الأهل أعيادا
أجمال مالك من بين الأنام فتى في الشرق والغرب ممن ينطق الضاد
لو كان يعد من بين الأنام فتى كنا لشخصك دون الناس عبادا

قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا أبا بكر بم عرفت ربك ؟ فقال رضوان الله عليه : عرفت ربى وربى ولولا ربى ما عرفت ربى . قالوا : فكيف عرفتته ؟ قال : العجز عن الإدراك إدراك والبحث في ذات الله إشراك .

لا يسأل عن الله بمتى كان ؟ لأنه خالق الزمان ﴿ وهو الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ .

كان الله ولا شيء معه ، استوى على العرش ، والاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، فإنه تعالى كان ولا مكان ، وهو على ما كان قبل خلق المكان ، لم يتغير عما كان ، علم ما كان وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لا يكون ، لو كان كيف كان يكون . قيل لعل كرم الله وجهه : متى كان الله ؟ فقال : ومتى لم يكن .

ولا يسأل عنه سبحانه وتعالى بأين هو سؤال إحاطة ؟ لأنه تعالى خالق المكان .

قالوا : وما خطر ببالك فأنه خلاف ذلك . والقول الفصل ما وصف الله به ذاته فقال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

مر الإمام سفيان الثوري يقوم بمحفلون بأحد العلماء فسأل : لماذا الاحتفال ؟ قالوا : لأنه أقام ألف دليل على وجود الله . فقال سفيان والعجب قد أخذ عليه كل مأخذ : ومتى غاب سبحانه حتى يسأل عن وجوده ، آمن به المؤمن ولم ير ذاته ، وجحدته الجاحد ووجوده في ملك الله دليل على وجود الله .

الديان لا يموت

كيف طوّعت لهذا الجلال نفسه أن يتجرأ على الذات الأعلى ؟ فيصيح في فناء السجن بصوت منزعج كربه ويقول : إن الله لو نزل من السماء فقد أعددت له هذه الزنزانة . ولكن يزول العجب وتهاوى علامات الاستفهام عندما تقرأ قوله عز وجل : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم أعين لا يبصرون بها ، وهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ﴾ .

أم تر كيف فعل ربك بهذا الجلال الطاغية ؟ لقد جاء اليوم الذى دار الفلك فيه دورته ، وغضب عليه سيده « عبد الناصر » ، فأدخله السجن ليذوق من نفس الكأس المرة التى جرعها لأثوف من الضحايا الأبرياء . وهكذا اقتضت سنة الله تعالى أن من أعان ظلماً

سلطه الله عليه . والظالم وجنوده وأعوانه داخل دائرة المسؤولية قال تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون ﴾ .

فماذا حدث ؟ أفرج عن هذا الجلال وسافر يوم « عيد الفطر » ليزور أهله ؛ وبينما هو في الطريق الزراعى لا يدري ماذا خبأت له الأقدار . لقد ظن أن الكون يسير وفق هواه ونسى أن في السماء ملكة مكتوب على بابها : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ . خرج عليه في الطريق الزراعى سيارة ذات مقطورة ، فعصفت بسيارته ، فوقع فريسة بين أوتابها ودخلت في عنقه أجسام صلبة ، فأخذ يتحور كالثور والدماء تنزف منه ، فلم يكن هناك يد من فصل رأسه عن جسده . وهكذا كان القصاص العادل من رب الأرض والسما ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله . إن الله عزيز ذو انتقام ﴾ .

يا فام الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يأتين أسحارا

وهكذا الدنيا إذا حلت أمام الظالمين أوحلت ، وإذا كست أو كست ، وإذا جلت أو جلت . وكم من تلك رُفعت له علامات ، فلما علا ... مات .

دعوة مستجابة

اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب .

وإذا زمت من الزمان بشدة وأصابك الأمر الأشق الأصب
فأضرع لربك إنه أدى لمن يدعو من حبل الوريد وأقرب
واحذر من المظلوم سهما صالبا واعلم بأن دعائه لا يحجب

كان أحد كبار الجلادين في السجن الحرفى يمر بنزلاء الزنازين فوجد شيخا كبيرا في زنزانه قد امتلا نصفها بالماء والبرد قارس ، فقال له شامتا متهمكا : كيف حالك ؟ فأجاب ذلك الشيخ : بالحمد لله على نعمائه والشكر على آلائه . قالها بلسان اليقين ومنطق الحق المبين . نعم إنه يحمده الله الذى عافاه مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فقد وهب قلبا ذاكرة ، ولسانا شاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا .

كان الإمام أحمد بن حنبل في محنته ، يضره الجلادون بالسياط الحامية ، فكان إذا اشتد به الجلادون ضربا ، ارتسمت ابتسامة الرضا على وجهه ، وتلاميذه من حوله يكون ، بل ويتحجبون . فلما رُفِع العذاب عنه سأله : يا إمامنا لماذا كنت تبسم ونحن نبكى ؟ فقال

بمنطق الإيمان : إنكم تكونون لأنكم ترون هذا الجلال ، أما أنا فأنتسم لأننى أرى يد رب العباد .

لقد رأى الإمام أحمد رضى الله عنه رسول الله ﷺ في المنام فقال له : « يا أحمد سئبل فاصبر يرفع الله ذكرك إلى يوم القيامة » .

إن كبير الجلادين في السجن الحرى سأل الشيخ الوقور الذى يرتعد من شدة البرد في زنازة ملء نصفها بالماء ، سأل شامتا متبكما ساخرا : ادع لنا يا شيخ فنظر إليه الشيخ مشفقا عليه وقال له : أنمأ ن ؟ قال : ادع الله لنا يا شيخ . فتوجه الشيخ الوقور إلى ربه الكريم ، ودعا الله بدعوة غرية من نوعها ، قال : أسأل الله أن يأتي عليك اليوم الذى تمنى فيه الموت فلا تجده . ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . فأى ظلم أشد من ظلم هؤلاء ؟ بل إن الحديث الشريف ينطق بصراحة ووضوح فيقول : « اتق دعوة المظلوم ولو كافرا ، فعليه كفرة » . ويقول : « دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويستقبلها الرب تبارك وتعالى ، ويقول لصاحبها : وعزى وجلالى لأنصرتك ولو بعد حين » .

وجاء اليوم الذى نفذ به الحكم من عكمة العدل الإلهية الكبرى في هذا الأفك الأليم ، العتل الزنيم ، اللفظ الغليظ ، فأصيب بسرطان في كليته . ولما كان من الشخصيات المرموقة ، طاف بدول أوروبا يلتمس العلاج . فكان كما قال الله تعالى : ﴿ كسراب بقية بحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب ﴾ .

وعاد من أوروبا كما ذهب إليها ، وكان يصرخ فيمن حوله مستغيثا بهم أرجيا إياهم أن يضربوه بالنار حتى يستريح من النار داخله . وكانوا إذا وضعوه على سريره صاح فيهم : أنزلوني لأنام على الأرض ، فيقال له : إن البرد شديد . فيقول : أنيموني على الأرض مهما كان البرد قارسا فأنا لا أستريح في النوم على السرير . وظل هكذا يتجشم الأوصاب ويتجرع كتوس العذاب حتى قضى عليه الموت . صدقت يا سيدى يا رسول الله : « البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين نذان » .. وهكذا استجاب الله دعوة المظلوم ، فجاء على ذلك الظلم اليوم الذى نمتى فيه الموت فله يجده . وبالكيل الذى تكبل به للناس سيكال عليك لا راد لما قضى الله ، ولا معقب حكمه ولا شفاعة في الموت ولا حيلة في الرزق . قال ﷺ : « من مشى مع ظالم ليقويه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج عن الإسلام » . فما للقلوب أصبحت لا تتشبع ، وما للأذان أصبحت لا تسمع ، وما للأعين أصبحت لا تدمع وما للأجسام أصبحت لا تسجد ولا تركع . فقم منسل الدموع حزنا ، على هذا الضمير الضائع . وقم مرق الضلوع كمدأ عن هذا غساد الشائع . والله لو تراحم

الناس . كان بينهم جانع ولا عريان ولا مغبون ولا مهضوم ولأفقرت الجفون من المدامع ، ولاضمت الجيوب في المضاجع ، ونحت الرحمة الشقاء من المجتمع ، كما يمحو نور الصبح مداد الظلام . فبا أيه السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء ، وارحموا من في الأرض يرحمكم من السماء . وستمع معى إلى ما قاله مبعوث العناية الإلهية صلوات ربي وسلامه عليه : « إنما أنا رحمة مهداة » . ثم « الراحون يرحمهم الرحمن » . « ارحموا من في الأرض يرحمكم من السماء » . « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » . « من لا يرحم لا يُرحم » .

وتبارك اسم الله وتعالى جده إذ يقول لحبيبه ومصطفاه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

وكان الكلب خيرا منه

مر رسول الله ﷺ بجثة قتيل فسأل : من قتل هذا ؟ قالوا : يا رسول الله إنه لص سطا على غنم القوم ، فخرج عليه كلب الغنم فقتله ، فقال الصادق المعصوم : « قتل نفسه وأضاع دينه ، وكان الكلب خيرا منه » .

صدقت يا سيدى يا رسول الله ، ففى الكلب وفاء لصاحبه ، يصون بهذا الوفاء الأمانة ويتخاف على من سترعاه ، وقد يفقد الكثير من الناس تلك المروءة :

مرت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تنتحب الفتاة
فقلت كيف لا أبكى وأهلى جميعا دون خلق الله ماتوا

جىء ذات يوم وفي صيف ١٩٦٥ جىء بأحد العلماء المتخصصين في دراسة ككتاب والسنة ، وقد بلغ من الكبر عتيا ، ووضع في قفص حديدي لما أصاب عظامه من تكسور ، فقال قائد الجلادين لزيابيته : ادخلوه زنازة واحبسوه حبسا أفراديا وجوعوا له كلبا ومما هو جدير بالذكر أن الكلاب في السجن الحرى كانت تأكل ما لذ وطاب من الطعام بين الأدميون لا يجدون فوات الموائد وكانت الكلاب مدربة على نهش لحوم البشر فانظر يراعك شه .. وتأمل ما هي العزة والكرامة التي كان يتغنى بها زعيم البلاد ؟ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ . ونفذ الزبانية الأمر وجىء بالشيخ وقد بلغ لوهن منه ما بلغ واشتعل الرأس شيئا وصار فيه ديبب الشيب فهزم العافية في جسده ناعم ودخل الزنازة وهو لا يدري ماذا يراد به ولكن من كان الله معه فمن عنيه ؟ ومن وجد الله فمأذاه فقد ؟ لقد أعتقلوا أبناءه من قبله فأرسلهم التماسا إلى أحد كبار المسئولين يقول فيه أرجو أن يُفقى لي أحد أبناء ليقيم على خدمتي في بيتي فكان رد ذلك المسئول ردا عمليا أرسل إليه من زبانيته من قام بإلقاء القبض عليه وقال له : إن سيادة المشير يقول لك بل

أنت الذي تذهب إليهم في السجن ليقيموا على خدمتك هناك فاعجب معي إلى أي مدى بلغ إهدار الآدمية وتحطيم الإنسانية في بني بشر؟! وإلى أي حد قست قلوب هؤلاء الجبابرة وأولئك الأباطرة الذين نسوا لله وقالوا من أشد منا قوة؟ نعم باربنا قتل الإنسان ما أكفره!!!

الشيخ الجليل في الزنزانة

دخل الشيخ زنزانته وهو يرتل قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً﴾ ثم يقرأ: ﴿رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾. واستقبل لقبلة وصلّى ثم ركعتين وصلاة كيف المؤمن كما أخبر بذلك الصادق المعصوم وكان عليه السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول: «أرحنا بها يا بلال» فمن أراد أن يكلم الله فيصلي ومن أحب أن يكلمه ثم فليقرأ القرآن وكانت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ يمدنا ونحوه ويكلمنا ونكلمه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

وفوجيء الشيخ ببعض الجلادين يدخلون معه كلنا مفزعاً محجفاً ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ وأنفقوا عبيد باب الزنزانة واستمر شيخ في صلواته فالصلاة روح يسرى في قلب المؤمن يصله بالعدم عنوى وألاً لئلا يكتفى وقد قرأ حاتم الأصم محبياً عن سؤال جاء فيه: كيف أنت إذا دخلت صلاة؟ قال رحمه الله: «إذا دخلت الصلاة جعلت كأن الكعبة أمامي، والموت يراني ووجهة عن يميني، ونار عن شمالي، والصراد تحت قدمي، موقناً بأن الله مطلع على فإذا سمعت لا أدرى أقبلها الله أم ردها علي؟! وبعد ساعات من وضع الكلب بجانب الشيخ نادى قائد السجن عن زنايته وقال: «هل لسان الصلغ والته والكبرياء: اذهبوا وانظروا ماذا فعل الكلب باین ال... وذهب الزناية على أمل أن الكلب قد أكل من الشيخ لحمه وعظمه وناء عليه سوف تصرف هم مكافأة مادية وهكذا كانت أحوال الناس وعلاقاتهم المتفعا... الصلحة... المادة... كسب الرخيص... الأناية... حب الذات... النفاق... كذب... خيانة... أنا وصدقان من بعدى: «أنج سعد فقد علت سعيد» ونظرو من العين مسحرة من باب الزنزانة يخرجوا الكلب ويفسولوا الدم ولكن كانت المفاجأة تنلح لها تقوب وتنفقد لها لألسنة دهشة وعجباً لقد وجدوا الشيخ ساجداً لله تعالى مستغفراً في نور جلال وجمال والكمال عبه كوكبة تحفها السكنينة والوقار ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب دري وقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها

بضوء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله للأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ . نعم :

وإذا العناية لاحظتك عيونها تم فاحذرف كلهن أمان

وجسوا الشيخ ساجداً والكلب يحرسه كأنهما كانا على معرفة قديمة وصدافة أصيلة!! إنه الإيمان إذا تمكنت بشاشته من شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكناً والمثلح الأجاج عذياً فرانا سلسبلا ، إنه اليقين في الله والاعتصام بحبله المتين إنه صدق النية والإخلاص... إنها لغة «لاسلكى القلوب» لا يفهمها إلا من صفا قلبه وقوى يقينه إن هذا الإيمان يحرك أحبال ويسير العوام.

إن الله عبادة فطناً طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست على سكا
جعلوها حجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

لقد رجع الزناية إلى سيدهم وقد انعقدت على رؤوسهم حالات ضخمة من الدهشة فما كان منه إلا أن قال ذلك بالسياب والشتائم وقال لهم: ارجعوا فحرضوا الكلب لينبش لحم هذا ال... وقبعوا ذلك ولكن دون جدوى فالكلب وقى لأولياء الله الصالحين والودء قبسة عليها له في القلوب مؤمنة مكانة عظمى بيننا| بنو الإنسان حرموا هذا القدر العظيم من هد احسن العضم ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعددهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ .

بارب ما أعظمتك! ما أكرمك! ما أرحك! ما أجلك؟ كل شيء قائم بتك، وكل شيء خاشع لك، أنت قوة كل ضعيف، وعز كل ذليل وغنى كل فقير، ومفزع كل منهوف، من تكلم سمعت نطقه، ومن سكت علمت سره، ومن عاش فعليك رزقه، ومن مات فإليك منقلبه يا عظيماً يرجى لكل عظيم.

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت الرقيب لكل ما يتوقع

ألسنت أنت القائل في الحديث القدسي الجليل:

«عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لي فيما أريد كفيئت ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد؟» .

يارب :

حاسبت نفسي لم أجد لي صالحاً
وعددت أفعالي على فلم أجد
وظلمت نفسي في لعالي كلها
يا أيها الإخوان إني راحل
يارب إن لم ترضى إلا ذا تقى
من للمسيء الذئب الحيران !؟

لقد شكنا الزبانية إلى سيدهم صمود الكلب وثبوتهم وصراره على موقفه من الشيخ فقال لهم وقد ظل وجهه مسوداً وهو كظيم إذا فأخرجوا الكلب حتى لا يصاب من رائحة الزبانية بشيء يؤذيه ونسى هذا أو تناسى أن للقلوب دولة لا يملك منافعها إلا الله لقد ظل الشيخ في هذا السجن عاماً خرج بعده مسافراً إلى مكة الحجاز حيث عاش بها منتقلاً بين الحرمين الشريفين وأراد ربك أن يختاره ابن جواره هناك وأن يدفن بأرض/الظهر ومنازل الوحي ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴾

إلهي نجنا من كل كرب يهدي المصطفى خير الجميع

وهب لي في مدينته فراراً ورزقاً ثم دفنا بالبيع

مشهد مهيب

يذكرني ما حدث لذلك الشيخ الجليل مع زبانية السجن الخرفي بهذا المشهد المهيب الذي أجراه الله على يدي هذا العالم الجليل القدر « أفى الحسن أحمد بن بنان » وقد دخل على أحمد بن طولون حاكم مصر فأمره ونهاه فغضب حاكم عن لعاد متجاهلاً قول الصادق المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه : « اتان إذا صلحا صحت الأمة وإذا فسدت الأمة العلماء والأمراء »

غضب الحاكم ولم يبق في قوس صبره منزوع وبلغ من غضبه بعدما غلى مرجل غضبه ونجر أنه قال لجنده خللوا هنا وادفعوا به إلى أسد جائع وأعفوا عنهما فقصاً حتى لا يبقى من عظامه ولحمه ولا يذر ونفرد الأسد بالعالم الجليل وفي سبحة يوم التالي نظر الحراس فوجدوا العالم يجلس في وقار وجلال يذكر الله ويتلو آياته السركات ووجدوا الأسد الرئيب مصعباً لرأس في سكينته وتواضع يستمع إلى آي الذكر الحكيم وكيف لا وهو كلام الله جل جلاله ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴿ ثم كيف لا ومنزل الكتاب سبحانه يقول . ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرآته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يشكرون ﴿

لقد جرىء بالعالم إلى الحاكم وقال له : ما هذا الذي سمعت عنك ؟ قال : العالم وماذا سمعت يا ابن طولون ؟ قال : كيف امتنعت عن الأسد ؟ قال : إن الذي منعتني منه هو الذي يقول : ﴿ ومن يتقى الله يجعل له مخرجاً ﴿ ويقول : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴿ قال ابن طولون : فأى شيء كنت تخشى وأنت مع الأسد ؟ قال : كنت أخشى أن يصيبني لعاب الأسد فينجس ثوبي قال ابن طولون : فأى شيء تمثلت في هذا المقام ؟ قال : تمثلت قوله تعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴿ فلم يسع ابن طولون إلا أن يودع العالم ويسأله دعوة صالحة يهديه الله بها سواء السبيل .

لو يعلم الزبانية

قال رجل للإمام أحمد بن حنبل : يا إمام ، إن أخطى للظلمة نياهم فهل أعتبر منهم ؟ قال : بل أنت من أعوانهم فانظر إلى أي حد عميت النسولية ، واحتدم الأمر ؟ إن الله تبارك وتعالى لم يلق التبعة على فرعون وهامان وحدهما إنما شمل الحكم جنودهما قال تعالى : ﴿ ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴿ وقال جل شأنه : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿ ولو يعلم الزبانية ماذا كان مصير فرعون وجنوده ؟ ما جلدوا ظهراً ، ولا انتهكوا حرمة ، ولا استباحوا عرضاً ، قال تعالى عن فرعون : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبحين ﴿ لو يعلم الزبانية موقف السادة منهم يوم القيامة ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأصلونا السبيلا ربنا أتهم ضعفين من العذاب والعنيم لعنا كبيرا ﴿ لو يعلم الزبانية هذا المصير ما أطاعوا سادتهم أو كبراءهم حتى يكونوا في منأى عن العقاب في يوم ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤبه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيهم ﴿ فيقال له كلا ﴿ إنها لظنى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى ﴿ لو يعلم الزبانية كيف سيقربهم من أسياهم ما أطاعوهم في الدنيا ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما

للحرب.. كنا أيام النكسة نرقص ونغنى في الطرقات ، وكانت إسرائيل - أيام انتصارها -
ترتدى ثياب الخداد وتصل على قتلاها. فانظر معي ثم اعجب مهزوم يرقص ويغرح
ويطرب ، ولتتصر بصل على قتلا !!

ختانتك يارب . اللهم ثبت علينا عقولنا واحفظ علينا ديننا .. هكذا كان خطاب
الزعيم بزار وبزجر ، وبوسل صحبته العالية التي تبعث من رأس باض الشيطان وقرح فيه ،
من رأس فارغ يشخس في الهواء كزعوس التماثيل « أسد على وفي الحروب نعامه » .

جرمة التكافل

كان في السجن ما يسمى بالتكافل وهو تعاون الإخوة فيما بينهم بمعنى أن من وجد
يعطى من لم يجد ، وأن القوى بين الضعيف ، وبغيت الملهوف ، وأن القادر يأخذ بيد
العاجز ، وهكذا لقد كنا نتعامل مع ما يسمى (بالكاتنين) الذي يقوم بشراء الفاكهة
والمعلبات ، ثم يقوم القادرون بالتعامل معه ، والشراء منه ، وكان في ذلك منفعة متبادلة ،
فهو تدر الربح الوفير للقائمين عليه وتعود بالفائدة علينا ، حيث إن طعام السجن يأتي
بأمراض لا يعلم مدى خطرها إلا الله تعالى !!

والشيء الذي يثير في النفس كوامن الحزن ، ولواعج الأسى وينخلع له القلب من
الملح ، أنهم حرموا التعاون فيما بيننا !!

لم يكن في طاقة الجميع أن يتعامل مع الكاتنين لأنه عاجز عن ذلك لضيق ذات اليد ،
فإنه قبل أن يدخل السجن كان يكتسب لقمة عيشه بكده مهينه ، وعرق جبينه ، فلما دخل
السجن ، وقع أهله في ضيق شديد ، فقد كان من تسول له نفسه أن يطرق بابهم ولو بالسؤال
عنهم كان مصيره كما يقولون « وراء الشمس » .

فإذا ما مد لهم يد المعونة تلك جريمة لا تغتفر .

أعرف رجلاً كفيف البصر ظل في السجن عامين لأن جاره قد اعتقل فذهب إلى
أهله . وأعضاهم جنبيين تلك كانت جرمته !

الله تعالى يقول : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ والقانون الظالم قانون « عبد
الناصر » يقول : من مد يده بجيبه سجن عاماً . وهكذا قانونه من جاء بالحسنة فله عشر
سيئات . فكيف تتصور أن تأكل شيئاً من الفاكهة وأحوك بخورك بنظر إليك ، لا يملك أن
يمد يده بيد ، بل يشتم أربابها ، ويغرم من مذاقها !!

حزني بريك

هل تستطيع نفسك أن تقوم على مثل هذا العمل !!

أعرف رجلاً كان يجاني ، وكان يعمل بالبناء ، فلما اعتقل اضطرت زوجته أن تبيع
حتى لأنوات التي كان يقوم بواسطتها بعملية البناء ، فكيف يتصور إنسان أن يأكل شيئاً يحرم
من أخوه والرسول ﷺ يقول في حقوق الجار : « ولا تؤذ به برح قدرك وإذا دخلت على
أهلك بالفاكهة فإما أن تعطيه منها ، وإما أن تدخل بها سرا ولا تترك ابنك يخرج بها فيغيب
بها ولده » صدقت يا سيدي يا رسول الله يا صاحب القلب الرحيم !! والحق العظيم !!

حادثة تسلل داخل العبر

من شر النصائب ما يضحك !

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

ذكر ذات يوم أن القائمين على شأن « الكاتنين » في سجن أبي زعبل حينئذ لنا بكمية
وفيرة من البرتقال وزعت على المتعاملين مع الكاتنين وحرم منها الذين لا يجودون ما يتفقون
ويحسب الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلخافاً وكنا في العنبر قد
بلغ عدداً مائة وعشرين منهم بعض أفراد لم يستطيعوا التعامل ومن هنا حرموا من البرتقال
ذات ذلك القانون صارمة تمنع منعا باتاً أن يمد أحد المعتقلين يده بشيء أيا كان نوع هذا
شيء . من أخيه في المعتقل ومن ضبطه متلبساً بذلك استدعى للتحقيق وحسب حسب أفرادها في
زنازين التأديب حيث يصرف له رغييف واحد طول اليوم بجانب قليل من الماء وبعض
حصى الملح !!

وقد يقول قائل : وماذا لا يمد أحدكم أخاه بشيء من المال سرا ؟ لأننا نقول إن المال كان
محرمًا علينا ، لأننا أرسل إلى أهل فيرسلون النقود إلى إدارة السجن ونقوم بدورها بتوزيع
بضقات تتعامل بمقتضاها مع الكاتنين فمن ليس عنده نقود يتعامل بها لا تصرف له تلك
لبضقة ومن ثم يحرم من التعامل بطريق التكافل أو التعاون ، حتى يحطموهم بزعمهم تعاليم
إسلام في النفوس وحتى يخرج المعتقل إلى المجتمع إن قدر له ذلك بمسوخاً شئها أنانياً عما
بدته حقدنا مليئاً بالشحناء والبغضاء في ظل الاشتراكية اليوغوسلافية وتعاليم « تيتو » الذي قال
بزعمهم منهم لأن تكون زعيماً مهيباً أفضل من أن تكون زعيماً محبوباً .

كانت القوانين صارمة إذا ما قام أحد (السياسي) جمع بسيس وكان هذا الاسم يطلق
عن كتلة التقارير السرية .

تأمل معي يرحمك الله كيف صارت الأتانية فضية ، وكيف أضحي التعاون رذيلة ، وكيف صار المعروف منكرا ، والمنكر معروفاً ، وكيف أصبح الذئب راعيا والحصم العبيد قاضياً !!؟

حدث ذات ليلة أن قام أحد المعتقلين في عبرتنا بحمل بعض الفاكهة إلى أحد الإخوة الذين حرموا من التعامل وتسلسل على يديه ورجليه في حزمة ثيل حتى لا يشعر به أحد من كتبة التفتريات ، وأخذ طريقه إلى مكان هذا الأخ ، وبينما هو يريد العودة إلى مكانه إذ أخرج له أحد السياس رأسه من تحت الغطاء بعدما رآه يتسلل إلى هناك وغطى رأسه من باب التجوية وصاح قائلاً : قف عندك فقد رأيتك واشهدوا يا سكان هذا العبر عن ما فعل هذا !!

وتساءلنا ماذا فعل ؟ وقال بأمل صوته وكأنه تلقى نقض على عصاة من المهريين صاح قائلاً : (نكافل - نكامل - نكامل) .

اعجب معي لقوم ضيعوا البلاد والعباد ولم يصونوا عرضاً ولم يحفظوا أرضاً ولا عهداً ﴿ لا يرقون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ .

شعرت بمرارة في حلقى لما سمعت ورأيت وذكرى ذلك بلون أبي العلاء المعري :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير فما بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس أنت ضئيلة وقال الدحي للصح لولك حائل
وظاوت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة مريرة وبأ نفس جدى إن دهرك هازل

نعم ليأتين على الناس زمان يقف الخي فيه على قبر أبيت ويقول يا ليتني مكانه !!
وقامت الدنيا ولم تقعد كيف يتسلل أحدنا ببعض حبات البرتقال جادت به نفسه لأخيه المسلم إن هذا لشيء عجاب !!

إن الله تعالى ادخل رجلاً من الجن الجنة لأنه سقى كلباً كان قد اشتد به العطش فشكر الله له فغفر له ذنبه .

أليس هذا المخلوق الذي سقاه الرجل ذا كبد رضية ؟! فما بالك بالإنسان الذي كرمه الله على كثير من خلقه ، وفضلته تفضيلاً !!

إن الله تعالى يسأل العبد يوم القيمة ويقول له : « عبيد مرضت فلم تعدني . فيقول العبد وكيف أعودك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول له : مرض عبيد فلان فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده . عبيد استطعمتك فلم تطعمني . فيقول

العبد : وكيف أطعمتك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول له الله : استطعمتك عبيد فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي !!

عبيد استطعمتك فلم تسقى !! فيقول العبد يا ربني : وكيف أسقيك وأنت الله رب العالمين ؟

فيقول الله : استطعمتك عبيد فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي !!

تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به علينا وأوليت .

إنهم يريدون تحطيم الإنسانية في الإنسان بحيث يصير المرء في نظرهم فرداً ، أي حيواناً مفقود لا يعرف فيما ولا خلقاً ، يريدون أن يقتلوا فينا جانب الرحمة ويقضوا على فضيلة الإيتار ، ليغرسوا في النفوس حب الأثرة التي نسي الله تبارك وتعالى عنها ودم أهلها في قوله : ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ .

إن رسولك الكريم يقول : « من لا يرحم لا يرحم » ويقول : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » . ويقول : « أيما أهل محلة بالوا وفيهم جائع برئت منهم ذمة الله » .

ويرحم الله فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب الذي كان يقول بلسان حاله ومقاله : « لو عثرت بئلة في العراق لسألني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟! » . وما أجمل قول حافظ إبراهيم في عمرته :

إن جاع في شدة قوم شركتهم في الجوع أو تسجل عنهم غواشياً
جوع الخليفة والدنيا بقبضته في الزهد منزلة سبحان مولياً
فمن يباري أبا حفص وسيرته أو من يحاول للفاروق تشيياً
يوم اشتت زوجه الحلوى فقال لها من أين لي ثمن الحلوى فأشرياً !!
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومي لبست المال ردياً

ويرحم الله فاروق هذه الأمة كان يقول لأهله : « إن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فانقروا الله يا آل عمر !! » .

كان الفاروق رضي الله عنه يتردد على خيمة امرأة عجوز عمياء في ضاحية من ضواحي المدينة أيام خلافة الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، فكان يذهب إليها قبل أن تبرز الغزالة من

أرأيت أمة مثل هذه الأمة التي تحكم -كمما يزرع الرحمة من القلوب ، ويعظم الإنسانية في الإنسان .

اللهم لطفنا بعقولنا ورحمة بنا !!

إنك أنت الغفور الرحيم !!

رائحة الجين

قد يقول قائل : وهل للجين رائحة ؟ إنه معنى من المعاني !! فكيف يوصف بما هو محسوس مادي !! وأبادر بأني ما قصدت بالجين هنا تلك الرذيلة التي تمثل أحد طرق صفتين تقع فضيلة الشجاعة بينهما وهما الجبن والشور - إنما قصدت به الجين الذي نأكله والذي جرى به إلينا ذات يوم في « صلبهته » فلما فتحت داخل العنبر فاحت منه رائحة أشد لنا من جيفة الكلاب فصاح الأخ « الدسوق ضيف » وكان تاجرا من بورسعيد وكان مكانه بجواري صاح لما أركمت الرائحة أنه قال : هذا هو الجين في عهد « عبد الناصر » وظن أنها كلمة هو قائلها سرعان ما تذهب أدراج الرياح ولم يدر ماذا سيحدث بعدها !!

لقد كتب بها تقريراً سرى إلى قائد المعتقل العقيد « عبد العال سلومة » وبين غمضة عين وانتهاتها خف سيادة العقيد إلى مكان الحادث وخلفه السادة أركان حربه وكانهم يريدون أن يفتحوا حصنا مستعصيا أو يدكوا قلعة حصينة ووقف سيادة القائد يزار زهير الأسود إذا ديس عريتها وسأل أين « الدسوق ضيف » ؟ وقد أمرنا جميعاً أن نجلس على ركبتنا وصمت الألسنة ، وشخصت الأبصار وفتحت الجلسة ، وثار الرجل وفار ، وتأجج وتوهج ، وأرغى وأزبد ، وهدد وأوعد ، وألقى العقاب على من قال هذه الكلمة ، وكأنه قال فخراً ، ونطق كفراً !!

وهكذا كانت العقوبة توقع بحزم وحسم لكل من تسول له نفسه أن ينطق بكلمة تشير من قريب أو بعيد إلى الذات المنصونة ، ذات الزعيم الذي أوشك أن يقول : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ . والذي كان لا يقبل نصحا ، ولا يرضخ لموعظة الناصحين ، بل كان يقول : أنا الذي خلقت فيكم العزة والكرامة ما أرىكم إلا ما أرى .

نعم

لقد طال هذا السيل وأسود جانبه ، وحرار اللسان ، وعجز البيان ، وحرز الجنان !!
صيرنا إلى أن مل من صيرنا الصيرُ وقلنا غداً أو بعده ينجل الأمر

خدرها فيسارع الطيور في البكور ، فيكنس لها خيمتها ويرشها بالماء ويحضر لها الطعام ثم يتصرف ، والعجوز لا تعلم من هذا ، وذات صباح ذهب إليها كعادته ، فوجد خيمتها قد كست ورشت ، وأحضر لها الطعام فسألها من الذي فعل هذا يا أمة الله ؟!

فقال له : رجل لا أعرفه !!

فذهب عمر ليأتي في اليوم التالي فيبختس ، وراه صخرة لينظر من الذي أتى إلى هذه الخيمة فإذا هو خليفة رسول الله أبو بكر الصديق !!

فقال له عمر : يا أبا بكر الله درك ما سألتهك إلى خير إلا سئلتني !!

فانظر يراعك الله إلى قوم وضعوا أرواحهم في صدائق التوفير التي كتب عليها ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

قوم إذا دعاهم الداعي إلى فعل الخيرات ثلثوا قوته جل شأنه : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعالين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ . وقوله تعالى :

﴿ فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾ . وقوته جل شأنه :

﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ . وقوله تبارك اسمه :

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

أى قوم كانوا ؟ وأين نحن منهم ؟

شتان بين ما كانوا عليه !! وبين ما صيرنا إليه !!

كان الواحد منهم يقول : لزح بحرین بربالین ، وحفر بثرین بابرتین ، وغسل عبدین أسودین حتى یصیرا كأبيضین ، وكنس أرض الحجارة في يوم شديد الهواء بريشتين ، حير لي أن أف على باب لقيم يضيع فيه ماء عيني .

فماذا كانت نتيجة التحقيق في حادثة تسلسل ؟

لقد حبس كل من التسلسل والتسلسل إليه فما ذنبهما ؟

أما ذنب التسلسل ؛ لأنه ما زال حتى لأن يحمل بين حسيه نفسا حيرة ، وأما ذنب التسلسل إليه ؛ لأنه علم ولم يبلغ !!

فكان غد عمرا ولو مد جلده
وقلنا عسى أن يدرك الحق أهله
عجبت لمصر تهضم الليث حقه
سلام على الدنيا سلام على الوري
فقد ينطوى في جوف هذا الغد الدهر
فصاحت عسى من لا ولا طعامها مر
وتفخر بالستور ويحك يا مصر
إذا ارتفع الغصفور وانخفض النسر

أسوأ من رائحة الجبن

حسنا بعد أن وقع العقاب على من قال : هذه رائحة الجبن في عهد عبد الباق
جلستنا في حزن ووجوم كيف استطاع ذلك النظام أن يجعل من التامل دمي يشده بحيث
واحد !! وكيف استطاع كما قال أن ينجم الناس ، ويوقظهم كأنه يضعف عن زر ؟ وكيف
استخف قومه فأطاعوه حتى جاء اليوم الذي وقف فيه الملهم بعد أن أصيب بفصائل لوحدة
بين مصر وسوريا وقف بين شذمة من المصنفين يقول :

« قد أمرت السفن أن تتحرك لتضرب سوريا » فالتفت لأخف بالمتفريق . وعلا صاف :
بالروح .. بالدم .. نقدليك يا جمال .. اضرب .. اضرب يا جمال .. أذب .. أذب يا جمال .
حتى تحت الحناجر وكانهم يلبون في عرفات ، يسألون الله بعبارة والرحمة يسبحون ويمجدون
ويكبرون ويسنون وبعد أن خشعت الأصوات للزعيم قال :

« لكني رأيت أن السلاح العرفي ، لا يوجه إلى صدر عرقي »

وساحت الهتافات تدوى وتشق عنان السماء : عاش رجل السلام .. عاش رجل العزة
والكرامة .. عاش رجل الحرية .. من المحيط الهادر إلى الخليج النائر .. ليبيك عبد الناصر .
وعجب الناس وأكبر ظني أنه هو نفسه كان يسخر من تلك العقول .. وهذه الأشباح
لمن كان عنف الأول ؟ ولمن كان الهتاف الثاني ؟ وكل منها موضوع يناقض الآخر !! الحق
أننا نعيش في عجب !!

وكة ذا بمصر من المضحكات كما قال فيها أبو الطيب .

جاءني بعد حادثة رائحة الجبن « الشيخ عبد المقصود حجر » وقال لي : أيعاقبون أحنا
وجه نقدا إن صفيحة الجبن ؟ ألا تدري ماذا حدث لي في السجن أخري على يدى شمس
بدران ؟

فقت له : قل يا أخى أسمع وكان الحديث بيننا همسا !!

قل « الشيخ عبد المقصود » : لما دخلت السجن خري نودى على وذلك من قبل

« شمس بدران » وبعد سؤال وجواب قال لي : إن لم تعترف الآن بالمعروف فسوف أعرفك كيف
تعترف .. سأنتزع الاعتراف من رأسك بالطريقة التي أراها ، ولم يكن عندي ما أقوله ، فليس
هناك هممة ولا ذنب ، فإذا أعترف !!

ولكنهم قوم لو وزعت قسوة قلوبهم على أهل الأرض ما بقى للرحمة سبيل إلى قلب واحد
من أهل الأرض ، ولما لم يجد منى أى اعتراف أمرزبانته أن يأخذوني ، ويغلقوني ، ورأيت نفسى
أمام بحر من آبار البحارى ، وإذا به يصدر الأمر أن أنزل في هذا البئر الملى بالقاذورات
والفضلات ، وكان يوماً شديداً الحمر كأن شمس خرجت من بين الرمال ولم تشرق من بين
السحب ، لقد سال من الشمس لعاب كامله يشوى الوجوه .. أمرهم أن يخلعوا ثيابي كيوم
ولدتنى أمى ، وامتنالا لأمر الطاغية نزلت في البئر ، ووصلت القاذورات إلى عنقنى فقال لي
الطاغية : اغمس رأسك يا ابن كذا وكذا وإلا حطمت رأسك بحذاءي هذا !!

قال الشيخ - وهو من حملة القرآن الكريم - : فوضعت يدي على وجهي وغمست
رأسى فلما رفعته قال لي بصوته المنزعج : هل ستعترف ؟ فأقسمت بالله أن ليس عندي ما
أعترف به .

هذا وقد اشتعل جسمي لهيبا وكان هناك من الحشرات ما يلسع ويقرض وبلدغ كلها
كأنها قد اجتمعت على ، فضلا عن الرائحة التي تركم الأنوف وتطيش لها العقول . ثم قال
أخرجوه وحسبت أنني سأذهب إلى دورة المياه لأغسل ما علق بجسمي من تلك النجاسات
المركزة ولكني فوجئت بهم يأخذوننى عارياً ملوث البدن إلى مكان تركز الشمس حرارتها
على فاجتمع على قبض الهواجر ولهب ما علق بجسمي من قاذورات وما زك أنفى من حبيث
الرائحة وظللت هكذا ساعات وساعات .

ثم حتم الشيخ هذه المسألة بقوله :

أبعد هذا كله ثنور ثائرهم ، ويقيمون الدنيا من أجل كلمة قيلت في رائحة الجبن !!

إن الظلم لا يدوم ، وإذا دام دمر !! يا ابن آدم إذا غرتك قوتك على ظلم الناس فانظر
إلى قوة العزيز الجبار من فوقك ، ما أضعفك ! إذا غرتك قوتك فلماذا استحكمت فيك
شهوتك !!

وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوماً ، إن في القرآن دروسا جعلها الله تذكركه إن وعظاً
الأذان الواعية !!

تفتى بشاشته ويقضى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى يوما يره

لقد علقت رهوس المصلين في المشائق وسبق الذين اتقوا ربهم تحت السياط الخامية إلى
السجون وارتفعت أصوات المنافقين حتى جعلوا من شهيد الإسلام سيد قطب ، مسيلمة
الكذاب ، ومن طافية العصر أعدل من عمر بن الخطاب !!

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن نجد لهم نصيرا !!
إن النفاق أشد من الكفر ، لأن النفاق سم في عسل وأخطر الناس على المجتمعات هم
المنافقون !!

إنهم عالة على المجتمع ساعة السراء ، وسوس بمخرق عظام الأمة ، إذا حلت بها
البأساء والضراء . إنهم الأكثون على كل الموائد ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك
لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾

يقول تعالى في حديثه القدسي الجليل : « لقد خلقت خلقا ألتبتم أحل من العسل ،
وقلوبهم أمر من الصبر ، لمي خلقت ، لأتيحتم فتنة تدع الخليل فيهم حيوان !! ، أف
يقفرون ؟ أم على يجفرون ؟ » تباركت ربنا وتعاليت يا من قلت وتوكل الحق : ﴿ وإذا
رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل
صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون ﴾ .

إنهم أصحاب القلوب المظلمة ، والأفتدة المشجرة ، إنهم الغشاشون ، الكذابون ،
المرتدون ، المشاهون بين الناس بالحمية ، الملتصمون للبراء العيب ، إنهم المخادعون ،
الأفتون .

﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
يراعون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذمبين بين ذلك لا إن هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن
يضل الله فلن نجد له سبيلا ﴾ .

إنهم الذين إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخيفوا ، وإذا أئتمنوا خانوا ، وإذا خاصموا
فجروا وإذا عاهدوا غدروا ،

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً
يلقائك يقسم إنه بك واثق
يسقيك من طرف اللسان حلالة
وإذا توارى عنك فهو العسرب
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

إنهم انصرون على الذنوب والخطايا ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفروا لكم رسول الله لووا
رءوسهم وأبصارهم يصدون وهم مستكبرون ﴾

كم من صاحب يلقاك عناقا ، ويقسم بالله أنه لا يطبق لك فراقا !!

إنه ملك كريم في مظهره .. شيطان رجيح في مخبئه يلقاك بوجهه أبيض ، وقلب أبيض لخب .

كان المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام يقول : يا بني إسرائيل لا تأتون تلبسون
ثياب إرهابان وقتوبكم قلوب الذئاب الضواري ، ولكن اليسوا ثياب الملوك ، وألبنوا قلوبكم بخشية
الله .

إن النفاق مرض اجتماعي خطير ليس طفحا جلديا ، وإنما هو سرطان في ندم .

ولا تنبت شجرة النفاق الحبيبة إلا في الظلم والظلمات .. عندما يول ربيع الخربة مندبرا ،
ويحل منه لظى الاستبداد ، فإذا انتكست القيم ، واعتزت المعايير ، وانقلبت الحقائق . فقا على
وجهه ساء هذا غناء ، وويل للأمة إذا تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكنة إلى قصعتها ، ولن
يكون ذلك كذلك إلا إذا صارت غناء كغناء السيل ، فنصاب بالجهن والخور ، إنهم كثيرون ،
ولكن كثرتهم عياء ثقيل على كواهلهم ، عندئذ ينزع الله مهايتهم من قلوب أعدائهم
فيحسبون ، ويقضى الوهن في قلوبهم ، فيتركون الجهاد ويستكينون ، وما الوهن إلا حب الدنيا
وكرهية الموت !!

وهذه خصصة من أزدل الحاصل ، قال الله في شأن اليهود : ﴿ ولقد جدتهم أحرص الناس
على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن
يعمر والله بصير بما يعملون ﴾ .

فاجتمع الخريص على حياة أى حياة مجتمع بخيل جبان حقوق مصاب يحب الذات
والأنانية . شعاريه : « أبح سعد فقد هلك سعيد » .

شعاره : « أنا والطوفان من بعدى » .

وإن تكون هذه الصفات في مجتمع إلا إذا ضاعت منه أقدس القيم ، وعلى رأسها الحرية
التي قد عنها عمر رضى الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟!

واجتمع الذى يساوم على حرمة قطع من السائمة ، وقد كان الإسلام وما زال يسبطل
يدعو من الحرية وأشورى والعدل .

وما من أمة تتحلل بتلك المبادئ إلا كان السعد رائدها ، وتزيق حليفها ، وأبشها الله لباس العز والشرف ، وما من مجتمع يتخل عن تلك المبادئ ، إلا كان الذل رائده ، والحذالك حليفه وأذاقه الله لباس الجوع والخوف !!

وأخوف ما يخاف الناصح الأمين على بنى قومه أن يفقدوا اتباعهم ، وإخلاصهم ، فيصابون بالأناية الحاقدة ، فيصبح هدف كل منهم نفسه ، ويصير شعاره :

لن أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

نعم أخوف ما يخاف الناصح على الأمة حب الأثرة ونبد الإيثار .

وقى الأثرة يقول تعالى : ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .

وقى الإيثار يقول جل شأنه :

﴿ ويظعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمماً وأسيراً إنما تطعمكم لوجه الله لا تريد منكم - جزاء ولا شكوراً ﴾ .

ويقول تبارك اسمه :

﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾

استوصوا بالشباب خيراً

وصية غالية وجهها سيد المخلصين وإمام المتقين إلى الأمة ، يريد لها الحياة العلية ، الدافعة بالإيمان ، الفياضة بكرم المشاعر ، استوصوا بالشباب خيراً ، فبسه أرق أفئدة ، وإن الله يعنى بالحنيفية السمحة ، فحالفنى الشباب وحالفنى الشيوخ !

نعم !

شباب نصف الحاضر ، وكل المستقبل !!

وعر تلك الطاقة التي تدفع الأمة من حاضرها الجيد إلى مستقبلها السعيد ، ليكون يومها خيراً من أمسها وغدها خيراً من يومها .

لذلك عنى الإسلام بتربية الشباب تربية تقوم على الطهر والنقاء ، وطهارة الأبدان والأردان !! فطفلك لاعمه سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع .

قال صلوات ربي وسلامه عليه :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضى للطرف وأخصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

تأخذك الدهشة ويستولى عليك العجب . نعم وأي دهشة وأي عجب أشد من أن يعذب الشباب لأنه يتردد على المساجد ، ولا يذهب إلى دور السينما والمسارح وبلاق في سنبل ذلك ، كل ألوان المعاناة وصنوف العذاب الأليم !!

صدقت ربنا فأنت القائل : ﴿ وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ .

إن الأمم تبنى نفسها ببناء آياتها

تبنى نفسها على الحلق والقيم والمثل

وليس بعامر بيسان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

وكيف يقوم صرح وبشيد بناء على أمواج من الرمال

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً ووعوبلا

وكيف تنبؤ أمة مكانة من المجد المؤئل عندما تحرض أبناءها على الفساد والانحراف !؟

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهب أخلاقهم ذهبوا

ويرحم الله شاعر النيل إذ يقول على لسان مصر :

قد وعدت العلا بكل أذى من رجالي فأخزوا اليوم وعدى

وارفعوا دولتي على العلم والأخلاق فالعلم وحده ليس يجدى

أنا إن لدر الإله ممانى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

لقد كان كارل ماركس يقول في جرأة وتبحر : لأنسين الناس الله بالمرح !!

ولم تكن السينما قد اخترعت في زمانه فما بالنا نكرر ندائه من حيث نشعر أو لا نشعر فنضع تحت العذاب لأليم شبابا مكبلين في شباهم غضبضة عن الشر أعينهم ، قصيرة عن

الباطل أرجلهم ، نالوا عاقبة إليهم في جوف الليل ، وأصلاهم منحية على أجزاء القرآن ، إذا
مر أحدهم بأية تبشر بالجنة بكى شوقاً إليها فإذا مر بأية تنذر من عذاب نار شهِق شهِقة كأن
زفير جهنم بين أذنيه !!

هل الدعوة إلى الإصلاح تكون يهدم الإنسان أم يبناه ؟ شتان ثم شتان !! وهيهات
هيهات لما تقولون ولما تزعمون !!

إن ريتشارد نيكسون عندما تولى رئاسة الولايات المتحدة قال في بيان له : إن
أمريكا لا تعاني أزمة مادية إنما تعاني أزمة روحية لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع لكننا فقراء
في الروح نصل في قرب عظيم إلى القمر ، ونسقط في خلاف حاد على الأرض .

أعنت كيف واجه حاتم الولايات المتحدة تلك الصعاب ؟ وكيف أصاب كيد
الحقيقة ؟!

أمة بلا روح ، جسد هامد لا حراك فيه !!

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دنيا
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

وهل تستقيم الحياة إذا اكتفتها ظلمات الشهوات وغشيتها ديجير الظلام ؟!

وهل انتشرت ظاهرة الانتحار إلا في أرق دول أورب وأغناها وأعظمها ثراء ؟!

هل انتشرت تلك الظاهرة إلا لخراب النفوس من الروحانيات الصافية وموت الإيمان

في القلوب ؟!

ليست السعادة في الانشاء بالكفوس المترعة أو الاستمتاع بالعيد الأماليد ، إنما السعادة

في تقوى الله واكتساب رضاه

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

وإدراك الذى يأتي قريب ولكن الذى يمضى بعيد

أحداث جسام

جاء شهر مايو ١٩٦٧ وطالعتنا الصحف ونحن في سجن أفي زعبل بعناوين ضخمة
وفي صر صفحاتها تفيد أن الجيش قد تحرك إلى سيناء وقد أخذ وضع استعداد وأعلنت حالة

الطوارئ بعد طرد قوات الأمم المتحدة من منطقة خليج العقبة التي لم يكن أحد من الشعب
يدري أنها قد وضعت تحت تصرف اليهود في الملاحه حتى جاء ذلك اليوم . وأخذت
الأحداث تتحرك بسرعة ، ولم تكن مصر مهياًة لحوض الحرب . لقد كان قادتها يهرفون بما لا
يعرفون ، ويمثلون الدنيا صياحاً وعجيجاً وضجيجاً ، وحلت بها نكبة الشعيرات ، سقى
إسرائيل في البحر ، سنضرب إسرائيل ومن وراءها ، وكان في إذاعة صوت العرب مديع
جهورى الصوت يكاد صوته بصم الآذان ، كان عمله مقصوراً على توجيه السباب والشتم
المقذعة للأمة العربية، كنا ندعو إلى الحرب، ولا نعمل لها حساباً ، وكانت إسرائيل تدعو إلى
السلام ، وهى تستعد للحرب !!

إن اليهود قوم يحفظون جدول الضرب عن ظهر قلب وحساباتهم دقيقة ، وخصصهم
مدرسة ، وخطواتهم محسوبة .. أما نحن فكما قال موسى ديان :

إن العرب لا يقرعون، وإذا قرعوا لا يفهمون ، وإذا فهموا سرعان ما ينسون . ولا
يتذكرون !!!

وهذه كلمة عدو ولكي تحارب العدو لا بد أن تفكر بعقلك ، لتقع على موطن
الخطر في تفكيره، ولا بد أن تعلم أن العدو لا يتمنى لك خيراً ، ولو أبدى حسن ضه ،
فإذا كان عدوك نلة فلا تنم له واعلم بأن القول فصل ليس باهزل ، ودقت صول الحرب ،
وعلا صياحها ، والحرب أوها كلام :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتموا وما هو عنها بالحدِيث المرجم

المجتمع الممزق

حدثنا حفاني التاريخ أن القائد الحكيم إذا أراد أن يحوض معركته ، كان لزاماً عليه أن
يقوم بتوحيد الجبهة الداخلية ؛ لأنها التي تقف وراء صفوف المقاتلين في الميدان ، وتمدهم
بالتعاد والعدد وخلفهم خيراً في أهلبيهم ، فإذا ما أصيبت تلك الجبهة بالفرقة ، وتصعد
وحديتها ، وتمزقت أوصرها ، وانفصلت وشائجها ، وانحلت عراها كان سهلاً على العدو
ينزل بها فاقرة تقصم ظهرها .

ولقد صور النبي الكريم في حديث جامع صورة المجتمع الفاضل ، واجتمع الحرب ،
فقال في بلاغة منجزة وإيجاز وجيز :

« إذا كان امراؤكم بخياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم سوري بينكم فظهر الأرض أولى بكم من بطنها وإذا كان امراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نساءكم فطن الأرض أولى بكم من ظهرها » .

كما قال : « يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليهم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم . ولم يمنعوا زكاة ما هم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما لم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم ولم يقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم » كانت تلك الرذائل كلها مركزة في طبائع المجتمع قبل الحرب فكان على رأس مصر الزعيم الأوحده والدكتاتور المنشد الذي تمثل كلمة فرعون ﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾ وكان هناك الصحفي الأوحده صاحب المقال الأسبوعي « بصراحة » .

وكان هناك الحزب الأوحده « الاتحاد الاشتراكي » . ولم يكن هناك إيمان بالوحد القهار ، الذي عنيت الوجوه لجلال جبروته ، وخشعت الأصوات لعظم لمكوته ، الذي يحيى العظام وهي رميم ، وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

لقد قرب الزعيم الأوحده إليه أعداء الله ورسوله من المنافقين وهيئة المنتفعين ، وأبعد كل مخلص أمين ؛ فلم يصير العدو صديقا وإنما صار الصديق عدواً واختلطت الأمور وأصبح المجتمع يعيش في جو كئيب كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج المرء يده لم يكده يراها ، وصدق الله جل جلاله إذ يقرر تلك الحقيقة : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ .

وإذ يقول : ﴿ من يد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾

وإذ يقول : ﴿ ومن بين الله فما له من مكرم ﴾ .

وإذ يقول : ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما هم من الله من عاصم ﴾ .

وإذ يقول : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ .

كان المجتمع قبل الحرب ممزق النفس ، معتلا مريضاً كئيباً كاسف البال . قليل الرجاء ؛ فالفرع والخوف والتفلق والإرهاب والظلم والعنف كلها أشباح رهيبه ، تخيم

« بأجنحتها الكئيبة على كل بيت ، والأمن والأمان ، والسكينه والاطمئنان كلها ، قد صلب عليها انجم صلاة الجنائز ، ومؤسسة ناصر للسجون والمعتقلات قد تفتحت أبوابها ، وأخذت الزبانية أقصى وضع في الاستعداد لتمزيق الجلود والأجساد !! فمن رفع صوته بكلمة حق يقال له : خذوه فغلوه ، وما أدراك ما غلوه : سجون لا يكف النازل فيها عن الصراخ والعويل حتى لقد كانت هناك نكتة ترددها ونحن في السجون : كانوا إذا أذاعوا علب قرآن الفجر وقت السحور في رمضان كنا نسمع صوت رجل يصيح بعد أن يسكت القارئ على آخر الآي يصيح قائلاً : « صل على حضرة النبي » بصوت مرتفع وذات ليلة لم نسمع صوت هذا الرجل فساءلنا لماذا لم يظهر صوته هذه الليلة ؟ فجاء التعقيب من بعض الإخوة : لا بد أنه قد اعتقل وتساءل البعض : ولماذا يعتقل ؟ فاجاب آخر : لأن صوته أعلى من صوت المعركة !!

وقد أعلن الزعيم المهلم أنه لا صوت يعلو على صوت المعركة .

وتحت هذا الشعار استبيحت أموال ، واستغل النفوذ ، وهتكت أعراض ، وتحوط الأمة إلى كتبه تقريرات ، حتى كان الولد يكتب التقرير في أبيه ، والأخ يكتب في أخيه !! وجاءت الصاخبة ، وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه ، وانتشر زوار الفجر ، يجوبون البلاد جيئة وذهابا !! فخبرني بريك أين الأمل في النصر ؟!

وهل هؤلاء فعلا سيرمون بإسرائيل في البحر ؟ لقد تحولت الآمال إلى سراب بقعة بحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حساءه والله سريع الحساب .

إذا ما الظلم حل بأرض قوم وعم الفسق وانتشر الرياء
فويل ثم ويل ثم ويل ويل لأهل الأرض من رب السماء

انتهى بعون الله تعالى المجلد الثالث ويليه بإذن الله المجلد الرابع من كتابنا « قصة أيامي » وستبدأ المجلد بعنوان « عوامل النصر » والله نعم الموفق .

عبد الحميد كشك

عوامل النصر

وأعنى بها عوامل البناء ، كما أعنى بالبناء بناء النفوس ، وهل تنهار المجتمعات إلا عندما تُخَطَّم النفوس فيأتي تحطيمها على البنيان من القواعد ، فيخر عليهم السقف من فوقهم ، وبأنيابهم العذاب من حيث لا يشعرون !!

إن عوامل البناء عقيدة راسخة .. معنويات عالية .. قوة الوازع الدينى .. أسلوب علمى منطوق فى حرب الأعداء مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تَرَاهُونَ بِهِ عُنُودَكُمْ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ .

ولقد رزق الله الأمة الإسلامية لعقيدة والمعنويات المترتبة عليها ، والفروة البشرية والموقع الجغرافى الممتاز ، والأرصدة العريضة التى صارت بمجدة أو مجندة فى بنوك الغرب ومصارف الصهيونية كما رزقها الطاقة التى تسيل ذهباً أسود فى عروق الأرض ، فالبتترول عصب الصناعات وغذاء الحروب ، والورقة الرابحة على مائدة الدبلوماسية العالمية ، فهل هناك عوامل أقوى من تلك العوامل لو أنها سارت فى مسارها الصحيح ؟! إننا لسنا ضعفاء وليس عدونا أقوى منا ، لسنا ضعفاء فى ذاتنا ، إنما أتى ضعفنا من فرقتنا وتمزيق كلمتنا ، وليس عدونا بأقوى منا ، إنما جاءت قوته بضعفنا لما تفرق شملنا . إننا ألف مليون .. نملك بلايين البلايين من الدولارات والأرصدة والطاقة .. إلى غير ذلك ولقد أنجز الله وعده وهو يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ .

ولقد كان عليهما خبيراً وما زال وسيظل عليهما خبيراً فلقد تحركت فى النفوس بعض الهواجس : أنذا منعنا المشركين وقطعنا علاقاتنا بهم أوليس يترتب على ذلك الكساد الاقتصادى وفساد حال التجارة ؟! فأزال العيب الخبير تلك الوسواس بقوله فى نفس الآية : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقد أنجز الله وعده ، وصدق وعده ، فأجرى فى بطون أرض الإسلام من المعادن والبتروى ما يمكنها من إعلاء كلمة الله تعالى خفاقة عالية باذخة الذرى ، تناطح الحوزاء ، وتزاحم الشمس فى الجلاء فهل أخذت الأمة بتلك الأسباب واستعزت بالله ؟ كما قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وهل وقتت عند تلك المقولة التى قالها عمر وهو يخوض فى الطين يقدمه عندما كان فى طريقه إلى بلاد الشام ليتسلم مفاتيح المدينة المقدسة من بطريق الرومان سفرتيوس وقد قال له أبو عبيدة : أنخوض فى الطين يقدميك يا أمير المؤمنين ؟

فغضب عمر غضبة لله وقال : يا أبا عبيدة لو غيرك قالها ؟

نعم أنخوض فى الطين يقدمى لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فلو ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله .

وهذا هو الذى حدث ابتغينا العزة عند اليهود والنصارى ، والشيعيين ، فضربت علينا الذللة والمسكنة ، وأصبح الحق باطلا ، والباطل حقاً وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً وأضحى الذئب راعياً ، وبات الخصم العنيد قاضياً !!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّاصِرَةَ أَوْلِيَاءَ مِنْكُمْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَّخِذْهُمْ أَوْلِيَاءَ فَقَدْ يُضَلُّ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فىهم ينولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين . يا أيها الذين آمنوا من يريد منكم عن دينه لسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون . يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعاباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كم مؤمنين . وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعاباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ .

معاول الهدم

بعد بيان عوامل البناء نأخذ هنا فى بيان معاول الهدم وبين عوامل البناء ومعاول الهدم تفت لأمة موقف الخوف والرجاء ، والوعد والوعيد ، وبين نور الوعد ونيران الوعيد يتقرر مصيرها . والأمة التى تنسى ماضيها تستدير مستقبلها ، والأمة التى تسامح على حريتها تتحول إلى فصيح نهب السياط ظهره ، ونهال العصا عليه تدمى جسمه .

ومعاول تقدم خطيرة أشد خطراً من الحرب الضروس إذ هى التى تقدم للهزيمة فإن لم تتدارك الأمة أخطأها وتعالج جراحها فعليها العفاء !!

فإنما حياة تبعث الروح فى البلى وتبث فى تلك الرءوس زفاتي
وإنما ماتت لا قيامة بعده ماتت لعمري لم يقبى بمماتي

معاول خدم تفسخ أخلاقى ، وإخلال اجتماعى وضعف الوازع الدينى ، وهبوط معنوى ، ونفاق ناشئ عن الظلم الاجتماعى !!

وهناك تكون الحاقة وما أدراك ما الحاقة وتقع الواقعة وتكون الغلوية وما أدراك ما هي نار حامية .

فإذا ما ضعف وازع الدين نامت النفوس على هدهدة الشهوات ، وبين قسوة العاطفة وغفوة الضمير تتفلسخ الأخلاق وينحل المجتمع ، وقد كانت الأمة العربية في حربها مع إسرائيل كانت بين يدي الحرب قد فتكت بها تلك المعاول حيث استشرى الفساد ، وعم الظلم ، وانتشر البلاء وكانت صورة المجتمع كما صورته القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأعد لهم العذاب وهم ظالمون ﴾ .

وكان المجتمع قبل الحرب كما صورته الصادق المعصوم عليه السلام في أحاديثه الشريفة حيث يقول في الحديث الذي رواه أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يؤق بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتبه ، ونهى عن المنكر وآتبه ، رواه البخاري ومسلم .

تقد تحول دعاة المجتمع إلى أبواب للسلطان يؤيدون الباطل ، ويخذلون أهل الحق ، حتى لقد جاءنا أحد كبار الشيوخ ل السجن - لم يأت معتقلا ولا مسجوناً - إنما جاء ليلقى على أسمعنا درساً في التوعية فاقسم بالله قاتلاً : والله الذي لا إله غيره إن الحكومة قد طبقت تسعة وتسعين باباً من الشريعة ولم يبق سوى باب واحد هو حد الحراية وقد طبقته فيكم ثم تساءل قاتلاً : أتدرون ما حد الحراية ؟ إنه قول الله تعالى :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم عجزى في الدنيا وهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

وظن بذلك أنه أرضى سيده ، وأنه سينعم عليه بالأوسمة والنياشين فيصير وزيراً للأوقاف أو شيخاً للأزهر ، أو مفتياً للديار المصرية فذهب إلى أهله يتمطى ، ونسى أو تناسى أنه سوف يدعو لثورا ، وإن لم يغفر الله له فسبيل سعيراً !!

صدقت يا رسول الله إذ قلت : « رأيت ليلة أسرى في رجالا تفرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت : من هؤلاء يا أحمى يا جبريل ؟! »

قال : الخطباء من أمثلك الذين يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ؟! ،

لقد اشتد في الحزن وكاد الجوع يصدع كبدى وأنا أقرأ على رسالة حملها البريد إلى أحد المعتقلين وقد جاءته من صهره ، وكان شيخاً واعظاً قرأها على ذلك الأخ وإذا بفضيلته يقول له فيها : لقد أحسنت الحكومة صنعا إذ اعتفتكمم يا ذوى الأغراض الدينية والنفوس المريضة ولقد كان الرئيس عبد الناصر أرفأ بكم من أهلكم حيث لم يقطع رواتبكم عنكم ، ثم انهال شتياً وسياً ولعنا بكلمات تزكم العقول فضلاً عن الأنوف ، وكأنها بركان من الجحارى يرسل حمماً ، كريمة الرائحة ، وبعد أن فرغ من قراءتها تجاذبنا أطراف الحديث فيما بيننا : ما الذى دفعه أن يكتب هذا الكلام وكان في غنى عنه ؟ أما كان الأول به أن يسأل الله العافية من هذا السباب والتفاق !!

فقال لى صاحبي كلمة اقتنعت بها :

قال : إن الذى دفعه إلى هذا أنه يعلم أن الرسالة قبل أن تصل إلينا ستمر على لجان الأمن المتخصصة بمراجعة الرسائل ، وقد التقدح في عقله أنهم إذا قرؤوا هذا الكلام سيعلمون أنه مواطن صالح ، وداعية إلى الوطنية ، لا يلحق به ، ولا يشق له غبار ، وعندما يقتنعون بذلك سيمتنحونه ترقية وينعمون عليه بالدرجات العلى .

أنسى هذا الواعظ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سألته عنها يوم القيامة ما أردت بها ؟ » .

قال فكان مالك يعنى ابن دينار إذا حدث بهذا بكى ثم يقول : أحمسون أن عيني تفر بكلامى عليكم وأنا أعلم أن الله سأل عن يوم القيامة قال : ما أردت به فأقول أنت الشهيد على قلبى لو لم أعلم أنه أحب إليك لم أقرأ على اثنين أبداً .

وقال شيخ ثالث : من الشيوخ الكبار قال ينصح الحكومة وبوجهها إلى الطريق الذى رضى عنه ، وبين لها كيف تعالجانا نحن المعتقلين ؟ وما هو الدواء الناجع والنصح النافع لنا ؟ قال بصوته لجهورى : وجهوا لهم الضربة القاضية حتى لا يرفعوا رءوسهم مرة أخرى ، وهكذا كان هؤلاء يسافرون إلى المحافظات ويتنقلون من بلد إلى بلد يعثون النفوس .. بحرضون الدولة على القتل والشهيد ، ويحلقون دماء الأبرياء ناسين أو متناسين قوله صلى الله عليه وآله : « الأدمى بينان الرب ملعون من هدمه ، وقوته صلى الله عليه وآله : « من أعان على قتل مسلم ولو بشرط كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » .

أم يسمعون إلى قوله ﷺ :

« إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل » .

نعم كان المجتمع كما صوره الرسول ﷺ في قوله : « إني لا أخوف على أمي مؤمنا ، ولا مشركا . أما المؤمن فيحجزه إيمانه ، وأما المشرك فيقمعه كفره . ولكن أخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ، ويعمل ما تتكرون » .

كانت طيول الحرب تدق وبرايتها توشك أن تسعر وألسنة فيها تكاد تهتك أجواز الفضاء ، ولم يكن هناك أدنى إشارة إلى توقع النصر . كان مجتمع يفتق بالفظن والفساد على جميع المستويات : من قيادة سياسية ملأت السجون والمعقلات بالأبرياء ، إلى اقتصاد منهك حطمته حروب في غير مواقعها كحرب اليمن ؛ إلى مجتمع يعيش في رعب وهلع من زوار الفجر . فخبرني بربك : أهذه حالها فيها يريق أمل لنصر مرتقب ؟ إني وأنا أطالع أحوال المسلمين الأوائل ، الذين خاضوا غمار الحروب بشجاعة وإيمان وسيسال ؛ يحضرنى حال القيادة السياسية وكيف كانت على مستوى المسئولية ؟ فيها هو ذا الخليفة الأول أبو بكر الصديق يوصي الفاروق عمر عندما أراد أن يستخلفه فيقول له : إني أدعوك إلى أمر مُتَّعِبٍ مَنْ وُلِّيه فاتق الله يا عمر بطاعته ، وأطعه بتفواه ، فإن التقى بين محفوف ثم إن الأمر معروض لا يستوجه إلا من عمل به ، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل . وأمر بعرف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقض أمنيته ، وأن يُخْبِطَ عنقه ، فإن أنت وُلِّيتَ عليه أمرهم ، فإن استطعت أن تُجِيفَ يدك من دمائهم ، وأن تُضْمِرَ بطنك من أموالهم . وأن تُجِيفَ لسانك عن أعراضهم فافعل ولا قوة إلا بالله .

(رواه الطبراني)

مجتمع مفكك العرى

أصيب المجتمع في أعلى شيء يملكه كل إنسان وهو جانب الإنسانية الذي تحطّم والذي قضى عليه الحرف ، فقد أصيب مجتمع ما قبل الحرب بعقدة الحرف من الحوف ، ونحو الناس إلى كتبة تقارير حتى كان الولد يكتب في أبيه والأخ يبلغ عن أخيه !!! فهل يصلح هذا المجتمع أن يخوض معركة من معارك المصير ؟ شتان بين ما كانوا عليه وبين ما صرنا إليه : لقد كان المجتمع الإسلامي يقوم على الهبة والإيثار لا على الأنانية والأثرة . فخذ هذه الصورة الإسلامية الصافية وقارن بينها وبين ما نحن عليه :

- عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من نَفَسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » (رواه مسلم) .

- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه ، من كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » (رواه أبو داود)

- وعن دحير أبي الهيثم كاتب عقبة بن عامر قال : قلت لعقبة بن عامر : إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشَّرْطَ ليأخذوهم . قال : لا تفعل وعظّمهم وهددهم . قال : إني يهينهم فلم يبتئوا ، وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ، فقال عقبة : ويحك لا تفعل فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ستر عورة فكأنما استعيا موءودة في قبرها » .

(رواه ابن حبان وأبو داود والنسائي)

- وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع ، فقال : « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفَضِّص الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ، ولو في جوف رحله » .

ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك ... (رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه) إلا أنه قال فيه : « يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تُفَرِّقوهم ، ولا تطلبوا عوراتهم » الحديث .

وكيف يرجى الخير من قوم تحولوا إلى جواسيس يتغنى كل منهم العيب للبراء ، ويتغنى أمرهم الريبة في قومه ، فما أعظم ما أرشد به النبي ﷺ إذ يقول : « إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » (رواه أبو داود) .

وإن العدل هو ميزان الأمة الذي به تستقيم معاييرها وتسير سفيتها في جو معتدل ، لذا ركّز الإسلام على العدل خاصة في الأمراء . قال ﷺ : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ، وحد يقام في الأرض يحقه أركى فيها من مطر أربعين عاما » .

(رواه الطبراني)

ومن صور العدالة الاجتماعية أن العدل لا يعيل المساومة ولا أنصاف الخلول ، فالعدل هو العدل على جميع المستويات لا فرق بين الملوك والسوقة ، تأمل معي هذا المشهد المهيب الذي ينطق بالعدالة الاجتماعية في أسنى معانيها وأعلى مراقبها : عن عائشة رضی الله عنها أن قريشا أهمهم شأن الحزومية التي سرت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ ثم قنوا : من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ،

(رواه بخارى ومسلم)

إن قيمة الحدود هو صمام الأمن للأمة ، إذ في إقامتها تحقيق حق والعدل والمساواة ، وفي تنفيذها يعيش المجتمع آمناً مطمئناً يأتيه رزقه رغداً من كل مكان . فمن الحقائق الثابتة أنه لن يرتفع صوت الباطل إلا إذا غفل أهل الحق . عندئذ يزار الباطل في عرصات الدنيا بمنوئها ظلماً وحرماً وتحللاً وتفسحاً . وإذا ترك العابثون وما يعمنون ، فإن نار عبيهم ستحرقهم وتحرق عيهم . قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ وإذا أترت أهل الفجور وما يصنعون ، كثرت الاجتماع كنه بنار استتارهم . من ثم فإن مبعوث العناية الإلهية صلوات ربي وسلامه عليه يبين لنا الصورة الرائعة للمجتمع الذي يقيم حدود الله فيكون قد أخذ طريق النجاة - سبيلاً . وللمجتمع الذي لا يقيم حدود الله فيكون مآله لدمار ، ومصيره الدرك الأسفل من النار . فاستمع معي إلى هذا التصوير البلاغي الرائع في قوله ﷺ : « مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ،

وشر ما يُبتلى به المجتمع أن يشر ما حرم الله ، وعلى رأس تلك المحرمات إباحت الحمر وهي أم أكثر وأصل الحماث ، وكفهاها سوءاً أنها تغتال أغل شيء في الإنسان وهو العقل . وهل إباحت إلا إعلان حرب على الله ؟ وماذا بعد إعلان الحرب على الله ؟ إن الله تعالى لا تغلبه قوة ولا تقهر إرادته أهل السماوات والأرض ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

إذا كانت الحمر أم الكبائر فكيف تُحتسى في أمة دينها الإسلام ؟ أليس ذلك حرباً على جبار السماوات والأرض ؟ أليس ذلك عدواناً على تعاليم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ؟

لقد جاءت النذر فيها نيران الوعيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . قال ﷺ : « إن الله حرم الحمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنها ، وحرم الخنزير وثمنه ،

(رواه أبو داود)

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ في الحمر عشرة : عاصرها ومعتصرها ، وشاربها وحاملها ، وانحمله إلى وساقها وبانمها وأكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتري له ،

- وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب وهو لعب ، فيصبحوا قد مسخوا قرده وختازير ، وليصيهم خسف وقذف حتى يصبح الناس ، فيقولون : حُصِف الليلة بيني فلان ، وخسف الليلة بدار فلان خواص ، وترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها ، وعلى دور ، وترسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً على قبائل فيها ، وعلى دور بشرهم الحمر ، ولبسهم الحرير ، واتخاذهم القينات . وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم ،

- ورؤى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، قيل : ما هي يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم ذولاً والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته ، وعنى أمه وبر صديقه ، وجفا أباه . وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أزدقم ، وأكثر الرجل مخافة شره ، وشربت الحمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أوفها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، أو خسفاً ومسحاً ،

(رواه الترمذي)

نفاق رخيص

أخطر أمراض المجتمع النفاق إذا ابتليت به أمة أضحت الذل رائدها ، والحزينة عاقبتها ، وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ذلك لأن النفاق كشهادة الزور يقبل الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، يقرب الأعداء ويبعد الأصدقاء ، ومن ثم لا يصير العدو صديقاً ، فما يصح الصديق عدواً ، ومدرسة النفاق تخرج الأكثين على كل النوائد ، وحملة القمام

الذين لا عهد لهم ، ولا أمانة ، ولقد فتح القرآن الكريم أبوابه ، بلقى الدروس النافعة حتى تسلم اجتماعات من هذا الداء العضال ، وما أمر ثعلبة بهيعد ، إنه ذلك الفقير الذي جعل من مسجد رسول الله ﷺ موطئا وسكنا ومنهلا حتى سمى بعمامة المسجد ، تحركت نفسه ذات يوم طمعا في الدنيا ، فقال للرسول الكريم سل الله أن يغنيني يا رسول الله !!

فقال له صاحب الخلق العظيم ، والقلب الرحيم بصوت فيه الجلال والجمال والكمال : يا ثعلبة ، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي شكره ، لكن ثعلبة ألح في الطلب على نسيب الكريم وعاهد الله إن أتاه من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين ودعا الرسول ربه .. اللهم أغن ثعلبة بما شئت ، ودعوة رسول الله ليس بينها وبين الله حجاب أليس هو الذي زكى الله عقله ، فقال : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ وزكى لسانه فقال : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ وزكى شرعه فقال : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ وزكى حنسه فقال : ﴿ علمه شديد القوى ﴾ وزكى مؤاده فقال : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ وزكى بصره فقال : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ ، وزكى رسالته فقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وزكاه كنه فقال : ﴿ وإنا لعل خلق عظيم ﴾ .

واستجاب الله الدعوة ورزق ثعلبة بألوان من الأنعام من غنم وبقر ، وإبل وتناسلت وتكاثرت . حتى صارت كاللدود في كثرتها وضاق بها شعاب المدينة ، فما كان منه بعد ذلك ، إلا أن ترك الصلاة وراه الرسول الكريم ، وهجر المسجد النبوي العظيم وسأل الرسول عنه ، ولكنه علم أن ماله شغله وبعده بالله من ذلك ، الله تعالى يقول في الحديث القدسي الجليل : « إن آدم عندك ما يكفك ، وأنت تطلب ما يطغيك : لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع ، إذا كنت معافى في بدنك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعل الدنيا العفاء » !!

تقد ضارت حمامة المسجد من بيت الله فتمرغت في طين الأرض وأوحاها فما استطاعت أن تخلق بعد ذلك في أجواء الروحانيات الصافية بعد أن تمرغت في حمأة الطين المسنون . إن ثعلبة كان لا نفوته تكبيرة الإحرام خلف الصادق المعصوم فماذا دهاه ؟ وأى بلاء تزل به .

تقد أرسل الرسول ﷺ به عامته على الزكاة فما كان من ثعلبة إلا أن قال بلسان النفاق : « بلغ صاحبك أن ليس في الإسلام زكاة ، إنها أخت الجزية ، هنالك زلزل عامل بيت الله بزلا شديداً !! فقال له : أو لا تراه لك صاحباً ، وما بلغ رسول الله الكريم ذلك الخبير الشيم قال : « يا ويح ثعلبة ، ذلك لأن الله أنزل قرآن يلى إلى يوم القيامة قال جل شأنه : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما

آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا لى لولهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ .

لقد حمل ثعلبة المال إلى الصادق المعصوم فلم يقبله ، وجاء به إلى أبي بكر في خلافة فرده ، كما رده عمر وعثمان ، ذلك لأن النفاق قد غزا قلبه فأفرخ الإلحاد بعدما عشتت فيه الزندقة ، وقف ممي عند قوله تعالى : ﴿ إلى يوم يلقونه ﴾ إنها كلمة تتخلع لها القلوب ، وتنفطر من هولها الأفتدة ، وتصدع لها الأكباد وتسيل لها النفس مرارة !!

إن المنافقين في أى جموع سلبيون ، هدامون ، معاول هدم ، وليسوا عوامل بناء ، لقد كانوا في مجالسهم يسخرون من ضعفاء المسلمين وقرانهم !!

إن أحد الفقراء من أصحاب رسول الله عمل أجيرا ، وجاء آخر النهار بخفة من الشعر إلى رسول الله على سبيل التبرع لجيش العسرة ، جاء بها والمنافقون جالسون فأحسوا يلغزون ، ويطنعون ، ويستزتون ، فأنزل الله في ذلك قرآنا قال جل شأنه : ﴿ الذين يلغزون المطرعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسبغون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم . استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يندى القوم الفاسقين ﴾ .

إنهم المعوقون المشطون المرجفون المروجون نشائعات ﴿ فرح المظفون بمقدمهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ إنهم لا أمان لهم ولا عهد عندهم لا يرقبون شي مؤمن إلا ولا ذمة ﴿ فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن أخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيت بالتعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ .

ثم نبى الله نبيه عن الصلاة عليهم بعد موتهم أو القيام على قبورهم ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ إنهم مهما أوتوا من الأموال والأولاد فإنما ذلك وبال عليهم ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ إنهم المتأمرون على الأمة المعرضون عليها هم الذين يقولون : ﴿ لا تلفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ إلا بمن هؤلاء أن الله جل شأنه يقول : ﴿ والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقون لا يفقهون ﴾ إنهم الطاعنون في أصحاب الهمم العوائل . والقسم السامقة ، يقولون : ﴿ لئن

رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعراب منها الأذل ﴿ أم يعلم هؤلاء أن الله جل شأنه يقول : ﴿ والله العزة وللرسول وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

الإيمان قوة والنفاق ضعف

تلك حقيقة لا يختلف عليها إلا من اختلت موازين الأمور عنده فالؤمن لا يعرف النفاق ؛ لأنه قوى بالله متوكل عليه معتقد أن ما أصابه لم يكن ليخصه وأن ما أعطاه لم يكن ليصيبه ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ من هنا نعلم : أن ما قدر على فكيف أن نضغاه فلا بد أن يمضه فمضعه بكرة ، أما النفاق فإنه ضد الإيمان لا يجتمع معه في قلب مؤمن ؛ لأن النفاق شجرة عيثة ، جثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

ومن هنا فقد سجل القرآن الكريم للمؤمنين خمس صفات حتمت في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ﴾ . بعد هذه الصفات الخمس يأتي الحكم من الحكم العدل في لونه تبارك اسمه : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ .

وكما سجل القرآن للمؤمنين تلك الصفات وحكمهم هم بينا الحكم سجلت السنة المطهرة للمنافقين خمس خصائص فالتف : ﴿ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ﴾ .

من هنا فقد حكم الله على المنافقين بقوله : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ .

وبين قوة الإيمان وضعف النفاق لقف بين أبي بكر الصديق وثعلبة بن حاطب فها هو ذا الصديق رضى الله عنه ، وأبى ثعلبة كلفه إلى رسول الله ﷺ يسأله الرسول الكريم : « ماذا تركت لأولادك يا أبا بكر ؟ » ويلسان اليقين ومصدق حق البين يجيب على جناح السرعة : « تركتُ لهم الله ورسوله !! »

أما ثعلبة فتطلب منه الرضا مفروضة فيأبى ويبخل فما السر في هذين الموقفين ؟ إن أبا بكر ملك الدنيا في يده ، ولكنه لم يسمح له أن تنسرب إلى قلبه فهانت عليه ، فرمى بيسر وسهولة !! أما ثعلبة فإنه مكها بقلبه فترعبت عن سويدائه فوجدت قلباً حانياً

فتمكنت منه فضل تمكن فصار عسيراً عليه أن يخرجها من قلبه وهذا هو الفرق بين الموقنين !!

ذات ليلة

بينما نحن نيام في سجن أبي زعبل وفي ليلة من الليالي الحزينة قبيل النكسة والجو متوتر إذا بنا نقوم من نومنا فزعين وكل منا يشعر بألم في إصبعه كأن دبوساً وخزاً وشديداً ، فلما استيقظنا علمنا أن أحد الأطباء المعتقلين ، أراد أن يجامل السلطة فقدم لها نفاقاً رخيصاً ، أخذ الدم من أصابعنا ونحن مصابون بفقر الدم ، أخذ منا ونحن نيام : ماذا ؟ ليكتب وثيقة بالدم للقيادة يقول فيها : نعاهدكم على الوقوف خلفكم ، أبشروا بالنصر وكم كان أسفى شديداً وأنا أرى النفاق يطفح نؤف هذا الذي ظن أنه بذلك الموقف الخزي سيجعل بالإفراج عنه ، ونسى أو تناسى أن كل شيء بقضاء ، ولكن لم أجد ما أعلق به أبلغ من قول رسول الله ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

سيف الحياء

لما أوشكت الحرب أن تقع بيننا وبين إسرائيل في يونيو سنة ٦٧ أذاعت القيادة علينا في معتقل وأغنى بها ، الإذاعة الهيبية في السجن ، أذاعت أن من أراد أن يتطوع بالمال للقوات مسلحة فباب التطوع مفتوح ، ووطن الناس الذي يقعون وراء القضبان ظنوا أنه بقدر ما يكون مقدار التطوع بقدر ما يقرب يوم الإفراج ، فتقدم الأغنياء بمبالغ هائلة ، متطوعين عسى أن يكون ذلك سبباً في كسر ذلك الحاجز الحديدي والكل يعلم أن النفوس قد غارت وتمسقت جرحها بسبب الظلم ، وقد بلغت القلوب الحناجر ، وغلت مراحل الغيظ ، وأن من أخذ بسيف الحياء فهو حرم ، ولا يعمل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه ، والذي تحزنتي كثيراً أنه كان بخوارى أخ كريم كان يعمل بالبناء وكان يعول أسرة تتكون من زوجة وسبعة أبناء اضطروا أن يبيعوا أدوات العمل ليحصلوا على لقمة العيش بعد اعتقاد عائلتهم فما طلب منا أن نبرح لما سموه بالجهود الحزبي ، سألتني ذلك الأخ عن رأيي : هل يبرح وهو لا يملك في الأدوات سوى خمسة وعشرين قرشاً ، أبقى عليها ليشرّب متب قدحاً من شاي بعد تناول ضعة السجن الذي يغلي في البطون كغلي الخميم ؟ فقلت له يا عم حسن إن رأيي أن تكتب اسمك في سجل المتبرعين ولو بخمسة فروش حتى لا يوضع اسمك في القائمة سوداء ويقال عندك من الأكاذيب والأباطيل ما أنت عنه في غنى ؛ فقد يقال : إنك من ثورة المضادة أو من نشاطات العادي ، أو من أعداء النظام ، أو من الخاقدين على ربهم المنهه

أو غير ذلك ، من العبارات التي كانوا يتشبهون بها ضد الأبرياء الأتقياء الأتقياء الأظهار الأبرار الأخيار !!

وما مر علينا المسئول عن كتابة الأسماء والمبالغ الشبرع بها تقدم الأخ حسن بترع مقداره خمسة قروش فأرأته وسمعه بعد أن دفعها ، وكأنه تذكير لولده فاشتدت عليه وضأة الظلم ، سمته وقد توجه إلى القبلة وأخذ يهتف بقلب صريع ويدعو لله قائلاً : لنهم اجعل ما دفعته حاراً واناراً وغضبياً من غضب الجبار عنى كل من صمد وأودع في هذا المكان وقصص صلتنا بأولادنا . وشعرت كأن الأرض زلزلت زلزاهاً مرها دعوة مصوم ودعوة المظلوم ليس بيننا وبين الله حجاب يرفعها الله تعالى فوق نعمام فتفتح ها أبواب السماء ويستقبلها الرب عز وجل . ويقول لصاحبها وعزقي وجلالي لأصبرنك ولو بعد حين

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرأ فالظلم ترجع عقابه إلى الدم
تام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تتم

موقف نبيل

كان من بيننا رجال شاركوا في حرب يهود في سنة ١٩٤٨ وكان على رأسهم قائد المجاهدين الأخ محمود عبده ، والذي عرف عنه أنه كان يعد كل ذرة من رمال فلسطين أراد هؤلاء الرجال أن يعدروا إلى الله فكتبوا مذكرة إلى الزعيم لأوحد يعاهدون الله فيها على الصدق في قتال اليهود على أن يعودوا بعد انتهاء المعركة - إن قدر هم ذلك - إلى السجن مرة أخرى فإن نالوا الشهادة فذلك الفضل من الله ولما عرضت المذكرة على المسؤولين قوبلت بالرفض وقال الزعيم يومها : إن الهزيمة على أيدي اليهود خير من النصر على أيدي هؤلاء !! وهكذا ركب الغرور وعشش الشيطان في رأسه (قسيس منوى المتكبرين) .

لقد فاضت العيون من الدمع لما قوبل طلب هؤلاء بالرفض ، لأنهم كانوا يرددون : الجهاد سيلنا والموت في سبيل الله أسنى أمانينا ، ولكنكم أعدوا إن الله والأزموه الحجة أمام من يعلم حائنة الأعين وما تخفي الصدور وهكذا كانت الأيام تمر . والأحداث تتلاحق ، والزعيم يغضب ويقول : (أنا مش خرج مثل يبدن) ، وحرب أوا كلام ، والجمعان يكادان يصطدمان على الحدود ، والمعتلات والسجون قد تمت باضمحسين ، والظلم طافق ، ملأ طباق الأرض ، حتى كان يخيل إلى أن الظلم لو انقسم إلى مائة جزء لكان تسعة وتسعون جزءاً منه في مصر ، والجزء الباقي يطوف بالدنيا ، ثم بيتت إليه في مصر . لقد تمزقت وشائج المجتمع ، وانفصلت عراه ، وتقطعت أرحامه ، وأصبح الابن جاسوس عن أبيه ، والأخ عدواً لأخيه ،

والظلمات بعضها فوق بعض ، وأخرست الألسنة ، ومات الناصحون ، وانتشر المنافقون ، والغشاشون ، وضيعت الأمانة ، ووسد الأمر إلى غير أهله .

دعوة غريبة !

في صبيحة يوم من أيام مايو ، وقبل وقوع التركة بأيام بقليل ، استيقظنا ذات يوم على بكاء أخ كنا نعرف فيه الشجاعة والرجولة والشهامة والتقوى والصبر ، كان يبكي ويتحج وقد جرت على لسانه دعوة يقول فيها : (اللهم حبطهم) وسألناه ما يبكيه وعلّمنا أنه قد وصله نبأ وفاة ابنه ، والرجل كان يود أن يكون حاضراً موته ، وتشيع جنازته ، لكنه حبل بينه وبين ذلك ، وأخذت شفتاه ترسلان لها للمرجل الذي يغى ، إنه وراء الأسوار المنيعه العالية الحصينة أحرم من تشيع جنازة ابنه ؟! أبلغ الظلم بالعباد إلى هذا الحد ؟! إن هذا الأخ المنبئ كان قد حضر المحنة التي وقعت بالمسلمين عام ١٩٥٤ ودخل السجن الحرفى وقص على طرفاً مما لقيه من العذاب في تلك المحنة .

أصيبت أذنه بالتهاب حاد فالتمس العرض على الطبيب فقال له طبيب السجن الحرفى في ذلك الوقت ، قال له في غلظة وفظاظة وقلب قد من حديد بل يتأذى الحديد إذا وصف القلب به ، تهره الطبيب قائلاً : مم تشكو ؟

قال : أذى كأن فيها جمرة من نار !!

قال له : أى أذنيك ؟

قال له : اليمنى .

وظن الأخ الفاضل أن الطبيب وهو رسول الرحمة ومنقذ الشاكي ، ومنجأ الملهوف ظن أنه سيوقع عليها كشفاً ، فيشخص الدواء ويصف الدواء .

لكن الأمر كان بخلاف ذلك تماماً لقد رفع الطبيب يده ووصفه على أذنه المصابة صفة جعلت عينيه ترميان بشرر كالكفر فأغمى عليه إغماء لم يبق بعدها إلا وهو منقى في أرض الزنزارة .

أهذا هو الإنسان الذى كرمه الله في كتابه فقال : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وجعلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ؟! ﴾ .

أهذا هو المواطن الذى كان الزعيم الملهم ابن مصر الذى ولد في بنى مر كان يخاطبه ويقول له : ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد ؟!

ولسان الحال والمقال يقول :

ارفع رأسك يا أخى لأقطعها

أهذا هو الإنسان الذى أسجد الله الملائكة لأبيه إذ يقول :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون ؟ ﴾

أنتك هي الحرية التى منحها الله للإنسان وقال عنها الفاروق عمر : (بنى استبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !!) .

أنتك هي مسئولية الراعى عن رعيته والثى قال عن الفارق : (لو عبرت بغلة بالعراق لسألتني الله عنها لم لثم تصلح لها الطريق يا عمر !!) .

أنتك هي الإنسانية التى أعطاها الله من الحقوق ، بحفظ عيها كرامتها وعزيمها والثى أدخل الله من أجل تلك الحقوق ، أدخل امرأة النار في هرة حيث لا هي أطلعمتها ولا هي تركها تأكل من خشاش الأرض ، ولكن ماذا نفور لقوم لا يسمعون وإذا سمعو لا يستجيبون !!

أصحب قلوب لا يفقهون بها

وآذان لا يسمعون بها

﴿ عزم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ .. ﴿ أولئك كالأنعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون ﴾

اقربت الساعة

مرت الأيام والموقف بيننا وبين إسرائيل يمتد ويزداد سوءاً على سوء وأحيت أم كتيرة حفلا ساهراً قبل وقوع الواقعة وقالت : ستكون حفلتنا القادمة في تل إبيب ورد عليها وزير الحرب الإسرائيلي قائلاً : أتمنالك لو استطعت أن تقبى حفنتك القادم في القاهرة - للمأساة !!

ويا لتخرى !!

لقد مرت إحدى السفن الأمريكية قبيل النكسة بأبام مرت بقناة السويس وكانت سفينة حربية ضخمة سميت بحريرة نصب ونشرت الصحف يوماً صورة امرأة من منصفه

الفناة ترفع حذاءها عالياً يردعا تشير إلى بحارة السفينة كأنها تهددهم بسلاح ذرى لا يقى ولا ينزr وعلمنا أن المسألة هزل لا جد فيها وأن البلد قادم على مأساة لا يعلم مداها إلا الله !!

لقد ظن القادة السياسيون أن تعبئة الجيش لا تعدو إلا أن تكون مهدداً تعقبها الأناشيد الحماسية الكاذبة ، وسموا هذا الموقف سياسة « حافة الهاوية » وبعد ذلك برقص الراقصون على أوهام نصر خادع فقد هددنا إسرائيل وحشدنا لها الحشود ثم انتصرنا بتخويفها وتهديدها باخطب الحماسية الرنانة ، ونسى هؤلاء أو تناسوا أن الحرب أولها كلام وأوسطها حديد ونار وأخرها إما إلى صداحة تطرب الورى ، وإما إلى نواحة في المآتم .

ييوم النكسة

استيقظنا صبيحة الخامس من يونيو كالعتاد فصلينا الفجر في وقته ، وجلسنا كالعادة نقرأ ورد الصباح إلى أن أشرفت الأرض بنور ربها واستعدنا لصلاة الضحى مصداقاً لقول الصادق المعصوم : « من صلى الفجر في جماعة ، ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى طلعت الشمس فقام وصل الضحى كتب الله له لواب حجة وعمره تامين تامتين ، » .

لكننا بعد طلوع الشمس سمعنا أزيز الطائرات بدوى في سماء مصر في سرعة لم يسبق عا منيل ولما انتصف النهار لم تكن ندرى ماذا حدث لقد أمر قائد السجن بمنع الإذاعة أن تذيع علينا أى أخبار ، كما أمر بمنع الصحف ، حتى لا نعلم بما وقع وما حدث من هزيمة منكرة حتى لا نشمت !!

ولما غربت الشمس هذا اليوم أذاع علينا بياناً من تأليفه وتلحينه : بأن الجيش قد انتصر ، وكان يردد في ذلك ما كان يذيعه مدير إذاعة صوت العرب بصوته الجمهورى ، والذي أعلن في إحدى كلماته وبهائاته الحربية بأننا قد أسقطنا للعدو مائتين وخمسين طائرة ، وكان ذلك كذبا مفضوحا إذ لو كانت الطائرات ذهابا ما استطعنا أن نسقط منها هذا العدد !!

لقد كانوا يذيعون على الشعب أن الطريق إلى فلسطين ، ما هو إلا نزهة خلوية في نية صيف مقمرة حتى كانوا يقولون في إذاعتهم هذه العبارة المشجوة : (ألح إسرائيل وقعت في الفخ) .

ولما أمر الجيش بالانسحاب بطريق تدعو إلى الأسى وإلى الأثم أذاع قائد السجن علينا بيانا قال فيه : إن الجيش لم ينسحب إلا لحطة عسكرية سيجعل فيها للعدو كميناً يكون مقبرة له . وكانوا يقولون لنا هذا الكلام كأننا العدو الذى يجب أن يخلروه ، وكأن الحقيقة ستظل

في خفاء ، ونسى هؤلاء أو تناسوا أنه لابد أن تتضح الحقائق ، وأن الليل لابد أن ينجلي ، مهما طال ظلمته ، وأن حرارة الشمس مستذبة تلوج الباطل ، وأن الحق أبلج ، والباطل الجليح ، وجاءت الحقائق تنرى فقد ضربت طائراتنا وهي رابضة في حظائرها ، كاليلط على وجه الماء ، وانتهت الجبهة المصرية ، كما قال قائد الحرب الإسرائيلي يومها :

لقد ضربت الجبهة المصرية فإذا هي هشة عندما اصطدمنا بها ، وكأنه صدام بين مطارق الحديد ، وأولى الفخار ، هكذا قال موسى ديان ، كما قال أيضا : بينما كنت أتدرب على حزب الأذغال في فيتنام كان المشير ورجاله في مصر مشغولين بحل مشاكل النوادي الرياضية ، يقضون ليلهم ونهارهم مشغولين بالكرة ، وإن تعجب فعجب ما قاله قائد سلاح الجو الإسرائيلي : مردخاي هود قال : إن ما حدث في مصر يفوق كثير أحوالنا جنونا لقد سقطت الجولان ، والضفة الغربية ، ومدينة القدس ، كما ضاعت غزة .

ومع ذلك فلقد ظللنا في السجون نفاسي ما نفاسي على أيدي القادة المنهزمين الذين أرسلوا بالجيش ، وقالوا له انسحب فانسحب !!

لقد كان كل شيء قبل الحرب يُنذر بالفزيمة وعلى رأس هذه الأشياء الظلم الاجتماعي ولكنهم لا يقرعون وإذا قرعوا لا يفهمون وإذا فهموا سرعان ما ينسون ولا يذكرون .

في عام ١٩٥٤ كانت السجون قد امتلأت برجال مسلمين ونساء مسلمات فوَقعت الهزيمة في عام ١٩٥٦ على أيدي ثلاث دول : إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ذلك بعد ظلم ، وقتل ، وتشريد وتجويع . لقد علفت رعوس الشهداء في المشائق وعن رأسهم شهيد الإسلام العظيم « عبد القادر عودة » الذي كتب في الإسلام كتابه الشهير (التشريع الجنائي في الإسلام) وهو موسوعة علمية يستعين بها الذين يريدون أن يطبقوا شرع الله ومنهم سلطان العلماء الشيخ « محمد فرغلي » الذي حارب في الإنجليز على صداد القنات حتى أنهم جعلوا مكافأة عظمى من يأتى به حيا أو ميتا فقدم زعيم الخالد رأسه مجازا وهكذا نسوا أن في السماء ملكة كتب على بابها : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ .

لقد تناسوا قول رسول الله ﷺ : « إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم إن الله يملئ للظالم حتى إذا أخذته لم يقله » افرعوا إن شئتم :

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أحدهم ألم شديد ﴾ .

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جهر جيشه استوجه بإذن الله إلى بلاد فارس ونسى كان على رأسه سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ وهو قائد موقعة القادسية ماذا قر عمر وهو يودع الجيش ؟ قال يا سعد :

« أوصيني وإياك بتقوى الله ولا يفرتك أن قبل حال رسول الله ﷺ فإن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه أو حسيه ، إنني لا أخشى على الجيش من أعدائه ، إنما أخشى عليه من ذنوبه ، فإننا إذا عصينا الله تساوينا مع عدونا في المعصية ، وزاد علينا في العدد والعدد » .

كان عمر ينظر من وراء الحجب ويستشف الغيوب ، ليلقنا هذا الدرس الذي لبتنا وعيناه . إنه ينطلق من قاعدة تقول : إن النصر للأتقى ، فإن لم يكن هناك أتقى ، كان النصر للأقوى ، ونحن يوم النكسة ما كنا أتقيا ، ولا أقويا بل كان الظلم يجمع على كل بيت ، فوقع ما وقع من العدوان الثلاثي ، الذي سمح لإسرائيل بالمرور في تخليج العقبة ، والذي أدى بعد ذلك إلى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ عندما أردنا أن نسترد حيفا ، ونمنع إسرائيل من المرور في الخليج ، فلبتنا نعي دروس التاريخ فالتاريخ أستاذ لمدرسة الدهر ، يعمل في هذه المدرسة بواسطة الأيام والليالي ولكننا لم نتعظ ، ولم نعتبر بل عادت الأمور أسوأ مما كانت ، ملئت السجون والمعتقلات في ١٩٦٥ ، وبعد ذلك نصبت المشائق ففي التاسع والعشرين من أغسطس ١٩٦٦ - كان رأس الشهيد « سيد قطب » معلقا في حبال المشتقة ليُقدم هدية خالصة إلى موسكو فكانت النكسة في عام ١٩٦٧ عقب هزيمة منكرة وقعت على جبال اليمن ضاع فيها من الأموال أربعة مليارات من الدولارات !!! هذا هو المال ، والليالي ألف مليون وفي مصر أربعة آلاف قرية لو أن كل قرية تحصت بمليون لأصلح الله حالها أما عن القتل والجرحى فحدث ولا حرج وأشد الظريون ، ورقص الرافضون وسموا تلك الحرب الشعواء رحمة نصر حبيبة .

أبعد هذا الضلال ضلال ؟ ولكن إذا عُرف السبب بطل العجب !

إن القيادة السياسية تملك من تزييف الحقائق ما تستطيع به أن تحول الهزائم المتكررة إلى نصر مبین .

لقد كانت النكسة أمرا مسطويا بعدما حدث في اليمن . إن العدو حاضر ولتيم إنها القوى العالمة تحطط ولا تنام ونحن في غفلة معرضون وعن الله بعيدون وهو سبحانه يخاطبنا قائلا : « فأتين تذهبون ؟ » تيبها عما نحن فيه من الضلال سائرون إن ذهبتم إلى موسكو فإنهم أعداء الله . وإن توجهتم إلى واشنطن فإنهم أعداء الله فالصلاة لا تصح إلى هناك ، ولا إلى هنالك ، إنما تصح بالتوجه إلى بيت الله .

لقد جربهم الشرق لتلحد فلم تفلحوا وجربهم الغرب المنحل فخرستم خسرانا مبينا فجربوا صراط الله مرة إن هو إلا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم إن الظلم لا يدوم وإذا دام دمر ولقد علمنا رسولنا الكريم هذا الدرس كان إذا أراد أن يفرغ غزوة قال لأصحابه : ابغوني في ضعفاتكم أي أحضروهم فسألمهم الدعاء بالنصر ويقول كلمته التي تفيض نورا وبهاء وجلالا ووفاء : « إنما تصرون وترزقون بضعفاتكم »

كان هناك سجون ومعقلات في ١٩٥٤ فكانت هناك هزيمة في ١٩٥٦ وكان هناك سجون ومعقلات في ١٩٦٥ فكانت هناك هزيمة سموها نكسة وهي وكسة ونكسة وعار وشعار في سنة ١٩٦٧ وما زالت دعوة هذا الأخ الكريم ترن في أذني عندما بلغه نبأ وفاة ابنه فأخذ يدعو الله قائلا : (اللهم خيظهم) .

تقد صدعت هذه الدعوة من قلب مكلوم جريح ، ونفس ملتاعة مظلومة .

فرقت فوق الغمام وفتحت لها أبواب السماء ، وقال لها ارفع السماء بلا عمد لأنصرن صاحبك .

فكانت الواقعة وما أدراك ما الواقعة كانت في يونيو سنة ١٩٦٧ خافضة غير رافعة بست أجيال بسا فكانت هباء منبثا ورجت الأرض رجا فضربت الطائرات في حظائرها وفقدت أضنان القتال ﴿ ما تدر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ﴾

مع البهائيين في أي زعبل

في أثناء الحرب التي سموها كما يزعمون حرب الأيام الستة وهي في الحقيقة حرب التسع عشرة دقيقة التي تم فيها ضرب الطيران فانتهت بذلك الحرب الحافظة أثناء تلك الأيام تم اعتقال ما يقرب من ثلاثين شخصا يدينون بالبهائية .

وتقد كانت فرصة سانحة أن نتلقى بهم ولعاورهم وبين زيفهم وضلالهم فكونا فريقا من الإسلاميين كنت واحداً من أعضائه وكان معنا لغير من الشخصيات الممتازة أمثال الدكتور عبد الله رشوان ، وعمري والأستاذ محمود شكر ، الباحث الإسلامي والأستاذ محمد رشاد الميسى ، وغيرهم كما قام البهائيون بتكوين فريق منهم فكاننا نتلقى بعد صلاة العشاء من كل يوم ، فيستمر حوار بيننا في قبيل الفجر . وكنا نرى في ذلك متعة عقلية ورياضة فكرية ، والبهائية لغتهم أشكالا من الاعتقادات والمثل فيها من ينتمي إلى الإسلام اسماً ، ومنها من ينتمي إلى النصرانية واليهودية ، ولعل اعتقالهم في أثناء الحرب مع إسرائيل يعطى إشارة قوية لصلتهم بإسرائيل وتغد دار حوار في العقيدة والشريعة والشعيرة وأسئلة السؤال الأول سبب ينتمون إلى الإسلام اسماً : هل أنهم مسلمون ؟

قالوا : نعم .

قلنا : فما الدين الذي جاء به البهاء ؟

قالوا : الإسلام .

قلنا : إن كان هو الإسلام فكيف يأتي بدين بعدما قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فكيف يأتي بإسلام بعدما أكرم الله الدين وأتم النعمة ؟؟

وإذا لم يكن قد جاء بالإسلام فلا شيء بعد الإسلام إلا الكفر ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

ثم سألت : بما تقولون في البهاء أنبي هو ؟ قالوا : نعم ؟ قلنا : لا نبوة بلا وحى فهل نزل عليه وحى وكيف نزل عليه ؟ وما حقيقة الوحى ؟ فكان جوابهم السكوت .

قلنا : وكيف يكون نبيا والله تعالى قد حتم الرسالة بسيد المرسلين محمد قال تعالى : ﴿ ولكن رسول الله يختم النبيين ﴾

قالوا : إن محمداً حتم النبيين ولم يختم الرسل وغيروا رأيهم في البهاء فقالوا إنه رسول لا نبي . فإذا كان محمداً حتم النبيين فلم يختم المرسلين .

قلنا هم : أيها أعم ؟ وأيها أخص ؟ النبوة أم الرسالة ؟ وعرفوا النبوة والرسالة فكان الجواب بالجهل وعندئذ ذكرنا لهم القاعدة الأصلية في العقائد : بأنه لا نبوة بلا وحى ، ولا رسالة بلا نبوة وحيث ثبت أنه لم يوح إليه ، فإنه ليس نبيا وحيث انتفت نبوته فقد انتفت رسالته ، إذ لا رسالة بلا نبوة ، فالنبوة أعم من الرسالة ، فيكون من بدائه الأمور أن من حتم أعم حتم لأصحابه مائة وخمسة وعشرون ألفا ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا فمن حتم الأكثر حتم الأقل لاندراجهم فيه .

ولقد تبين لنا من النقاش بعد ذلك أنهم لا يكتفون بأنه رسول ، بل يذهبون في النهاية إلى ألوهيته . ولكني تأني بالصورة واضحة جلية فإننا لذكر تفصيلا جليا هذا الدين الذي وضعه الاستعمار وجعل الجهاد باطلا وجعل السلام استسلاما فليكن القارىء على ذكر من هذا فقد تعددت النعرات حتى أجهزنا عليهم فكربا ومع ذلك فإن أهل الجدل قد يفتشون عسبا وعقبا ولكنهم يكتفون بظاهرها ويستكبرون عن قبول الحق ومهما يكن من أمر فقد صهر الحق وبرج الحفاء ولزمتهم الحجة في ساحة الحساب يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتبلى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .

ولقد كان القرآن الكريم يستشف غيوب وهو يعدلنا عن هؤلاء الذين ادعوا النبوة أو الرسالة بعد رسول الله ﷺ فيقول : *

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ، ومن قال سائزل مثل ما أنزل الله » .

حقيقة البهائية

س ١ : ما هو إيمان البهائية ؟

ج ١ : يؤمنون بالله وكتبه ورسله والقيامة والبهاء ، الإيمان بالله هو رأس الإيمان عندهم ولكنه غير إيمان المسلمين .

فالمسلمون يقولون : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . اتصف بصفات لا يمكن للخلق أن يتصف بها ، لأنه ليس كمثله شيء . وإن كل ما في الوجود قائم به ومفتقر إليه .

أما البهائية فيقولون : إن الله حي قادر قيوم ، ليس كمثله شيء إلا أنه ليس له وجود مطلق بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه على ألسنة أنبيائه ولا سيما في القرآن . وإنما وجوده مفتقر إلى مظاهر أمره ، وهم الأنبياء والرسل يظهر فيهم ويتجلى لعباده فيهم كما تتجلى الشمس في المرأة الصافية وحينئذ يكون هذا النبي أو الرسول قد اتضح وجوده لمن نجلي فيه كما تنجلي تلك المرأة الصافية ويكون هو الله فإذا خاطبته فإنما تخاطب الله . وإذا كلمت كان المتكلم هو الله . ويقولون أيضا : إن الله مفتقر إلى خلقه كافتقار الملك إلى رعيته فكما أنه لا منك بلا رعية كذلك لا خالق بلا مخلوق ، ولا رازق بلا مرزوق لهذا فاعتقادهم أن الكون أزل أبدي كأزلية الله وأبديته .

ويرجعون أن كل الأنبياء والرسل الذين جاءوا إنما جاءوا ليشرحوا بالمظهر الأسمى الذي سمى نفسه فيما بعد بهاء الله ، والذي هو على زعمهم موعود كل الأزمنة ، وكل الأديان التي جاء بها الأنبياء إنما جاءت تمهيدا لدينه وكلها ناقصة لا يكملها إلا هذا الدين الذي هو دين البهاء .

س ٢ : هل تؤمن البهائية بالبعث ؟

ج ٢ : تؤمن البهائية بالقيامة لكن إيماننا ليس كالإيمان إذ أن عقيدتهم فيها تخالف كل الأديان السماوية فهم يقولون : إن الإنسان إذا مات قامت قيامته ، فهو بعد الموت إلى نعيم مقبر أو إلى عذاب أليم وإن الأجساد هذه تعود إلى الأرض كما بدأت منها ، وتفتى فيها وما العذاب والنعيم إلا على الأرواح ، لأنها المسيرة لهذه الأجسام ويستدلون على ذلك بآيات وأحاديث إسلامية يؤولونها كما يشاءون من ذلك قوله تعالى :

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
آتاهم الله من فضله .

ويقولون : إن الله يخلق هذه الأرواح أجساداً لائفة بالنعيم أو بالعذاب وأن العذاب
يشبه ويسمون هذه القيامة (الموت فما بعده) القيامة الصغرى .

وهناك قيامة كبرى وهي البعث أو الساعة أو الحشر ، وهي انتهاء أمر رسول وأمه ،
وبعث رسول جديد وكل قيامة أنبأ بها الأنبياء هي عيدهم تعنى بعث البهاء كذلك يؤمنون
بما يسمونه الباب وما يسمونه البهاء ، وإليك بيانها عنهما :

من هو الباب ؟

وُلد في شيراز في ١ محرم سنة ١٢٣٥ هـ الموافق ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩ مولود للسيد
محمد رضا بزاز في شيراز أسماه بعد ولادته علي محمد ويقولون : إنه يتصل نسبه بالחסن
بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهذا ما عليه كتب .

وقال غيره مات أبوه وهو طفل لم يعضم ، فكلمه خاله وكان تاجراً ضعيف الحال
اسمه ميرزا سيد علي وفي السنة الخامسة أدخله خاله الكتاب فتعلم ما يتعلمه أبناء الفقراء في
كتاتيب إيران ولكنه برز في الخط حتى كان نادرة زمانه جودة وسرعة في الكتابة وتنسيقها
وقبل أن يبلغ الحلم ترك المدرسة لاحتياج خاله إليه ولما بلغ سابعة عشر من عمره استقل
بعمله عن خاله ، وأقام في أبي شهر تاجراً خمس سنين ، ثم رجع إلى شيراز وانقطع للعبادة ،
على الطريقة الصوفية ثم رجع إلى أبي شهر ، وزعم أنه يستضيئ تسخير روحانيات الكواكب ،
وكان يقضي معظم نهاره فوق سطح منزله ، حاسر الرأس تاليا الأورد منهمكا في تلاوة
الأذكار تحت الشمس في أبي شهر محترقة فاعتراه بسبب ذلك دمول حصه قواه ، فأرسله خاله
إلى كربلاء مستشفياً بزبارة المقامات الشريفة هناك وفيها اجتمع بالسيد كاظم الرشتي خليفة
الشيخ أحمد الأحاساني زعيم الشيحية الذي مزج الصوف وفسفة بالشريعة ، والذي قال :
« إن الغائب المنتظر المسمى بالمهدي هو الآن من سكان عام روحاني غير هذا العام الجسماني
وأن جسمه كأجسام الملائكة نوراني » وقد قال الباب بقوله شيخه هذه ثم انقطع فجأة عن
مجلس الشيخ واعتكف على العبادة ولازم الرياضة بالمشهد مدة . ثم ظهر للناس بمظهر جديد
قال فيه : إنه : على المعنى بالحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها وأن الوصول إلى الله لا يمكن إلا
عن طريق نبي ، وأنه لا يمكن الدخول في هذا الطريق إلا عن الباب ، وأنه هو الباب .

ثم ادعى أنه هو الباب للمهدي المنتظر وبعد مدة قليلة قال : إنه هو المهدي نفسه الذي
بشر به النبي ، وبشر به محمد عليه السلام وفي ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ الموافق مايو

١٨٤٤ قال : إن الله اختاره لمقام البابية ، ومعناه (كما زعم البهائيون) أنه جاء رسولا من
عند الله مبشراً بظهور شخص محجب خلف ستار الغيب الإلهي وهذا سيكون رسولا من الله
إلى البشرية لينقذهم من النتن والحروب ويدخلهم في السلم كافة وهكذا قال البهائيون في
كتبهم عند ترجمة الباب .

أما البهائيون أنفسهم فيذكرون ذلك ويقولون : لم يأت الباب مبشراً برسول ، وإنما منع
الرسالة بعده ندة ألقى سنة عدد حروف (المستغاث) بالأبجدية .

قال في البيان : « كل من ادعى أمراً قبل سنن المستغاث فهو مفتر كذاب اقتلوه حيث
لقتنموه » .

وفي آخريات أيام الباب ادعى الأتوية وسمى نفسه : الأعلى وبعضهم يقول عنه الرب
الأعل وهو نفسه النقطة ويعنى بها النقطة التي تحت باء « باسم الله » لأن الباء : للاستعانة
بالله . ولا يمكن الاستعانة باسم الله إلا بواسطته ، أما البهائية ففسروها على حسب هواهم
وجعلوه النقطة الفاصلة بين نهاية أمر محمد عليه الصلاة والسلام وظهور غيره وهو
(البهاء) .

بعد أن أعلن الباب دعوته واقنع بها اجتمع حوله من استجابوا له ثمانية عشر سماهم
حروف آل « حى » لأن الحاء بالأبجدية : ثمانية والباء : عشرة ووزعهم على البلاد ومن هؤلاء
المُلا حسين البشروفي الذي سماه باب الباب وهو أشدهم إخلاصاً في الدعوة وقيل إنه المحرك
لها وأنها من فعاته ومنهم الملا علي البارقروشي الذي سموه القدوس ومنهم : الملا علي البسطامي
ثم تابعهم بعد ذلك : زرين تاج بنت ملا صالح الفزويهي البرقاني التي كانت تسمى هند
وتكنى بأبى سلمى غلام ، ولجماها سميت زرين تاج يعني التاج الذهبي وسماها الباب (قره
العين) وسماها بعد ذلك : الطاهرة وكان لها مواقف عظيمة في نصرة البابية حتى نفتها
الحكومة الإيرانية إلى العراق وحبسها الحكومة التركية في بيت الشهاب الألبوسي فأقامت نحو
شهرين ثم رجعت إلى إيران .

وهناك اشتدت دعوتها وقويت عصبيتها وصار لها جيش جب يخشى بأمره ويرهب
جانبه ، وأصبحت تعيث في الأرض إلى أن قبضت عليها الحكومة بعد عدة مقاومات فقلنت ،
ثم أحرقت وكان ذلك في سنة ١٢٦٤ هـ وبقي الباب في دعوتيه هذه سبع سنين اجتهد بها
وأتباعه في نشر مبادئهم وقائلوا دونه ، وتمكنت السلطة منه ومن بعض أتباعه ونفنن أولياء
الأمر في حبسهم وضربهم وتعذيبهم وتقتيلهم ، ولما فر من الحجر والحبس ما لاقى إلى خان
نقى إلى أذربيجان وفي اليوم الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٢٦٦ هـ نفذ حكم الإعدام في
الباب قتل رمياً بالرصاص في مدينة تبريز هو وأحد أتباعه وطرح جثتهما عن حافة الخندق

وفي اليوم الثاني فقدت الجثمان فلم يرهما أحد قبل إن الكلاب أكلتهما وزعم البهائيون أن أتباع الباب سرقوا الجثة واخفوها زمنا طويلا داخل صندوق في مصنع رجل ميلاني إلى أن آمنوا فنقلوها إلى حيفا بفلسطين ودفنوها في سفح جبل الكرمل في مدفن فخم هناك وقيل : إن الجثة المدفونة هي جثة مزعومة والله أعلم بالحقيقة .

ماذا قال الباب في دعوته ؟

قال الباب : « لعمرى أول من سجد لي محمد ثم علي ثم الذين هم شهداء من بعده ثم أبواب الهدى أولئك الذين سبقوا إلى أمر ربهم وأولئك هم الفائزون وأن أول ذلك الأمر أو يوم القيامة - يعني قيامه دعوه - كل على الله يعرضون - يعني يعرضون عليه - إن الذين عرضوا على وهم كانوا بالله وآياته مؤمنين فأولئك هم أصحاب الرضوان قد جزيتهم في الكتاب بأحسن مما اكتسبت أيديهم وكذلك تجزي الضمير ثم يقول فيه وأنا قد نزلنا من قبل أنه أنه لا إله إلا أنا إياي فائقون لتوقن إن لم يكن أولا فيل ولا آخر بعدى ولا ظاهر غيرى ولا باطنا دوني ولا آية من عندي كذلك يحص الله الدس كلهم أجمعين ولعمرى إن أمر الله في حتى أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنه فيه تنفكرون ، قل إنه ربي في العرب ثم من بعد أربعين سنة قد نزل الله عليه الآيات وجعله رسوله إلى العالمين ، قل إلى رببت في الأعجمين ونزل على من بعد ما قد قضى من عمرى خمس بعد عشرين سنة آياتي التي كل عنها يعجزون وقد جمعت الحكومة الإيرانية بعلماء الشيعة وبمجتهديها فناقشوه ، وناظروه فسم بفتح واشتد عنادا ، وطفى ، ولما عابوا عليه عدم فصاحته قال : إن القرآن خالف فصاحة العرب وقال أيضا : إن الحروب والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول وعوقبت على خطيئتها بأن قيدت في سلاسل الإعراب وبما أن بعثنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فاطلقت من قيدها نذهب إلى حيث شاءت من وجوه اللحن .

وقرر الباب وأنصاره في مؤتمرهم الذي عقدوه في صحراء بورشت سنة ١٢٦٤ هـ نسخ الديانة الإسلامية لأن للباب الخيار المطلق في تغيير الأحكام وتبديلها لذا كان عليه أن يأتي بصلاة وصيام وحج وكان لقرة العين في هذا المؤتمر صوت الأعلى واللسان الأطول .

انتهى محمد الله المجلد الرابع من كتابنا (قصة بامى) وبليه المجلد الخامس بإذن الله تعالى .

عبد الحميد كشك

مخالفات الباب

وقد خالف الباب المسلمين في الأذان ، وفي الصيام ، وفي الأعياد ، وفي الموارث ، وأباح حصة أيام من كل سنة جعلها أيام حرمة بفعل الباطن فيها ما يشاء بلا قيد ولا شرط !!

ويعد الحديث عن الباب نتحدث عن البهاء فما اسمه ؟

اسمه ميرزا حسين علي المازندراني التوري وأبوه الميرزا عباس . ويسميه البهائيون ميرزا بوزرك ، ومعناه الميرزا الكبير ومعنى كلمة ميرزا أمير زاده بالتركية أو ابن الأمير بالعربية ، وهي كلمة تركية الأصل يمنحها السلاطين الأتراك والفرس لمن يشرفونه .

وقد ولد البهاء بظهران يوم الثلاثاء ٢٠ محرم سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٨١٧م أى أنه ولد قبل الباب بستين .

يقول البهائيسول :

« إن الباب لما علم بقرب أجله وأنه سيعدم جمع مخطوطاته وخطاته ومقلمته ومصحفه في جمعة وأرسلها في صحبه ملا باقر ليسلمها إلى الملا عبدالكريم القزويني في مدينة قم ، ولما وصلت الأمانة إلى الملا عبدالكريم قال : انه مأمور بإيصالها إلى الميرزا حسين علي المازندراني ، وبسبب ذلك انتزع الميرزا حسين علي من كبار الباهيين مقام الرئاسة عليهم وسمى نفسه بهاء الله انتهى كلام البهائين »

كيف يفسر البهائيون القرآن ؟

يعتمد البهائيون في تفسير القرآن الكريم على التضليل واتباع المنشابه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله كما يعتمدون على تحريف الكلم عن مواضعه ، ومن يستمع إلى تفسيرهم يعلم علم اليقين أنهم أجهل الناس بلغة القرآن ؟ لأنهم لا يميزون بين الحقيقة والخيال ، إذ أن من القواعد اللغوية الثابتة أن اللفظ يظل حقيقة لا يتحول عن ذلك إلى الخيال إلا إذا تعذر الحقيقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي فمثلا إذا قال الله تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتفخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾

فهل يراد بالظلمات هنا ظلمات الليل ؟

وهل يراد بالنور نور النهار ؟

إن الحقيقة هنا متعارفة ، إذ ما الفائدة من إخراج الناس من ظلمة الليل إلى نور النهار وهذه سنة الله في كونه ليست في حاجة إلى إرسال رسول ، ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ ثم ما وظيفة الكتاب الذي أنزله الله على رسوله بالنسبة إلى ظلمة الليل ونور النهار ؟ إن هذا المعنى متعذر ، وغير مراد لله إذن فنلجأ إلى الجواز ، حيث تعذر المعنى الأصلي .

وعندئذ يراد بالظلمة ظلمة الشرك والضلال والشبهات ، ويراد بالنور نور التوحيد الحق والصدق ، والجواز كأن نقول أيضا : سمعت أسدا يخطب الناس فليس المراد بالأسد هنا الحيوان المفترس فذلك معنى متعذر عندئذ يصر إلى الجواز فمراد بالأسد الذي يخطب الرجل الشجاع لوجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهكذا

أما البهائيون فقد استعملوا الحقيقة في الجواز بغير قرينة مانعة ، فمثلا تجدهم يفسرون البعث بعد الموت بإحياء القلوب عن طريق الهداية .

ويفسرون قيوم الموق بأنها قيوم الغفلة ومن ثم فقد أنكروا البعث بعد الموت وإليك بعض النماذج من تفسيرهم لتقرآن الكريم :

﴿ فقد ضلوا وأضلوا وكفوا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ ، فإن الله قد أنزل القرآن عربيا مبيا فلا يفسر بغير العربية وفواعلها المتفرقة .

نماذج من تفسيرهم

قوله تعالى :

﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون فريفا هدى وفريفا حق عليهم الضلالة ﴾

يفسرها القوم :

بأنه متى انتهى دور رسولكم ببعث رسول غيره تنقسمون إلى فريقين - كما انقسمتم أمام رسولكم لما دعاكم - فريق استمع له وآمن بدعوته ، فاهتدى ، وفريق أعرض فحقت عليه الضلالة ، فشقى .

فهم يفسرون قول الله تعالى .

﴿ كما بدأكم تهودون ﴾ ، ويتركون ما قبلها للمغالطة ، فهم والحال هذه يؤمنون ببعض الكتاب ، ويكفرون ببعض .

قوله تعالى :

﴿ وإما نربك بعض الذي نعدمه أو تتوفيك لإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون . ولكل أمة رسول ، فإذا جاء رسوهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

فسرها القوم :

بأن ذلك إنذار بنهاية أجل أمة محمد وأنه لما سئل عن ذلك قال : « إنما أنا بشر لا أعلم ولا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا وإنما لكل أمة أجل ونهاية » .

وهنا تناقض في قول الجماعة فإذا كان محمد هو الله كما يقولون - تعالى الله عن ذلك - في زمنه فكيف لا يعلم متى النهاية ؟

وكيف يقول :

﴿ لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾

ولما قال كفار قريش : ﴿ مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تبصرون إلا رجلا مسحورا ﴾ .

قال له ربه : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد ﴾ .

وإليك نموذج ظهر فيه ضلالهم جليا في تحريف الحقائق والصورورة إلى المجازات دون أن تكون هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ودون أن تكون هناك علاقة بين الحقيقة والمجاز فلا قرينة ولا علاقة .

قوله تعالى :

﴿ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كَشِطَّت ﴾

فسروها :

كورت الشمس : أى ذهبت لمس أحكام دين محمد . ويفسرون دائما السماء والشمس بالدين أو العلم وأبدلت بأحكام وضعية ، وانتصر الحكك الوضعى على السماوى الشرعى .

وانكدرت النجوم : والنجوم هم العلماء أى ضعف أمر علماء أمة محمد وسيرت الجبال ذلت ، وعبدت فركبتها السيارة ، وخرقها القطار . ولم يبق طريق صعب بها .

وعظمت العشار وهى : الإبل واستبدلت بالمراكب النارية والكهربائية ، وحشرت الوحوش : بمخالفات الحيوان وعرف الإنسان ما كان مجهول منها .

وزوجت النفوس : الحيوانية والنباتية ، وظهر منها حيوات ونباتات ذات سميات وصفات لم تعرف من قبل .

وسجرت البحار : بما سار بها من مراكب نارية ، أو بما يلمجر فيها من قنابل وطرايد . ونشرت الصحف ، وبعثت بها الجرائد والمجلات .

وكشفت السماء : وعرف أن ليس هناك جرم صلب . وربما هو لا نهاية أو أن سماء العلم اعمدى كسقطت . وهكذا حرموا الكتم عن مواضعه وأبوه بغير ما أنزلت لأجله .

فأنت ترى أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه بل حرفوه من بعد مواضعه واستعملوا الجواز فى الحقيقة دون أى علاقة بينهما ودون قرينة مانعة من إرادة معنى لأصل وهذا هو أسلوب الذين قال الله فيهم :

﴿ فَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ لِيَتَّبِعُوا مَا تَشَابَهَ مَعَهُ ابْتِغَاءَ الْقِتَّةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ .

والآيات التى فسروها من الشمس والنجوم وغير ذلك لا تمت إلى ما قالوه بأذى سبب ؛ لأنها وردت فى شأن القيامة . وإلا فمأذا يقولون فى الآيات التى حتم الله بها هذا المشهد ﴿ وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلقت علمت نفس ما أحضرت ﴾ .

سبحانك ربى هذا بهتان عظيم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

نموذج آخر

سورة الجاثية :

﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يمسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم باحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ .

وبما هو معلوم لديهم ان لفظ الساعة فى القرآن الكريم يراد به البهاء عندهم فاعجب معى ، ما الصلة بين لساعة التى يراد بها القيامة ، والثى قال الله فيها :

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ .

وقال الله فيها : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ .

فأى علاقة بين تلك الساعات وبين بهائمهم !!! سبحانك هذا بهتان عظيم!!! قالوا فى تفسير هذه الآيات (أى) اليائون : إذا قام البهاء خسر المبطلون الذين أعرضوا عنه ، وحكم بين البهاء وكل أمة كتابها المرسل به رسولها ، وقيل لهم هذا كتابنا الذى بعثناه مع رسولكم ينطق عليكم بصدق دعوى البهاء .

فماذا يقول البهائى فى قوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ .

اعرض عنها لانها لا تفيده ولا يستطيع ها تأويلها ، ولأنهم درجوا على الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر ، فما وافق تأويله هواهم جاؤوا به ، وما كان صريحا تركوه .

قال أحدهم لأحد علماء المسلمين :

نحن نعظم محمدا أكثر منكم . قلت كيف ؟ قال : لو أن محمدا قال لى يا فلان ، لقلت لبيك اللهم لبيك قلت : أستغفر الله من ذلك .

قال : لأنه ينطق بلسان الله ولا ينطق عن الهوى ، فبده يد الله ولسانه لسان الله ، وأمره أمر الله ، ووجهه وجه الله ، فقمت وأنا أستغفر الله من ذلك وأقول اللهم ثبت قلبى على دينك ... وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهكم إله واحد ﴾ وصدق رسوله الكريم إذ يقول : ﴿ لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فإنما أنا عبدالله ورسوله ، فقولوا عبدالله ورسوله ،

ومن تأويلهم الباطلة ما ذكروه فى هذه الآيات الكريمة : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ .

قالوا : إن الرحمن علم القرآن محمدا وخلق الإنسان أى الباب وعلمه البيان بقصدون بالبيان الكتاب الذى نسيه الباب إلى نفسه وأنه قد تنزل عليه ، وعجبا لقولهم هذا !! انهم يعتقدون أن الباب إل فمن الذى أنزل عليه الكتاب أنزله على نفسه !!

فانظر إلى أي مدى يتبادون في ضلالهم وبنائهم ، إن عقيدتهم مجموعة من المتناقضات
والمشابهات والضلالات وهم يغلغفونها بديلاف إنساني ليكون كالشرك والمصايد والشبك
والمكايد .

إنها الفخاخ التي يقع فيها الصيد ويُفنى فيها على الضحايا .

فإذا سألت ذلك الذي اسمه « عباس » عبدالبهاء عن البهائية أجابك قائلاً : لأن نكون
بهائياً يجب أن نحب العالم ، ونحب الإنسانية ونجتهد في خدمتها ، ونعمل للمسالمة العام والأخوة
العامة .

ولقد أخذ الجاهلون بالإسلام هذا لفظاً أحسن مأخذ ، ووضعوه في الدرجة العليا
لأنهم ظنوا أن البهائية جاءت بشيء جديد ، ما رأوا من اضطراب العمدة والرتباك جوه يعواصف
الحروب وتيزان الطمع ، والحقيقة أن البهاء « بات بشيء جديد ، وأن ما جاء به سرفه من
الإسلام ، والإسلام منبع الفضائل ومصدر العاشق لقد جاء القرآن قبل ألف وأربعمائة عام
بما هو خير مما جاء به البهاء وعبده عباس فقد قال الله لنا في القرآن :

﴿ ادخلوا ل السلم كافة ﴾

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾

﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم ﴾

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾

ويبدأ المسلم دخوله المسجد بالسلم ويختم صلاته بأنها كان بالسلم ويقول سي
الإسلام عليه السلام « لن تؤمنوا حتى تحابوا » ويقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه »

ولكن المسلمين جهلوا دينهم وأخذ الدعاة هذا الجهل ذريعة لنشر ضلالهم وبث
فسادهم من تشريعات البهائية .

لم يحرم البهاء « في كتابه المسمى الأقدس » لم يحرم ما حرم القرآن من نكاح الأحرار
أو البنات أو لعنات أو الخلات وإنما حرم زوجات الآباء فقط فقد قد حرمت عبك
أزواج آبائك » .

أما عن المسرات :

فيعد تجهيز الميت تجهيزاً كاملاً يأخذ من الشركة من كل مائة تسعة عشر لبيت العدل
والباقي يوزع على الثين وأربعين سهماً يعطى للأولاد منها ثمانية عشر يسوى فيه بين الذكر
والأنثى وللزوج أو الزوجة ستة سهام ونصف وللأب خمسة سهام ونصف وللأم أربعة سهام
ونصف وللإخوة ثلاثة سهام ونصف وللأخوات سهماً ونصف وللمعارف سهم ونصف .

أما عن دفن الموتى :

فإن الميت يكفن بدون غسل في أنقى ملابس البهية ويجعل في أصبعه خاتم من
العقيق ، ويوضع في صندوق من خشب أو حديد أو نحاس أو بلور ، وأرکها عندهم
ما اتخذ من البلور ثم يدفن في أبعاد عمق يمكن من الأرض وإن شق له في الصخر كان أبرك .
أما صلاة الجنازة عندهم : فقد شرعها الباب وأنتها البهاء في كتابه الأقدس .

يقول البهاء :

قد نزلت في صلاة الميت ستة تكبيرات من الله منزل الآيات والذي عنده علم القراءة
نه أن يقرأ ما نزل قبلها يشير بذلك إلى ما كتبه الباب في بيانه بأن يكرر بعد كل تكبيرة تسع
عشرة مرة .

إنا كل لله عابدون بعد الأولى

إنا كل لله ساجدون بعد الثانية

إنا كل لله قانتون بعد الثالثة

إنا كل لله ذاكرون بعد الرابعة

إنا كل لله شاكرون بعد الخامسة

إنا كل لله صابرون بعد السادسة

أما الصلاة التي يصلونها :

فقد قال البهاء « قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال
وفي البكور والأصايل وعفونا عن عدة أخرى في كتاب إنه هو الأمر المقدر المختار .

ويسمى هذه الصلاة الصلاة الكبرى وهي مشروحة في كتبهم لها تلاوات خاصة
وركوع بلا سجود ، يصلها الإنسان مرة واحدة في اليوم ، بشرط أن يكون فارغ القلب
من جميع الشواغل ، وهناك صلاة وسطى وهي ركعة واحدة وجلسة واحدة يصلها الإنسان

مع تفجر ، وفي الظهر وبعد غروب الشمس ، يتوجه فيها شطر عكا وتشتمل هذه الصلاة على قيام وركوع وقنوت وتعدد ، وكلمات يقولها في تعظيم البهاء ، واتباع البهاء وكل صلواته لا سجود فيها .

وهناك صلاة صغرى سعمال وأشباههم ممن تكثر شواغلهم وهي كلمات يقوها القائل مقابلا القبلة التي هي قبر البهاء وتكون هذه الصلاة وقت الزوال فقط .

فانظر معي أهناك وحى نزل على هذا البلاء بهذا التشريع !!! سبحانه ربنا من قلت : ﴿ أم هم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ !!

فأنت ترى فيما قاله البهاء ما يدل دلالة قاطعة على أن البهائية تخالف عبادات الإسلامية بعد مخالفتها للعقيدة التي بعث بها خاتم الأنبياء ﷺ فحق فيهم قول الله تعالى :

﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . خالدون فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو اتقى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾ .

أما عن عدد الشهور التي قال الله فيها : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ﴾ .

فإن البهاء يقول في كتابه التسمي « الأقدس » : إن عدة شهور السنة تسعة عشر شهرا في كتاب الله قد زين أولها بها الاسم المهيمن على العالمين - يعني اسم نفسه « وأسماء الشهور هي :

« بهاء ، جلال ، جمال ، عظمة ، نور ، رحمة ، كلمات ، كمال ، أسماء ، عزة ، مشيئة ، علم ، قدرة ، قول . سائل ، شرف ، سلطان ، ملك ، علاء »

وكل شهر من هذه الشهور تسعة عشر يوماً والخمسة الأيام الباقية يسميها أباء البهاء : وهي أيام راحة وحرية وزيارات وأنس .

وكذلك غير حساب السنة وبدل أسماء الشهور جعل لكل يوم من أيام الأسبوع اسماً جدي فسمى الأحد و (جلال) والثنين ب (جمال) والثلاثاء ب (كمال) والأربعاء

ب (فضال) والخميس ب (عدال) والجمعة ب (استجلال) والسبت ب (استقلال) .

أما عن الحج فإنهم لا يحجون إلى « مكة » وإنما يحجون إلى « مدفن البهاء » وقد كتب عن الحج فقال : « قد حكم الله لمن استطاع منكم حج البيت - ويقصد به مدفنه في عكا - دون النساء عفا الله عنهن رحمة من عنده إنه هو المعطي الوهاب »

وهم مزاران مقدسان الأول في « شيراز » وهو مولد البهاء ، والثاني في « بغداد » وهو المكان الذي أذن فيه البهاء بضلاله .

أما عن عبادة الصيام فإنه تسعة عشر يوماً كل عام تبدأ من الثاني من شهر مارس وتنتهي في العشرين . واليوم الحادي والعشرون من مارس هو يوم العيد ويكون موافقاً ليوم « النيروز » .

ويقول في كيفية الصيام :

كفوا أنفسكم عن الأكل والشرب من الطلوع إلى الأفول ، وإياكم أن يمنعكم الهوى عن هذا الفضل الذي قدر في الكتاب . . .

فأين هذا الصيام من الصيام الذي شرعه الله تعالى وأمر به في قوله :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

من أي تشريع سماوي جاء البهاء بهذا الصيام ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ .

بعدما علمنا ما شرعه البهاء لأتباعه في العبادات نتقل إلى ما شرعه في الحدود فقد حد الله تعالى لعباده حدوداً حسب الجرائم فللرنا حده إما حللاً أو رجماً وللسرقة حدها وهو القطع وللذف حده وهو ثمانون جلدة وكذلك حد الحمر .

وللحرابة حدها المبين في قوله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ .

وللبغى حده المبين في قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ .

وللردة حدها المبين في قوله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » .

أما البهائم فله تشريع في الحدود البيع فيها هوام ما أغفل الله قلبه عن ذكره ، وكان أمره فرطاً .

يقول في الزاني والزانية :

قد حكم الله لكل زان أو زانية دية مسلمة إلى بيت العدل . وهي تسعة مثاقيل من الذهب . وإن عاد مرة أخرى عوداً بضعف الجزاء هنا ما حكم به مالك الأسماء في الأولى وفي الأخرى قدر لها عذاب مهين .

ومن هذه العبارة نفهم أن الرجل إذا عاد بضعف عليه الجزاء في الفرامة أو الضريبة والمرأة إن عادت بقدر لها العذاب مهين .

حكمه في السارق : قد كتب على السارق النفي والحسين وفي الثالث فاجعلوا في جيبه علامة يعرف بها لئلا تقبله مدن الله ودياره وإياكم أن تأخذكم الرأفة في دين الله اعملوا ما أمرم به .

حكمه في أن لا نجاسة أبداً : قال في أفدسه وكذلك رفع الله حكمه دون الطهارة عن كل شيء وعن مثل أخرى موهبة من الله إنه هو الغفور الكريم، قد انغمست الأشياء في بحر الطهارة في أول الرضوان إذ تجلبد عن من في الإمكان بأسمائنا الحسنى وصفاننا العليا ، هذا من فضل ندى أحاط العالمين .

ثم عن الأسرة البهائية والزواج وأحكامه فإن البهائم يحتم الزواج على من استطاع الزواج فيقول في كتابه المسمى الأقدس :

« قد كتب الله عليكم النكاح إياكم أن تجاوزوا حد الأثنين والذي التفتع بواحدة من الإماء استرحت نفسه ونفسها . »

ويشترط لصحة الزواج عند بهائين رضاه ستة أفراد : الزوجين وأبوي الزوج وأبوي الزوجة إن كانوا على قيد الحياة أو من كان منهم حياً ويحدد المهور فيجعلها للقروي والبدوي تسعة عشر مثقالاً من الفضة إلى خمسة أضعافها ، ويجعلها للمدني تسعة عشر مثقالاً من الذهب إلى خمسة أضعافها .

ويخبر في كتابه « والذي قطع بالدرجة الأولى خير له في الكتاب . »

ومن كرهه صحبتها أو كرهت صحبتها بفترقان سنة كاملة - بسوءها مرة الاصطبار - لعلهما - يسدما فإن لم يتفقا فلا بأس من إيقاع الطلاق ولا يوقع الطلاق غير « المحفل المحفل »

وعدة الطلاق مدة الاصطبار وإن لم يتزوجا بعد الطلاق فللزواج حق استرجاع زوجته مهما طال الأجل ولكن بعد مراجعة المحفل .

أما عدة الوفاة فقد أوقفت مدتها إلى بيت العدل وإذا اختلفا في السفر من بلدهما فعليه أن يعيدها إلى أهلها أو إلى بلدها ويعطيها نفقة سنة كاملة وإذا سافر الزوج من بلده عليه أن يحدد أجل سفره وإذا تأخر عن الأجل عليه أن يخبرها بتأخره وإلا كان لها الحق أن تشكوه إلى المحفل .

لا جهاد في البهائية

ترتكز البهائية على ركيزة تدور حولها دائماً وتدعو لها ويحشد في سبيل دعوتها كل ما لديها من إمكانات وتلك الركيزة هي أنه لا جهاد ولا قتال وهذا فإنها تدعو إلى الذل والهوان والاستكانة ، وهذا تنفي ركنا ركينا من أركان الإسلام ، وتلقى فريضة محكمة من فرائضه انتشرت في صول القرآن الكريم وعرضه ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا بيهكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

لقد شرع الله تعالى الجهاد لنشر دعوة الإسلام والدفاع عن بيئته والنود عن حياته فما غزى قوم في عمر دارهم إلا ضربت عليهم الذلة ومن مات ولم يتزأ أولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية والشهيد يوم يقتل يغفر له بأول قطرة من دمه كل ذنب ويرى مكانه في الجنة ويقبى الله فتنه الفير ويشفع لسبعين من أهله ويزوج بالثنتين وسبعين حورية ويلبسه الله تاج الوقار أقل با قوتاً فيه خير من الدنيا وما فيها ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا

فالغرب أجدى على الدنيا من السلم

فالشر إن تلقه بالخير ضقت به

ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

قالوا غزوت ورسلى الله ما بعثوا

بقتل نفس ولا جادوا بسفك دم

جهل وتضليل أفهام وسفسطه

غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم

ثم ماذا يكون موقف المسلمين إذا اعتدى عليهم العدو كما هو واقع الآن في شتى بقاع الأرض على أرض « أفغانستان » و « لبنان » والدول العربية المجاورة لإسرائيل ، وكما هو حادث في « أريتريا » و « الصومال » وعلى أرض « السودان » ماذا يقول البهائيون الذين يحكمون بالإعدام على الجهاد مع تنفيذ الحكم .

أهضرب المسلمون بالطيران والصواريخ والقنابل بر وبحرا وجوا ثم يقولون للمعتدى وعليكم السلام اضرب ماشئت ، واقتل من شئت فإننا سرمد عليك بالسلام .

أهذا عقل أو ذاك منطق ؟

وماذا يقول السفهاء من الناس أمام هذه اليدهيات العقلية ؟

أمن العدل أنهم يردون الـ ماء صفوا وأن يكتر وردى
أمن الحق أنهم يطلقون الـ أسد مهم وأن تفيد أسدى
نظر الله . لى فأرشد أبنا فى فئسوا إلى العلا أى شد

إن القوة الفاشحة لا علاج لها إلا قوة تماثلها فكل نعل رد فعل مساو له في المقدار مضاد له في الاتجاه وما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة إن عاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وما استعمل الإسلام السيف إلا للقضاء على السيف وجل جلال الله إذ يقول :

﴿ فَإِن قَاتَلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فَإِن انتهوا فَإِن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فَإِن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾

وما أعظم قوله جل شأنه :

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

هذا هو المنطق الذى تنادى به الفطر السليمة والأبواب الحكيمة .

عقائد البهائين

تختلف عقائدهم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة كل الاختلاف ؛ ذلك لأن الإيمان عندهم غير ما عند أهل الملة التى بعث بها خاتم الأنبياء والمرسلين ونزل بها الروح الأمين وجاء بها القرآن الكريم .

فلما اختلفت العبادات بيننا وبينهم من صلاة وركاة وصيام وحج اختلفت العقائد كذلك بحيث أصبح الإسلام والبهائية تقيضين لا يجتمعان وضدين لا يلتقيان، إن الأمين جبريل لما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان قال له الصادق المعصوم: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره . فما هو تصور البهائين في الإيمان بهذه العقائد ؟ وماذا يقولون فيها ؟

١ - يزعم البهائيون : أن البهاء رب الأرباب وسيد المظاهر ، والعالم المحيط علمه بكل شيء وأنه هو الله .

قال عبدالبهاء عن أبيه « تجل رب الأرباب والمجرمون خاسرون وهو الذى أنشأ لكم النشأة الأخرى وأقام لطعامه الكبرى وحشر نفوس المقدسة في الملكوت الأعلى »
وكتب البهاء عن نفسه :

يا أهل النفاق قد ظهر من لا يعزب عن علمه شيء .

وقال أيضا عن نفسه « لا يرى في هيكلى إلا هيكل الله ، ولا في جمالى إلا جماله ولا في كينونتى إلا كينونته ولا في ذاتى إلا ذاته قل لم يكن في نفسى إلا الحق ولا يرى في ذاته إلا الله .

٢ - توجيه العبادة إلى مظهر الأمر الذى هو النبى أو الرسول وأن الله يتجلى فيه ، كما تتجلى الشمس في المرآة ، ويخاطب بما يخاطب به الله .

٣ - لا معجزات للأنبياء وما داموا يؤمنون بأن الأنبياء هم آلهة وأنهم مظاهر أمر الله فلا حاجة للمعجزات .

يقولون في معجزات موسى « العصا - هى عصا الأمر - » .

والحية « هى ثعبان المقدرة ، واليد البيضاء هى بيضاء المعرفة »

ويقولون في معجزات عيسى إنه أبرأ الأكمه والأبرص ويعنون بالأكمه الجاهل والمبرؤء بالعلم والأبرص يعنى « الضال » وإبرؤءه بافداية .

واولوا إحياء الموتى لسيدنا عيسى بتعمير الجبال .

٤ - لا انقطاع للوحي وقد كثرت البهائم في رسالته سفسافية مد معناه إن هؤلاء العباد لا يقولون باستحالة ظهور مظاهر الأودية ولو أن ذلك لم يهد فأى فرق بينه وبين قومه يقولون يد الله مغلوله !!

ويقولون : إن القول بانقطاع الوحي بعد محمد ليس به سند في مصنف الواقع .

٥ - لا بعث هذه الأجساد وإنما هي الأرواح فقط فكل من مات قامت قيامته وهو إلى نعيم أو إلى عذاب والعذاب ينتهي والنعيم دائم أبدي .

٦ - القيامة الكبرى قيامة نبي . ونهاية دور سس ندى قسه . أو قيام أمة . وهلاك أمة .

٧ - الملائكة وهم قوم عاشوا صاخين فرسى عيسى . فهم ففرت أرواحهم إليه وضددهم شيطين وشيطان الإنسان نفسه خبيثة . وأما جد : فإنها حيوانات خبيثة لا تدرك لأعمار . ولعلمهم بقصودون بذلت جرائم .

٨ - ليس هناك رسل من الملائكة نزل عن الأنبياء أو برسل ويكفرون أن جبريل نزل عن محمد عليه الصلاة والسلام . ويقولون : يريد في الخبر : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ أو ﴿ قل نزله روح القدس ﴾ .

وهو لله نحل في محمد فنطق محمد بالقرآن وكذبت في بهاء . معنى ذلك

إن هذا النبي ينطق بلسان الله أو أن الوحي هو الله !! أستعطف الله من إفكهم وضلالهم ونعوذ بالله من عقابهم .

٩ - ويعتقدون أن لله في الأرض بيتين :

الأول في شيراز ، وهو الذي أعلن فيه الباب دعوته . والثاني في بغداد . وهو الذي أعلن فيه نبوءة دعوته ، وكلاهما يجب أن يبقى ، ويقولون : بهاء في كتابه :

وارفعن البيتين في المقامين ، والمقامات التي استقر فيها عرش ربكم الرحمة - يعني البيوت التي نزل فيها أو سجن فيها .

كذبت بأمركم مولى العارفين بكم أن تمعكم شتوت الأرض عما أمرتم من لدن قوى أمين . وقد مننت البهائيون السجن الذي سجن فيه الباب في صهر . ويقولون أن يتسكوا بيت بغداد وغيره .

١٠ - ويعتقدون في أن البهائم واحد أحد وليس له شريك في العصمة ولا في عظم الشأن يقول البهائم في أقدس : ليس لمطعم الأمر شريك في العصمة الكبرى إنه يظهر . يفعل ما يشاء في ملكوت الإنسان قد خص الله هذا المقام لنفسه وما قدر لأحد نصب من هذا الشأن العظيم المنيع .

١١ - إن البهائم إنه وقد صرح هو نفسه في كتابه بقوله : يا ملاً الإنيشاء اسمعوا نداء مالك الأسماء إنه يتدبكم من شطر سجنه الأعظم .

إنه لا إله إلا أن المقننر المتكبر لتسخر لتعال العظيم الحكيم
وكتب لي أحد المتقربين من ولي الأمر هذه العبارة لما رأي مصغياً لأقواله وخز عيلاته ومسجلاً بعض كلمته :

قال : « وفي الحان عرضت إلى ساحة قدس مولانا محبوب حضرة ولي أمر الله كل ما شاهدته فيكم الإخلاص والانجذب في سبيل خدمة ربنا البهي الأبيي .
وتحيت من ساحة القدسيه لكم بكل تضرع والبهال تأييداته الإهية ولا شك في أن حضرتكم بعناية حضرة جهال تقوم - يعني البهائم - جل جلاله سوف تتألون بفتوحاته الباهرة والانتصارات العظيمة في سبيل خدمة أمر محبوب الأبيي وذلك بفضلته ومنه وعديته . . . الخ . »

أيام يقدسها البهائيون

للبهائيون تسعة أيام يقدسونها ويحرمون العمل فيها وهذه الأيام هي :

اليوم الأول . واليوم الثاني . من شهر الله المحرم (ميلاد الباب والبهائم) .

اليوم الخامس : من جهادى الأولى (بعثة الباب) وأعوذ بالله من قومه . وأقول بل يوم افتراضه اليوم الحادى والعشرون : من شهر مارس (عيد الفطر أو يوم النيروز وما يندى له جبين الحباء حجلاً . ويتفاظرنه الوجه عرقاً من شدة ما فيه من أسى أن اتخذت بعض الشعوب الإسلامية هذا اليوم عيداً سموه عيد الأم أو أصبح الاحتفال به أكثر من الاحتفال بعيد الفطر . وعيد الأضحى وهل للأم عيد ؟ وهل لإكرامها وقت محدود ؟ إن مما يدعو للأسف والأسف أن ترى المسلمين يقدمون الهدايا لأمهاتهم مستحبين في ذلك لدعوة نادى به أحد الصحفيين وجعل هذا اليوم بالذات يوماً يحتفل فيه بالأم وهو في الحقيقة ليس احتفالاً إنما هو يوم الأحران يوم أحران الذين فقدوا أمهاتهم .

سبحانك يا أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟

واعجاب هؤلاء القوم يختلفون بالأثم يوما . ويعقوب ويقضون رحمها بقية أيام العام ؟

النهيم أربنا الحق حقا وارزقنا البعده

وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

فيقوم البعوا سبيل المصلحين ، ولا تتبعوا سبيل المفسدين ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

ومن الأيام تسعة التي يقدرسون يوم حادى وعشرون . من شهر إبريل : (دعوة البهاء أو بعثته) افتراه على الله

وكانت اليوم التاسع والعشرون من إبريل : تابع أيام سنة المفتراة .

٢ مايو : إعلان الدعوة وخطبه يوم الرضوان

٢٩ مايو : موت البهاء .

١٠ يونيو الثامن والعشرون من شهر شعبان : موت الباب .

سبحانك هذا بهتان عظيم !! ومن أضخم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة ناسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب أفون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جنتنونا فرادى كما جنتنونا أول مرة وتركتم ما آتيناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون ﴿

تقد تبين لنا ما افتراه البهائيون عن الله وما ابتدعوه من كذب واختلاق فعبدوا من دون الله الباطل والبهاء وأستبدوا بهما ما لا يبيح بأحد إلا بالله وأولوا آيات القرآن تأويلا باطلا حرج بها مدلولها عن مراد الله .

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ .

تبرع وجه وتقدس الله إذ يقول : ﴿ ما كان لبيشر أن يؤتية الله الكتاب واختمه والنبوة ثم يقول لناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والسيين أربابا يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴿

واللهم انا نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أنت الله وحده لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك . رضيها بالله ربها وبالاسلام دينها وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا .

عبيها حب وعقبة موت وفي سبيلها تجاهد وعليها تلقى الله .

ويعد : فهذه كلمة بها حقائق تاريخية . لقد امتدت الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب وساد غوزده عن فارس والروم فودع الروم جزيرة العرب وبقي فيها اليهود وقد فقدوا سندهم الروحي على الأيمن ودالت دولة الفرس واتحدت ليران الجوس ، والمجنت ظلمة الشرك .

فمحدد أخبار اليهود وكهنت الفرس والروم لزوال عزتهم وقامت منهم طرائق أو جمعيات لكيه سفاخين وندبين الفائقين . مجتمعين أحيانا ومفترقين أحيانا أخرى .

وأول هذه الجمعيات تبت التي قضت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم تبت التي أشعلت نار بعثته بقيادة التي قضت عن عثمان ، رضى الله عنه ، وقررت المسلمين إلى فتنين متفاسين ثم تبت بقتل علي .

ثم تكثرت تبت الجمعيات السرية الهدمة تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر ، وتتخذ ضد الجمهور وجه لا تحسد ، مختلف لأسماء ومختلف لغايات فتارة تنادى باسم الدين ، وتارة باسم الخلافة وتنس لكل حالة ليوماً . وهدف واحد هو أنهم يريدون أن يطفئوا نور الإسلام والله يأبى إلا أن يتم نوره ، وأعضم مهد هذه الجمعيات كانت فارس ، وفارس مليء بالعجائب وها في كل عصر منهم مولود جديد لأن فارس بعيدة عن مركز الخلافة وميدانها واسع واقاليها كثيرة وأهدب أتباع كل ناعق .

وأخيرا وليس بأخر يظهر من شيراز دجال اسمه علي محمد يدعى النسبة إلى السلالة النبوية الطاهرة وما أكثر اندعين نسبتهم إليها في كل عصر وفي كل قطر !!

لقب هذا الدجال نفسه بالباب وأنه : باب مدينة العلم ثم ادعى المهدوية مستولا حديث (مهدى من عترتي) ثم ادعى النبوة أو الرسالة ثم الألوهية . فهل صدق في واحدة منها ؟ لانت أن من كذب في واحدة فهو في الجميع كاذب ثم يقتل محكوماً بكفره !!

وتم سطره في كتبه أن من ادعى الرسالة قبل مرور ألفي عام فهو كاذب فاقطوه وذا بالدجال الثاني بعد مرور التي عشر عاما يدعى الرسالة بعد أن ادعى خلافة سلفه ويدعى أن سلفه جاء مبشرا به . وأند بالنسبة إليه « كبحي لعيسى » ثم بعد قليل يدعى الألوهية لكن يحيى وعيسى قالا : إنهما عبدان لله فيحسب كان صهيديا نبيا وعيسى قال لقومه :

﴿ اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ وقال لربه : ﴿ سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما مدت فيهم فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾

أما الباب وأما البهاء فقد امرنا الناس بعبادتهما والبهاء خاصة أمر الناس أن يتوجهوا له بالدعاء وأن يخصوه بالعبادة ، ووصف نفسه بأوصاف الله الكريمة وسماها بأسماء الله الحسنى وأمر أتباعه أن يولوا وجوههم شطره في صلاتهم وقال : إنه على كل شيء قدير .

ولكن العجب لأولئك الطعام الذين اتبعوه وأمرنا برؤيتهم مع أنهم يرون عجزه عن خيلاصهم وخلص نفسه من التعذيب والتشريد والإهانة والضرب والسجن وإلا فما قيمة إله لا يدفع عن نفسه أي عبادة ولا يملك القدرة على حماية نفسه ؟

أرب يسول التعلبان برأسه

لقد ذل من بالث عليه لتعالب !!

فلو كان ربا كان يمنع نفسه

فلا خير في رب نأته المطالب

برئت من الأصنام في الأرض كلها

وآمنت بالله الذي هو غالب

ولقد بالغ البهاء وعبيده في تزويق بهائيتها وطلباها بالدهان الحادع ونوعا الأردية فهي مع المسلم برداء ومع اليهودى برداء بينا لها مع المسيحي والبوذي والمجوسى أردية أخرى متباينة .

وهكذا فيها مع كل نخلة وجه ومع كل دين مقابلة ، إنها مبدأ تشكيك تستغل جهل الجاهل يدينه ، فتفتح له باب التأويل . وللتأويل عند العامة مكانة ؛ لأنهم أخطأوا الفهم بأن القرآن نزل عربيا غير ذى عوج وفسروا قول الله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آما به كل من عند ربنا ﴾ فوصلوا الآية وقطعوا عند قوله تعالى : والراسخون في العلم ، وجعلوا الراسخين في العلم ؛ شركاء مع الله في علمه .

أما أولئك الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب فقالوا على الله الكذب واتبعوا ما تشابه من التنزيل وأولوه ابتغاء الفتنة فقلبوا الحقائق وحدعوا الجاهلين وضلوا وأضلوا .

وبعد ؛ فقد قدمنا للفارسي الكرم معاد نظريق عن البهائية وقد تبين أنها مذهب خطير على الإسلام والمسلمين بيدد قوتهم ويزرق جمعهم ، فليحذر المسلمون عاقبة اتباع هؤلاء

المفسدين ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، إن الله لا يعير ما يقوم حتى يخبروا ما بأنفسهم .

قال عليه السلام ستكون فتنة . قال على رضى الله عنه : فما أخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله .

لقد كان لنا مع البهائيين في سجن أنى زعبل صولات وجولات قضينا فيها ليالي ذوات العدد من بعد العشاء إلى أن ينشق عمود الفجر ، وكان النصر دائما للمسلمين ؛ لأن الإسلام حق .

وكان الذين يتصدون للدفاع عن البهائية من أقوامهم فكرا وأرجحهم عقلا ، ولكن الحق أقوى وأقوم قبلا ، وأهدى سبيلا والباطل يُلجج كالزبد يذهب جفاءً وأمد ما يفتع الناس فيمكث في الأرض ، لقد جادلناهم بالحكمة والموعظة الحسنة لعنهم يتقون . ويحدث هم ذكرا ، ولكنهم دخلوا الحلبة بأفكار مسبقة كان من الصعب عليهم أن يتزحزحوا عنها ، والباطل هو الباطل يضل يعربد في عرصات الدنيا إلى أن يتصدى له الحق فيدفعه فإذا هو زاهق !!

الافسراج عن البهائيين :

استيقظت ذات صباح في سجن أنى زعبل فسمعت من يترق باب زنزانية فإذا هو رئيس البهائيين ونادى علىّ في شمانة ظاهرة وحقد دفين وقال يا شيخ كشكش لقد أفرج عنا اليوم ، ثم قال بلهجته العامية « وخلص القرآن ينفعكم » وكان هذه الكلمة ألم يسبح على النفس لأن الشمانة تورث النفس لوعة ولكن سرعان ما عادت النفس إلى أصولها الأصلية ومتابعها الصافية في قوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

وناديت عليه قبل أن ينصرف وقلت له : إني ناصحك بنصيحة قبل أن تغادر السجن فقد لا نلتقى . قال : فم تنصحننا؟ قلت له : أسلم تسلم ، والرجوع للحق فضيلة ، فقد أقمنا عليكم الحجة ، وقلنا عليكم المعاذير بنتك الجلسات التي دار بيننا الحوار تعلمي فيها . ولكنه لم يجر جوابا ، وانصرف وأنى واستكبر وكان من الكافرين ، وعشش الشيطان في رأسه وباض فيها الإلحاد ، وأفرخ الزندقة ، ثم ذهب إلى أهله يتمطى فرحا بالإفراج من سجن صغير إلى سجن كبير ، وقد يعقبه سجن أليم وشديد في زنازين القبور . وبعد يومين من الإفراج عنهم إذا بضابط السجن يأتيني بجريدة الاهرام ويقول لي : أتذكر فلانا البهائي الذي أفرج عنه منذ قليل ؟ قلت : نعم . قال : لقد مات أمس وهذا نعيه .

وانتهى وقت الزيارة الذي استمر دقائق معدودات فكانوا يحسبون علينا الزمن حسابا دقيقا . ونادى السجنان معلنا انتهاء الزيارة ، واختطف ابني من بين ذراعي ، ولم أجد بين ذراعي سوى ، وودعني اخوتي بعد أن أوصاني شقيقي الأكبر بالصبر والاحتفال والسليم والتفويض لله تعالى وتلا على مسمي قوله جل شأنه : ﴿ وَنَحْنُ صَبْرُكُمْ لَوْ غَيْرَ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

شيء عجيب !!

جاءوا لنا ببعض المتحدثين ليُلقوا علينا دروسا بقصد التوعية ولا ينال هذا الشرف إلا الذين نالوا الرضا السامي من السادة الأكابر . وكان على رأس هؤلاء الحاضرين شخص كان سجيناً في محنة ١٩٥٤ لكنه عرف الطريق المؤدى إلى الجلوس على كرسي المناصب فسلكه حتى ارتقى في سلم الجهد الزائف . وما وقعت نكسة واحتل اليهود أظھر بقعة في أرض مصر ، لم يجد ذلك الشخص في أبواب اتفاق ما يذكره تسليمة سيده المهزوم أو المهزوم إلا أن يشبه النكسة بغزوة أحد . وفي الإشارة ما يعني عن العبارة فإذا كانت النكسة التي على رأسها بطل الهزيم وطاغية العصر شبيهة بيوم أحد التي كان على رأسها خير البرية الذي اصطفاه الله تعالى وأرسله رحمة للعالمين ، فإن نتيجة الختمية تقتضي أن صاحب النكسة أصبح شبيهاً ببعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية . وقد استحق بذلك أن يصل إلى كرسي الوزارة ، وأصبح سيادة الدكتور وزيراً وصاحب كلمات في أجهزة الإعلام مسموعة ومقروءة ومرئية . ولو أنه أنصف لعلم تمام العلم أن الفرق شاسع واليون بعيد بين النكسة ويوم أحد ، فالنكسة كانت هزيمة منكرة ، ويوم أحد كان مدرسة غرل الله فيها النفوس . قال تعالى في سورة آل عمران وقد تحدثت فيها ستون آية عن غزوة أحد من أول قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكُمُ النَّبِيُّ يَوْمَ مَقَاعِدِ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إلى قوله جل شأنه : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ ﴾ . قال الله في هذه الآيات يخاطب الجماعة المؤمنة ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فكيف يحكم الله تعالى لهم بأنهم هم الأعلون . ويأتي سيادة الدكتور الوزير إلا أن يعقد شياً بينهم وبين الظالمين الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .. شتان بين الثرى والثريا وهيهات هيهات ما بين الثراب والسحاب . وفرق شاسع بين مساح الأسمالك ومدارج الأفلاك .

لم تكن غزوة أحد هزيمة ، إنما كانت تربية وتمحيص . قال الله جل شأنه : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَادَوْا بِنِجْمِ اللَّهِ يُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا . وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَيَتَحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمُحِقُ

الكافرين أم حسبهم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ . لم تكن غزوة أحد هزيمة إنما كانت غربة للنفس وتطهيرا للصف الإسلامي من شوائب النفاق . قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِيبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَلَكِنْ اللَّهُ يُحِبُّ مَنِ اسْتَبْرَأَ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ وكيف تكون غزوة أحد هزيمة ، وقد جمع المسلمون الصف عندما أشيع بأن الكفار لن يرجعوا إلى مكة ، إنما سيعودون لهجوم على المدينة ، فاستعد المسلمون لنزالهم ، وهو ما عرف في كتب السيرة بيوم حراء الأسد . وفي هذا يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَفَضَّلَهُمْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ فِرْقَةٍ مِمَّنْ خَلَقَ إِنَّهُمْ لَخَائِفُونَ اللَّهَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخْوَفُ أَوْلِيَآءَهُ لَمْ يَسْمَعْهُمْ سَوْءًا وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخْوَفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فهل يشبه هؤلاء الذين صمدوا حتى ردوا المشركين مدمومين مدهورين ؟ هل يشبهون بأصحاب النكسة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم !! إن كل ما يقال يوم أحد لا يعدو أن يكون فشلاً في نظام المقاتلين ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُمُ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ ، مِنْكُمْ مَنِ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنِ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيُنَازِلَكُمْ وَلِيَقْبَلَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

إن الهزيمة لتحقق بأحد أمور ثلاثة : أوها : تغيير العقيدة فهل ارتدت الجماعة مؤمنة بعد إيمانها كفرة ؟ .

ثانيا : تتحقق الهزيمة بالقضاء على الجيش . فهل استطاع المشركون يوم أحد أن يقضوا على الجيش ؟ كلا لقد استشهد من المسلمين سبعون وكان عددهم سبعمائة كان من بينهم أسد الله حمزة ، لذلك يُطلق بعض الكتّاب على غزوة أحد ، يوم حمزة ، فهل يعتبر هذا قضاء على الجيش في الوقت الذي قتل فيه من المشركين الثمان وعشرون كان على رأسهم أبي ابن خلف الذي أصّر على قتل رسول الله ﷺ ، فقال الرسول لأصحابه : خنوا بني وهبه فقتله ، وشرك الناس من قتل نبياً أو قتله نبي .

ثالث هذه الأمور التي تتحقق بها الهزيمة ضياع الأرض . فهل ضاع من أرض المسلمين شيء واحد يوم أحد لقد ضلت المدينة هي القاعدة الأمنية ورجع المشركون إلى مكة لم ينالوا خيرا . فكيف يُقال عن يوم أحد إنه كان يوم هزيمة ؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

لقد أعدت ساحة السجن الكبير لإلقاء دروس التوعية وجلسنا على الأرض أمام السيد الدكتور ، وعندما وقف ليحاضر ، أمطرت السماء مضررا غزيرا ولم يكن المكان مسطوفا فقمنا

مسرعين إلى العتاب ، كما أنه ولَّى مدبرا إلى مكاتب الإدارة يتقى نفسه ماء المطر . وبعد قليل طلعت الشمس وصفا الجو ، وعدنا إلى الإستماع وعاد ليقف على المنصة وقبل أن يتحدث انفتحت أبواب السماء بماء منهمر وانفض الجمع وهرون الدكتور مسرعا إلى مبنى المكاتب وبعد قليل طلعت الشمس وعدنا للمرة الثالثة وما أن وقف لسيد الدكتور حتى غضبت السماء هذه المرة غضبة لم تسمح له بالعودة إلى الحديث فقد ظلت تمطر كأنها ترى حال المسلمين وما وصلوا إليه . لقد كان هذا الدكتور من قوم موسى فيبقى عليهم . لقد أمروه أن يحاضر فعز على نفسه ألا يحاضر عندما غضبت السماء ، ولو أنه كان يملك شيئا من خشية الله لعلم أن خير محاضرة تلقى علينا أن يقول للذين أرسلوه الضم مرتعه وخيم ، والظلم لا يدوم ، وإذا دام دمر ولقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ ولذكروهم بالحديث القدسي : « يا عبادي لقد حرمت الضم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تضامنوا » ويقول رسول الله ﷺ : « اتق دعوة المظلوم فليس بيننا وبين الله حجاب » .

لا تضلمن إذا ما كنت مفتدرا فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تأم عينك والمظلوم متببه يدعو عليك وعين الله لم تم

موقف حرج

أردوا أن يضعوني في موقف حرج فطلبوا مني أن أقوم بإلقاء كلمة على الإحوة المعتقلين . والحقيقة أنني قضيت تلك الليلة التي وصلني فيها هذا الأمر ، قضيتها مؤرقا مسهدا وتذكرت قول الإمام ابن الجوزي رضى الله عنه : « إني لأقضى ليل أتقلب في فراشي يخنا عن كلمة أرضى بها السلطان ولا أعضب بها الله فلا أجد » . وتذكرت للإمام ابن الجوزي موقفا من المواقف التي بلغت من الحرج أنصاه فقد خطب الجمعة في مسجد به سنة وشعبة ، فسأله أحد الحاضرين على الملأ يريد إخراجهم فقال له : أيها الإمام أيهما أفضل عند رسول الله (ص) : أوبكر أم علي ؟ وعلم الإمام أن صاحب هذا السؤال ما أراد بسؤاله هذا إلا ابتغاء الفتنة ، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، فأخبره أنه بجاية أدق من ميزان الذهب فقال : أفضلهما عند رسول الله ﷺ من كانت بنته نخته . كلمة من نور فبنت أبي بكر تحت رسول الله . وبنت رسول الله تحت علي وقد سألت الله أن يحيى من نبت الشدة التي يواد بها الفتنة . وما ابتلى المؤمنون بقدر ما يتلوا بالسجون . وأعسى الله تعالى من فضله أن أتحدث عن الداء والدواء ، فأشخص الداء وأصف الدواء . فتحدثت عن عوامل البناء ، ومعاول صدم ، وأردت بذلك بناء الأمم وهدمها ، فلخصت عوامل البناء في عقيدة راسخة ، ومعنويات نبوية نابغة من ثقة صادقة . وقدمت صالحة ، وأسست علمي صحيح ، وخصت عوامل صدم في ضعف الوازع الديني . تنفخ الأخلاق . لإحلال الاجتماعي . وحمدت الله

على أن نتجاني من شياكمهم التي نصبوها وعلى أن ألهمني ان مور . حتى دون أن أجمع للآخرين أن يتسلقوا على كفتي .

يوم الإفراج

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والله تعالى في كل نفس مائة ألف فرج ، والله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، فاعده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا . وإن يغلب عسر يسرين .

استيقظت صبيحة يوم السبت الثلاثين من شهر مارس ١٩٦٨ . وقد طالعتنا صحف الصباح أن الزعيم الأحد سيلقى بيانا مساء هذا اليوم . وبينما أنا أجلس مع بعض الإحوة نضاع الصحف . وقد أرسلت الشمس أشعة هادئة إذا في أسمع اسمي في مكبر الصوت فذهبت إلى مكاتب الإدارة ، فقالوا لي : أحضر أمتعتك ، ولم أسأل : لماذا ؟ أفقد سئمتنا السؤال ، وأخذتني أحد المسئولين في الأمن ، حيث ركبتنا سيارة خاصة وكنا ثلاثة : السائق والحارس وأنا ، وساد الضمت العميق فلم يتكلم أحد منا بكلمة . وأخذت الأفكار تداعب عقلي ، إلى أين ؟ هذا إفراج ؟ لو كان ذلك كذلك لسمعت كلمة مبهمة إذن فماذا يكون ؟ أهو ذهاب إلى سجن القلعة للتحقيق في قضية اكتشفوها أخدي ؟ أهو ذهاب إلى سجن أي زعبل مرة أخرى حيث لتخزين إلى أجل غير مسمى ؟ سكي هذه الأفكار والسيارة تنطوي الأرض تحت عجلاتها طيبا . إن وقفت بنا في مكان لا أعرفه ورأيت بعض أفراد يفتحون باب السيارة ويحملون عنى الأمتعة وقد وضع أحدهم ذراعهم في ذراعي واقفادي إلى داخل المبنى وقد اعتدت أنني إذا دخلت في مكان مجهول أعلم أن الداخل فيه مفقود وإخراج منه مولود . اعتدت أن أردد هذا الدعاء .. يا حي يا قديم برحمتك أستغث « وهمس بعضهم في أذني قائلا : أبشر فإنه إفراج ولكنك ستنتظر في هذا المبنى قليلا لمقابلة تم بينك وبين مدير المباحث . وبعد برهة تم اللقاء ، وإذا به يلقى علي محاضرة في بطولة الزعيم المنهزم ، وأن العرب لم يكن هم أي وزن في العالم لولا جمال عبدالناصر هو الذي رفع سمعة العالم العربي وجعل من عرب أمة يحسب لها العالم ألف حساب » .

ويعلم الله ويشهد رسوله أن قائل هذا الكلام قد لا يؤمن به فما جاء جمال عبدالناصر إلا ليحقق ثلاثة أهداف : أَوْض القضاء على الإسلام ، وثانيها تخزيق الصف العربي ، وثالثها تثبيت مكانة إسرائيل في المنطقة .. ولما نكس هذا اعطط المرسوم له قال له أسياده : لقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة فمت . فأخرجوه له شهادة الوفاة في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وشيعوا جنازته الرسمية في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حيث أدرج في أكفان القدر . وما أن انتهى حسن طلعت من إلقاء محاضراته حتى شعرت كأنني وضعت عن كاهلي جيلا ثقيلًا ، وبأذن

لى بالانصراف، ظننت أنني سأصرف إلى بيتي، ولكن قيل لي: إنك ستنتظر حتى الساعة السادسة مساء لمقابلة تم بينك وبين السيد الوزير، ومرت الدقائق كأنها شهر والساعات كأنها دهر، واقرب الوعد المضروب بيننا، والتقيت به في مكبته وأنا أسأل الله العافية. ولقد مد الرجل يده وبها عشرون جنبها وقال لي: خذ هذه النقود البسيطة واستعن بها في نفقة أولادك فسألته: وبأى وجه أستحقها؟ إن كانت على سبيل الصدقة فليست فقيرا، فأرجو أن تعافيني من هذا الحرج. وألخ في الأخذ وألححت في الرد وعافاني الله منها، فخرج بحرين بغربالين وحفر بثرين بإبرتين وغسل عبدتين أسودتين حتى بصيرا كأبيضين، وكس أرض الحجاز في يوم شديد الهواء بريشتين خير لي أن أقف على باب غير باب الله بضيع فيه ماء عيني.

وانتهت الزيارة وانصرفت حيث كان بصحبي أحد الضباط وتوجهنا إلى المنزل بعد غيبة استمرت حولين كاملين، وطرقت باب المنزل وكانت الزيارة مفاجئة للأهل، أما الأم فقد انعقد لسائها من الفرحه فلم تستطع الكلام وأما الإخوة فقد فاضت من أعينهم دموع الفرحه، وصليت لله ركعتين، وقلت: «الحمد لله على جزيل نعمه فقد أحسن في إذا أخرجني من تسجن يا فاطر السموات والأرض، أنت ولئى في الدنيا والآخرة توفى مسلما وألحفتي بالصالحين».

وفود الناس تأتي للتهنئة

ظننت شهورا أستقبل وفودا من الناس يأتون مهنيين جمعت بيننا محبة الله في الرحاب الطاهرة والبقاع المقدسة، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن هؤلاء الذين جاءو مهنيين قد خلعت قلوبهم من الرياء والسمعة والنفاق، فنحن لم نتعارف على منغم أو منصب أو منفعة. فلو كان ما يجمعنا شيئا من هذه الأعراض الزائلة لكانت صدقتنا ومحبتنا ومعرفتنا زائلة. لكن الذي كان يربط بيننا أوثق من ذلك وأرسخ. إنها المحبة في الله التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إن علاقة السياسيين الذين تربطهم الوصولية علاقة لا أساس لها ولا جذور، بل إنها سرعان ما تتقلب إلى عدااء سافر ولا تنسى ما كان بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد أو ما كان بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر.. لكن أصحاب العقائد تقوى صداقتهم على

مر الأيام لأنهم كلما ازدادوا من الله قربا ازدادت قلوبهم مودة وحبا. إنهم على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين. إنهم تحابوا في الله لغير منفعة أو دنيا. فوالله إنهم لنور، وإن وجوههم لنور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يفزعون إذا فزع الناس ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هؤلاء هم الذين قال الله تعالى في حقهم في حديثه القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين في، المتبادلين في، المتجالسين في». إنهم الذين قال فيهم الصادق المعصوم عليه السلام: «سبعة يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «... رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وافترقا عليه» وذكر منهم: «ورجل قلبه معلق بالمساجد» فما بالك هؤلاء وهم أوتاد المساجد جلساؤهم الملائكة إن غابوا افتقدوهم فإن كانوا مرضى عادوهم وإن كانوا في شدة دعوا الله لهم..

ليس من العسير أن نقيم المصانع ونشيد ناطحات السحاب، ونبنى البوارج، وننشئ الجوارى في البحر كالأعلام، ونصنع أساطيل الطائرات، ولكن من الصعب أن نبنى النفوس على العقيدة الراسخة. والمعنويات العالية والقدوة الصالحة، وقوة الوازع الديني، لذا قال «ريتشارد نيكسون» عندما تولى حكم الولايات المتحدة: «إن الولايات المتحدة لا تعانى أزمة مادية إنما تعانى أزمة روحية. لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع لكننا فقراء في الروح، نصل في قرب عظيم إلى القمر، ونسقط في خلاف حاد على الأرض».

إن اجتمع الإيمانى قد حدد الله معانته في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

واقعة عجيبة !!

قديما قالوا: «إن من شر المصائب ما يضحك» فقد زارني أخ كريم هو عندي ثقة صدوق وسألتني أثناء زيارته: في أى سجن كنت في اليوم الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٦٨؟ قلت له: كنت في سجن طرة. ثم سألته: لماذا تسأل هذا السؤال؟ فقال: أظننت قد علمت أنه في هذا اليوم قامت مظاهرات صاحبة وعنيفة من طلبة الجامعات: قلت له: علمت ذلك من الصحف. فقال: لقد كنت أحضر مؤتمرا انعقد في هذا اليوم وقام فيه أحد كبار المسئولين خطيبا، وكان ذلك المؤتمر في أحد مقار الاتحاد الاشتراكي وكان المتحدث يعمل وزيرا للمعلومات، قال في خطابه: إن الشيخ كشتك كان وراء المظاهرات التي قامت

في جامعة عين شمس . فسأته : من أتاك هنا ؟ قال : رأيته بنفسه يقود سيارة من طراز مرسيدس . فقلت له : أنت لا تعرفه إذ كيف يقود سيارة وهو كفيف البصر . فبنت ، ولكن أهل الباطل لا يستحون ، إياهم يبرون بما لا يعرفون . ومن الخطأ أن يقول الإنسان ما لا يعلم وأن يعلم قبل أن يتعلم ولا يخاف أن يأثم ، وإذا أثم لا يتدم .

وهكذا قامت دولة التفريرات على الأكاذيب والشائعات فضاع ضحية ذلك الأبرياء المظلومون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنه يقولوا ربنا الله .

فرس الغنى وبقرة الفقير

ذكرتني هذه الواقعة العجيبة التي قصها عليّ ذلك الصديق بقصة فيها من الظلم ما يتضائل بجانبه كل ظلم . فقد ذكروا أن غنيا كان له فرس وكان جاره الفقير بقرة فولدت بقرة الفقير عجلا ، فقال له الغنى : إن هذا العجل ابن فرس ولا بد أن أضمه إليّ وعينا حول الفقير أن يقتعه ، وأخبر لجا إلى القضاء . وكان القاضي رجلا صالحا ، فلما تماثلا بين يديه وجمع لكل منهما ، قال لقاضي : لا أستطيع الفصل في تلك القضية هذا اليوم لأنني أشعر بأن دم الحيض قد نزل عليّ ، فقال له الغنى : وقد استول عليه العجب وأخذته الدهشة : وهل يحيض الرجال يا سيدي ؟ فقال له القاضي : وهل تلد الفرس عجلا يا سيدي ؟

نعم إنه الظلم ، وإن للظالمين لغة يجيدونها ويعامنون لضعفاء بها :

إن الغنى وإن تكلم بالخطأ قالوا أصبت وصدقوا ما قالوا
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم أعطأت يا هذا وقتت ضللا
إن الدراهم في المجالس كلها تكسر الرجال مهابة وجللا
لهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتلا

هذه لغة أهل الجاهلية الذين عثم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ويحسون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الحاسرون .

العودة إلى المسجد

صُلب إليّ أن أعود إلى المسجد الذي كنت فيه قبل دخول السجن وأن أعود في الجمعة القادمة بعد الإفراج ، فقد أفرج عني في اليوم الثلاثين من مارس ، وكان يوم

السبت ، وطُلب مني أن أعود يوم الجمعة الخامس من إبريل دون أن أتأل قسطا من الراحة بعد عناء السجن ، وانتشر خبر العودة ، وانغصص المسجد بالرواد من كل حدب وصوب . ومازلت أذكر هذا اليوم ، فقد كان يوما مشهود من أهام الإسلام ، فقد اخترقت صفوف المصلين إلى المتبر بصعوبة بالغة شعرت كأن القلوب قد قفزت إلى الحناجر فرحاً ، واستضاءت بنور الله بشراً وكرماً ومازلت أذكر موضوع هذه الخطبة التي بدأتها بقول : لقد عدت إليكم بمشيئة الله بعد مائة أسبوع .

قد يجمع الله الشيعين بعدما يظنان كل الظن الأتلقيا

وقد أغمى الله تعالى أن يكون موضوع هذه الخطبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولئن صبرتم هو خير للصائرين . واصبر وما صبرك إلا بالله . ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

وقد نزلت هذه الآيات في واقعة خطيرة وفي يوم من أهام الإسلام المخالدة . لقد نزلت بعد أن استشهد أسد الله حجة وعف الرسول إلى مكان الحادث ، وألقى نظرة على الجسد الطهور وقال في كلمات تفيض حزنا . « والله يا عم ما أصبت في أحد كما أصبت اليوم فيك ، وما وقتت موقفا مثل موقفى هذا عليك ولئن أمكننى الله منهم لأمثلن بسبعين أو مائة » .

فماذا كان رد العليّ الندير على ناشر الهدى وواسع الندى صلوات ربي وسلامه عليه ؟ كان الرد برقة عزاء عاطرة : ﴿ وإن عاقبهم فعاقبوا بمثل ما عوقبهم به ، ولئن صبرتم هو خير للصائرين ﴾ .

وأذكر يومها أنني عرفت الصبر بتعريفات كثيرة ذكرت منها : أنه مقاومة النفس الهوى لتلا تنقاد للقبائح ، وبأنه ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوات ، وبأنه احتمال الكد .

وقسمته إلى بدنى ونفسى ، وقد يكون النفسى فناعة وحلما وشجاعة وعفة باعتبار ما ينسب إليه الصبر .

وكان يوما حافلا ، ولقاء مشهودا ، فلقد ظللت بعد الصلاة أصاح المصلين وأتلقى التهانى بالعودة حتى أذينا صلاة العصر وما استطعت الانصراف إلا بشق الأنفس ، إنها دولة القلوب إذا عرفت الله أصبحت نورانية تخلق في آفاق الطهر وساحات الرضا ، إنها الممالك التي أقامها الله تعالى في صدور عباده المؤمنين ، سعادتها في رضا الله عنها ، وليس في الانتشاء بالكئوس المترعة أو الاستمتاع بالعفيد الأملد ، إنما ترى السعادة في تزكية النفس بالإيمان

وأشراق العقل بالمعرفة وانتصار بالاستشراف إلى العالم العلوي والملا الملكى ، إنها تردد هذه
الدرة النبوية : « إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، إنها تهف هذا التشيد :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غصاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب
إنها تشدو بهذه المعاني الرقيقة :

رضاك خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيا ودانها
فليس للنفس آمال تحققها سوى رضاك لذا أقصى أمانها
فضرة منك يأسؤى وما أمل خير إلى من الدنيا وما فيها

وسارت سفينة الدعوة باسم الله بحريها ومرساها ، وأخذت تجرى في موج كالجبال
فمن ركب تلك السفينة فقد نجا ، ومن قال : سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء كان من
المفرقين ، وازداد إقبال الناس على المسجد ، وجدوا فيه للنفوس روحا وربانا وجنة نعيم ،
وحرصوا على حضور دروس المساء التى كانت تلقى ما بين المغرب والعشاء .

وهكذا عرفنا الإسلام تصهره الشدائد وتزيده قوة وتكسب عوده صلابة .

فكم زالت رياض من رباها وكم بادت نخيل في البوادي
ولكن نخلة الإسلام تنمو على مر العواصف والعرادي
ومجدك في حنى الإسلام باق بقاء الشمس والسبح الشداد

قاهر الجبابرة

سبحان صاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة ، خشعت الأصوات لعظم ملكوته ،
وعنت الوجوه لجلال جبروته ، هو القوى العظيم وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع
العليم ، سبحانه أوجب الوجود لذاته ، وكسب الفناء على غيره .

في اليوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ جاء من يفرى بأن عبد الناصر
قد مات وعلى أن أعد حقيقة المعتقل فقد تكون هناك حركة اعتقالات واسعة للذين تم
اعتقالهم من قبل تأمينا لظهور الثورة . وقلت : سبحان الله آسنى به حيا وميتا ! إن هذا
الرجل الذى ملأ طباق الأرض ظلما وجورا أصبح قد مات ؟ نعم إنه قد مات ، فليس
هناك من يستص على الموت مهما كان جبروته وصولجانه . إنه كان في مؤتمر القمة الذى

عقد بالقاهرة بين الملوك والرؤساء العرب ، كان بينهم محالا كالتطاوس مزهوا بنفسه ،
مغرورا كعادته ، ولكنه في الواقع كان كما قال الغائل :

كالمح يحكى انتفاخا صولة الأسد

وكا قال آخر :

أسد على وفي الحروب نعامه

لقد انفض مؤتمر القمة وكان هو في وداع أمير الكويت ، وعاد إلى بيته حيث كان على
موعد مع ملك الموت ، وعشا حاول الأطباء فقد أحاطوا به حيث قال لهم أحد المقرين : لا بد
أن تفعلوا شيئا وكأنهم يستطيعون أن يمنعوا الروح من الخروج . وسبحان من يقول :
﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ . . . لقد بذل الأطباء قصارى الجهد
فهذا يقبس ضغطا وذلك يقوم بتدليك القلب وذلك يقف على حفيقة البيض ، ولكن .

ومن نزلت بساحته النايها فلا أرض تقيه ولا سما
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

ماذا يفعل الأطباء إذا انقضى الأجل ؟

إن الطيب له علم يدل به إن كان للمرء في الأيام تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطيب وعانته العقاقير

ويرحم الله هارون الرشيد لما شعر بدنو الأجل ، أمرهم أن يفرقوا قبره ليراه قبل أن
يموت ثم أمرهم أن يحملوه إليه فيجلس على شفير القبر وفاضت عيناه من الدمع ، ودعا رب
العزة قائلا : « يا من لا يزول ملكه أرحم من زال ملكه » .

لقد مات جمال عبدالناصر وأدرج في أكفان القدر ، وطويت صفحة عمره ، وتنفسا
الصعداء ، وتذكرت قول لصادق المعصوم عليه السلام : « إن العبد المؤمن إذا مات استراح
بالموت من عناء الدنيا والفاجر إذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب »

الله أكبر لا ثلمات يميت لكن زوال القحط بشرى للورى

فسبحان قاهر اجبارة ومطم القياصرة ومدمر الأكاسرة ، ومبيد الأباطرة :

ولى في فناء الخلل أكبر عبوة لمن كان في بحر الحقيقة راق

شخص وأشكال تمر وتقتضى فتنى جميعا والمهيمن باق

إن الفاجر كالأرزاء صماء معتدلة حتى يقصمها الله متى شاء .

موقف حرج

مات الزعيم يوم الاثنين وطفح النفاق كما تطفح الأرض بماء الجحارى وأرسلوا في المدائن حاشرين ، وجمعوا الناس لميقات يوم معلوم لتشيع الجنازة يوم الخميس ، وفي هذا مخالفة لشرع الله ، فإكرام الميت في الإسلام دفنه .

ومرت هذه الأيام ثقيلة متباطئة ، وجاءت ساعة الدفن وأنا أجلس بجانب المذبح أتربق مصير هذا الذى كاد يقول أنا ربكم الأعلى وأوشك أن يصيح بأعلى صوته : أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟ وجمي به على شفير القبر وكأن القبر يناديه بلسان حاله : أيها الجبار العنيد : أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أعجلت المنية أم المنية عاجلتك ؟ لقد خرجت من التراب وعدت إلى التراب . خرجت من التراب بغير ذنب ، وعدت إلى التراب بكل ذنب ...

لقد وورى الجثمان الثرى وأفضى صاحبه إلى ما تقدم ، وصار رهينا بعمله وكأني أسمع النداء من رب العزة يقول له : عبادي رجعوا وتزكوك ، وفي التراب دنوك ، ولو ظلوا معك ما نفعموك ، ولم يبق إلا أنا وأنا الحى الذى لا أموت .

وهكذا سحب الدهر عليه أذيال النسيان والفتاء .

أتيت القبور فناديتها فأين العظيم واخترت
وأين المبدل بسلطانه وأين المزمى إذا ما انخر
تساووا جميعا فما خبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتلدوا بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائل عن أناس مضوا أمالك فيما مضى معتبر؟

وورى الجثمان يوم الخميس ، وجاء يوم الجمعة ، وأقبلت أفواج المصلين على المسجد كعادتها عندما يقع حدث أو تنزل نازلة تُضاعف الأعداد بحيث لا يصبح هناك شبر من الأرض إلا وفيه قائم أو قاعد أو راعع أو ساجد . وفي مثل هذه المواقف تنتشر كتبة التقارير في أرجاء المسجد ، ويصبح الموقف بذلك عصيبا . فإذا كان سيدهم قد مات فإنه ما يزال يحكم من داخل قبره حتى أن عليه القوم إذا مروا بقبره جيئة أو ذهابا كانوا ينزلون من السيارة ليؤدوا له تحية العسكرية أمام قبره .. ما هذه الوثنية وما تلك للجاهلية يا قوم ؟

اجعل برلك كل عز يستقر ويشب
فإذا اغررت بمن يموت فإن عزك ميت

إذن فانوقف يحتاج إلى حكمة ، والحكمة تقول : ليست الشجاعة هي التهور ، بل أن تقول الحق دون أن تسمح للآخرين أن يتسلقوا على كتفك ، إن العيون مبهوثة هنا وهناك ، والظلمة هم الظلمة ، والسجون هي السجون ولا يد للمسلم أن يقول كلمة الحق لذلك كان الموضوع الذى تحدثت فيه يوم الجمعة قد استوحيت من الأحداث : فالعاقل من يأخذ من أحداث الأيام عبرة ، والدهر مدرسة أساتذتها الأيام والليالي .

يا نائم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يأتين أبحارا

لقد كان موضوع الخطبة جوابا عن سؤال طرحته وقلت فيه : لماذا كانت صلاة الجنازة أربع تكبيرات تؤدي قياما لا ركوع فيها ولا سجود ؟ واستلهمت الحكمة وعلمت أن الجنازة توضع أمام المصلين ، فهو ركعنا أو سجدنا لثوهم أن هذا الركوع والسجود لذلك العظيم الذى وضعت جنته أمامنا ، وجاء التكبير فيها إشارة إلى أن الله أكبر من هذا الجبار وأبقى سبحانه هو القائل : ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم ، وإليه ترجعون ﴾ .

وسبحان القائل : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ لقد جاءت هذه الآية في سورة العنكبوت بعد سلسلة من تاريخ الأنبياء مع الجابرة ، فقد ذكر الله تعالى في هذه السورة قوم نوح وقوم إبراهيم وقوم لوط كما ذكر مدين وعادا وثمود وقارون وفرعون وهامان ، ثم حكم عليهم بالفناء . كما شبه الذين اتخذوهم أولياء بتشبيه راعع يأخذ بالألياب فقال : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

وانقضى يوم الجمعة ، وانصرفت وفي ذهني هذه الآيات :

تكنى على الدنيا وما من مشر جمعهم الدنيا فلم يفرقوا
أين الأكرسة الجابرة الأولى جمعوا الكنوز فما يقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق
حرس إذا نودوا كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق

مصارع الظالمين

﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ وحاشا لله أن يكون غافلا ، وكيف يكون غافلا وهو الذى قال : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ . وحاشا لله أن يكون غافلا ، وكيف يكون ذلك كذلك وهو الذى يقول :

﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راعبهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينتههم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ .

قد تنزه سبحانه عن الغفلة والغيبة ، ولذا قال : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخّره لهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ فإذا كان سبحانه وتعالى يجهل ، فإنه لا يجهل ، إن الله لا يعجل كمحلة أحدكم . إن الله يجلي للظالم حتى إذا أخذ لم يفلته أقرعوا إن شئتم : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم أليم شديد ﴾ .
وجميل أن يقول أمير الشعراء :

إذا ما ملكت النفوس فابغ رضاها فنها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأثر سر نكيف الخلائق العقلاء ١٩
بحسب الظالمون أن سيبو دون وأن لن يؤيد الضعفاء

ولى السادات حكم مصر بعد أن هلك سلفه ، وقد كان امتداداً لمن كان قبله فى اضطهاد كل عمل إسلامي ، بلن كان عبدالناصر يجاهر بالظلم وتعنى زبانيته فى الأرض فسادا ، فإن السادات جاء فقتن هذا الظلم ، فسُن القوانين الظالمة التى سموها فيما بعد « سينة السمعة » وهى قوانين تكاد السماوات تنفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ . أسمعت بهذه الديمقراطية التى كان يقول عنها : « إن لها أنيابا ومخالب » إنه قول ينطبق عليه قول علماء المنطق : « سلب الشيء عن نفسه » كأن تقول : الإنسان لا إنسان ، وهو ضرب من ضروب السفسطة .

وإذا كانت الديمقراطية التى كان يتخنى بها ، كما كان يتخنى سلفه بالعزة والكرامة - إذا كان لها أنياب ومخالب ، فماذا تكون الديكتاتورية ؟ وما الفرق بينهما ؟ إنها الديكتاتورية فى أسوأ معانيها ، وشر مغزاها ومبناها . لقد جاء يوم على هذا الحاكم قال فيه : « ما يبدل القول لددى وما أنا بظلام للعباد » . هكنا قرأ الآية . وهى فى كتاب الله : ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ والذى لا يُبدل القول لده هو الله وحده ، فهنا الوصف خاص بمن يقول للشيء : « كُن فيكون » . ولكن ماذا أقول ؟ ومن بين علماء الأزهر من قال عنه : والذى نفسى بيده لو أن لى شيئا من الأمر لرفعت هذا الرجل (يقصد به السادات) إلى قمة لأبسال عما يفعل . وقد ردّ عليه الشيخ عاشور فيما سموه بمجلس الشعب وقال له : هذا كفر يا مولانا ! فقال له الشيخ الوزير : أنا أعرف بالله منك .

وذكرنى هذا الموقف بذلك الشاعر الذى دخل على الحاكم ذات يوم فقال له :
ماشت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وقد قيل لعبدالناصر ذات يوم على لسان أحد المنافقين :

بشرأى إن صلاح الدين قد عاد وأصبحت هذه الأيام أعياد
أجمال مالك من بين الأنام أخ فى الشرق والغرب ممن ينطق الضادا
لو كان يعبد من بين الأنام فتى كنا لشخصك دون الناس عبادا

ويوم وقعت النكسة وهى فى الحقيقة هزيمة ووكة ، قام أحد أعضاء مجلس الأمة بقرص فرحا وابتهاجا بسلامة الرئيس كما عصبت شوارع القاهرة بالمصفقين والهانفين والراقصين المطالبين ببقاء الزعيم بطل الهزائم وقائد ثورة الغضب والنهب والسلب ، كانوا يرقصون وهم المهزومون ، وكان الناس فى إسرائيل يعلنون الحداد ويصلون على قتلاهم ، فاعجب معى لشعب منبزم يرقص ، وشعب منتصر يندب قتلاه .. إنه الفرق بين الإحساس بالستولية واللامبالاة . كانت إسرائيل تنادى بالسلام وهى تستعد للحرب ، وكنا ننادى بالحرب دون أن نستعد لها فوفقت الواقعة ، وكانت خافضة رافعة . لقد طغح النفاق ، وكثر المنافقون ، وحمة القمام . حتى وقف أحد المدرسين الذين كان السادات تلميذا عندهم يقول فى أحد المحافل أمام سيده السادات « إن فى خلق السموات والسادات آيات لأولى الأبياب » ثم أضاف قائلا : لقد منح الله سيدة مصر الأولى نصف الجمال ، وقسم النصف الآخر على نساء العالمين .

إن المنافقين فى كل زمان ومكان عالة على المجتمع وقت السراء وسوس بنخر فى عظام الأمة أوقات الضراء ، يرأعون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذمبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن نجد لهم نصيرا ﴾ .

وحاء اليوم الذى قدّم فيه أحد أعضاء مجلس الشعب اقتراحا بأن يُطلق على السادات لقب « سادس الخلفاء الراشدين » وقال له أحد كبار المسئولين فى الولايات المتحدة فى خطاب ألقاه فى أحد المؤتمرات : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام اختص منها يوما خلق فيه المسيح بن مريم وأنور السادات .. والعجب فى هذا الكلام أن هذا المغرور يصدق هذا المرء . لقد قالوا قديما فى الأمثال : إذا كان المتكلم مجنوناً فليكن المستمع عاقلا . ولكن صاحبنا هذا كان أشد جنونا من المتحدث فقد قال للوفد الذى كان يرافقه فى تلك السفارة : « انشروا هذا الكلام فى الصحف المصرية عندما نعود » . ولكن شاء الله ألا يُنشر هذا الكلام فى مصر حتى لا يصاب الناس بصدمة تتعلق بالعقيدة وهى أغلى ما يملكه المسلم . ﴿ أفرأيت من اتخذوا إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ﴾ .

وَأعجب معي لهذا الذي كان يتشدد بالديمقراطية ويهدد بأن لديه مفرمة ، وأن من يخالف أمره واتبع غير سبيله فسوف يفرمه . والمعروف أن المفرمة إنما عُدت للحوم الحيوانات ، ولكن الرجل لما كان مضمون البصيرة قاسى القلب ، أصبح لا يميز بين لحم ولحم . وشاء ربك أن يجعل بين هذا الحاكم وبين أقطاب الظلم يوما سواه ، ثورة التصحيح ، ولم يكن في حقيقته كذلك ، إنما كان في الحقيقة يوم الصراع على السلطة ، ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ . وكان هذا اليوم يوافق الخامس عشر من شهر مايو ١٩٧١ ، تأمر كل من الفريقين على الآخر فكان الصدام العنيف : فريق مراكز القوى (كما أطلقوا عليه) وعلى رأسه شعراوي جمعة ، وفريق على رأسه السادات . وشاء ربك أن يتوق هؤلاء الزبانية مرارة الكأس وسوء المصير وأن يدخلوا السجن التي دخلها أصحاب الدعوات قالبر لا يبل والذنب لا يُسَى والدَيان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين ثدان ، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون .

يا نائم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد باتين أسحارا

تعد سبق الظالمون إلى السجن ، فذاقوا وبال أمرهم : ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فنزهدكم إلا عذابا ﴾ . لا أمان للدهر ولو صفا ، ولا أمان للمال ولو كثر ، ولا أمان للسلطان ولو قرب منك .

مترالت الأيام شيمتها الغدر وبعد صفو الليالي يحدث الكدر

فَسأَلُوا التاريخ عن جبايرة العالم . أسألوا التاريخ عن هتلر وموسوليني ، ولينين ، وستالين ، وجانكيز خان وهولاكو ، وعبدالنصر وشاه إيران ، وكال أتاتورك . وعن فراعنة مصر أين هم ؟ ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ، ثم لنحسب أعلام بالذين هم أولى بها صليا ، وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ .

الأحقاد تتحرك

قد يختلف بعض الظالمين مع بعض ، ولكن تزول الخلافات ويتحد الجهد إذا كان العدو هو الإسلام . لقد سارت مواكب الدعوة الإسلامية في المسجد سيرا أحمد الله عليه ، فأصبح الناس يملئون كل فراغ يهبط بالمسجد ، وأقبل المسلمون بمسجلاهم بسمعون

ويسجلون ، باتون رجالا وراكبين وقلوبهم تطير من الفرح ، فقد صارت صلاة الجمعة عندهم عبدا إسلاميا حقيقيا ، يلتقى فيه الأحباء والأخلاء الأتقياء يتعارفون على عجة الله ويلتفون على طاعته حل في علاه .

وذاث يوم من أيام عام ١٩٧١ فوجئت بعد صلاة العصر بثلاثة من المستنيرين عن الدعوة في وزارة الأوقاف ، يدخلون في غرفة الإدارة ويقولون لي : لقد جئنا من قبل السيد الدكتور الوزير (وكان من شيوخ الأهرام بعدما ترك وزارة الأوقاف) قلت : خيرا إن شاء الله . قالوا والشماته بادية في كلامهم ونكد الفرحة تعقد ألسنتهم ، قالوا : إن السيد الوزير أصدر تعليماته إليك بأن تؤدي خطبة الجمعة القادمة في مسجد الظاهر ببيروت وسوف يهبط الجمعة هناك . وسألت : لماذا لا يهبط معنا ما ؟ قالوا : لأن المسجد هناك أوسع وأرحب . قلت : وهنا أيضا أرض الله واسعة . وقلت : إنني إذا تركت المسجد يوم الجمعة ، وفوجيء رواد المسجد بهذا فسوف تكون هناك فتنة وشائعات ، وقد يُخطأ الحساب / فتأني أوهم العواقب والفتنة تامة ، ونسأل الله العافية . قالوا : لا شأن لنا ، فنحن مأمورون بكتابة هذه الإشارة في دفتر الأخوان ، ومن حقك أن تذهب إلى الوزير وتناقشه في هذا الأمر .. وكتبوا الإشارة وكان نصها : « على إمام المسجد أن يؤدي خطبة الجمعة بمسجد الظاهر حسب تعليمات السيد الدكتور الوزير » . ثم طلبوا مني أن أتعهم بالموافقة ، ولكني أبيت ، فقد كنت موقفا بأن الله سيجعل بعد عسر يسرا ، وقد استقر في يقيني أن الأمر أشد من أن يكون خطبة في أحد المساجد الأخرى . وأخو علي أن أتعهم ، فقلت لهم : من حقكم أن تكتبوا ماتشاعون ، ومن حقى ألا أوافق على ما تكتبون . فانصرفوا . وكان هذا يوم الأحد وكنت قد تهيأت لإلقاء درس المساء بين المغرب والعشاء ، وأحطت المصلين علما بما حدث ، وقد تعددت ذلك لأننى أعلم أن هؤلاء الذين أصدروا هذا الأمر كانوا يودون أن تُقضى الأمور في طي الكتمان ، ويقلقهم أن يُحاط المصلون علما بمثل هذه المؤامرات ، والله لا يهدى كيد الخائنين .

وبعد أن صليت العشاء صافحتى أحد المصلين وقال هامسا في أذني : اطمن فلن نُقل من هذا المسجد ، وسوف يعتذر الوزير عما فعل ، وسألت : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : عبد من عباد الله . قلت : سبحان الله ، وما يعلم جنود ربك إلا هو . وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ إن بنصركم الله فلا غالب لكم ﴾ فقد وقف العضوان المنطلقة لي مجلس الشعب يتداهن بهذا العمل ، وبمعلان الوزير مسئولية ما سيحدث من فتن إذا أصر على أمره ، وطارت البرقيات إلى المسئولين . وفي يوم الأربعاء من نفس الأسبوع جاء الذين كتبوا الإشارة ليكتبوا إشارة أخرى تنسخها .. وخطبت الجمعة في مسجدى الذى كان يعتبر قلعة شامخة في منطقة دير الملاك .

لكي أردت أن أعرف ماذا وراء هذه الإشارة التي أراد بها الوزير أن يتقلني من مسجد زرعت فيه زرعاً فأخرج شطأه فأزره وأراد أن يتقلني قبل أن يستغلظ هذا الزرع ويستوى على سوقه ؟ ما هو الدافع إلى هذا ؟ والناس يأتون من أقصى محافظات القطر زرافات ووحدانا . يأتون وهم يعلمون أن هم بكل خطوة يخطونها إلى بيوت الله رفع درجة وعمر خطيئة وكتابة حسنة .. وطلبت من أحد رواد المسجد وكان صديقاً للوزير أن يسأله : ما هو الدافع وراء تلك الإشارة ؟ وسمعته يتنسى وهو يتحدث في المسرة فقال له الوزير : وهل يعجبك يا أحمد بيه جلوس الناس في الشوارع ؟ فردُّ عليه قائلاً : كل المساجد هكذا يوم الجمعة . ثم سأله قائلاً : يا فضيلة الوزير هل كان المقصود بتلك الإشارة أن يخطب هذه الجمعة في مسجد الظاهر ثم يعود إلى مسجده ؟ فأجابه الوزير : لا . لقد أردت أن ينتقل في المساجد وأن يذهب في كل جمعة إلى مسجد .. وانتهت المكالمة ، وعلمت أن المقصود من هذا تمزيق الصف وتشيت هذا الجمع الذي يأتي كل أسبوع ليستمع إلى نتيج الشكامل الذي أصبح دعوة منهجية لا بد فيها من التسلسل والشايع ، فقد أقيمت هذا النتيج على أسس أهمها : الذنوة والقصة وتجديد الموعظة والضرب على الأحداث والحديث ساحن .. ولكي يكون هناك منهج لا بد أن يكون هناك اتصال في الحديث ، وهكذا أرادوا تمزيق هذا الجمع ، ولكن يد الله تعمل في الخفاء والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عقارب البغضاء

لم يكن هذا الموقف الذي هُزم فيه الوزير يمرُّ من السحاب ، بل لقد ترك في نفسه جرحاً غائراً فأراد أن ينتقم لنفسه ، والنفوس إذا حقدت أظلمت وعميت عن الحق ، وصار صاحبها لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ، لا يسمع إلا نفسه الأمارة . وإن نعم الله أعداءً وهم الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

ألا قل لمن بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في صمعه وأنتك لم ترض لي ما وهب
فكان جزاؤك أن خصصني وسد عينك طريق الطلب

إن الحسد إذا غزا القلوب ، أشعل فيها نار العداوة وتصيب حياض الحامد كظلمات في بحر لحي بغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمت بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكذب يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا ، فما له من نور .

صبر على كيد أخود فإن صبرك قاتلهم
فإن نأكل بعضها إن نأكل ما تأكلهم

تواتر الاستدعايات ، فكلمنا خطبة خطبة يوم الجمعة ، جاء الاستدعاء يوم السبت ، وكان التحقيق يوم الاثنين .. هكذا من كل أسبوع واختلفت أنواع التحقيق وتعددت نماذجها ، فمرة تكون التهمة الموجهة إلى أنني أثير الفتنة الطائفية لأن المسجد يقع في منطقة دير الملاك وهي إحدى قلاع الصليب . وسألت : ما هو الكلام الذي أثار الفتنة في الخطبة ؟ وقال المحقق وكان يعمل وكيلاً لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة : إنك تتعمد ذكر الآيات التي تتحدث عن النصاري . قلت : أليست قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ؟ وذكرني هذا الموقف بموقف أهل العناد من صاحب الرسالة وقد طلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن ، فحزن الرسول لذلك ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا لئن أت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكه به ، فقد لبث فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياتي إنه لا يبلغ الجحيمون ﴾

وقال لله تعالى لرسوله الكريم : ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كتاب كتر أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾

وأخيراً قال لي السيد المحقق بعقربته الفذة وفهمه العميق وبصيرته النافذة : عليك أن تصعد المنبر ، ولكي تربحنا وربحك اجعل موضوع خطبتك : قل هو الله أحد ، ثم انزل وصل بالمصلين .. وقت له : لو كان ذلك كذلك ، لوجهتم إلى نفس التهمة وهي إثارة الفتنة الطائفية ، ولتقدم في مذكرة الاتهام : إنه بقرآن الإخلاص ويقصد بها التعريض بالنصاري المثلثين .. وإذن لا جدوى من هذا التوجيه ، فاللغة بيننا هي لغة الذئب الذي قال للحمل : عكرت على أمه وماذا يصنع أهل الحق يقوم ليسوا جلد امر ، وقلوبوا ظهر امجن ، ولكن لا بد أن نسير القافية والذئاب تسمى . وهل يضر السحاب نبح الكلاب . إن كلمة الحق أقوى من كيد الكائدين والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً .

عمسر بن الخطاب

لم أكن يوماً أتوقع أن يصل بهم الإسفاف إلى هذا الحد ، ففي سلسلة الاستدعايات ذهبت إلى الخطب نفسه ، وإذا التهمة الموجهة هذه المرة يقال فيها : إنك تتحدث كثيراً عن عمر بن الخطاب . قلت : وأي شيء في هذا ؟ وقد قال عبدالله بن عباس : أكثروا من ذكر عمر ، فإنكم إذا ذكروا عمر العادل ، وإذا ذكروا العدل فقد ذكروا الله ، فاقه هو المقسط الحكيم

العدل . ألم يقل فيه رسول الله ﷺ : « لو كان فيكم محدثون لكان عمر ؟ » ، فالتقصود بالمحدثين أهل الإلهام . ألم يقل عنه رسول الله ﷺ : « لو كان نبي بعدى لكان عمر » ، ألم يقل له : « أنت سراج أهل الجنة يا عمر وليكن الإسلام على موتك ؟ » ، ثم ألم يقل عنه : « إن عمر رجل ضرب الله الحق على قلبه ولسانه ؟ » . فأى شيء في الإكثار من ذكر عمر ؟ . قال المحقق الحصيف الأريب : إنك تقصد بذلك التعريض بالحكام . قلت : إذن فلا داعي إلى أن أذكر شيئا عن عدالة الإسلام ، ولنضرب صفحا عن ذكر حياة رسول الله وأصحابه فإن في ذكرهم تعريضا بالحكام كما ترعمون . ولماذا تفهمون هذا الفهم ولو كان فيه تعريض أو تصريح أليس الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر من مبادئ الإسلام ؟ وما وظيفة العالم إذا لم يكن ناصحا ومرشدا ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؟ » ، ألم يقل : اثنان إذا صلحا صلحت الأمة ، وإذا فسدا فسدت الأمة ؛ العلماء والأمرء ؟ . إن العالم يجب أن يكون كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، وكما قال جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ . وَكُفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وتاريخ الإسلام مليء بمواقف العلماء من الأمراء . قال عمر بن عبدالعزيز ذات يوم للحسن البصرى : عظنا يا تقي الدين وأوجز فقال له الحسن : « يا أمير المؤمنين : صم عن الدنيا وأظفر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صباحها يوم القيامة . »

وهكذا وقف أهل الدعوة موقف الناصحين الأتباع بوجهون وينصحون لا يتغون من وراء ذلك كرسيا زائلا أو متصبا فانيا ، إنما كانوا كما قال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .. هؤلاء هم أصحاب الرسالات ، لم يبيعوا آخرتهم بدنياهم ، ولم يبيعوا بدنيا غيرهم ، لم يبعوا ولم يلهثوا وراء الشهرة والكراسي المزورة ، إنما باتوا على الطوى وقالوا : « نحن في سعادة ، لو علمت بها الملوك ، لجلدتنا عليها بالسيوف .. » . ويوم يتردد العالم على باب الأمير ، فإنه متهم في دينه ، ويوم يصير هواه تبعاً لموى الحكام يبل ويحرم إرضاء لأهوائهم ، فإنه قد وقع فريسة للشيطان بل صار أستاذا له . قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ . فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَه يَلْهَثُ . ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ ﴾ .

لا تخضعن مخلوق على طمع
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة
فلا تصاحب غنيا تستعدّ به
وكن عفيفا وعظّم حرمة الدين
واسترزق الله بما في خزائنه
فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك
كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وعيد وإنذار

في يوم من أيام شهر رمضان ، والحرب لاهب ، والصيف قاطف ، والأنفاس لاهنة ، والظلم شديد ، ذهبت إلى الوزارة للتحقيق معي ، وكان هذه المرة أمام رجل يشغل منصبا سموه : « مدير مكتب الأمن » ، وكان يعمل من قبل في سلاح الطيران وخرج منه برتبة اللواء ، ولم يكن تخفينا بمعنى الكلمة ، إنما كان وعيدا وإنذارا وتهديدا . استعرض الرجل فيه عضلاته أكثر من عقله وتصورته أمامي سراها بقبعة لا يثبت أمام الحقيقة ولا يصمد للأحداث . وبعدما أرفع كل ما في جعبته من فحيج وسبوم ، قلت له : إنني سأتركك وبين أصابعك قلم وأمامك أوراق ، فاقض ما أنت قاض ، واكتب ما تشاء فإنك لن تغير من المقادير شيئا ، لقد هددني بالاعتقال والسجون ونخلت نفسه قادرا على كل شيء ، وخلع على نفسه ثوب الأسد المصور وهو في الحقيقة فأر صغير ، وكان مثله كمثل البعوض التي قالت للنحلة : أيها النحلة استمسكي فإني راحلة عنك قالت النحلة : والله ما شرعت بك إذ وقعت علي ، فكيف أشعر بك وأنت راحلة عني .

لقد كنت أستمع إلى تهديداته فأستحضر قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ولما هممت بالانصراف إذا به ينتفض ويرب يده على كفتي ويقول : هل ستذكر هذا الكلام للمصلين ؟ قلت له : إذا وفقني الله فسوف أحرضه كما حدث ، وإذا به ينقلب من مهدد إلى متوسل ويقول : أرجوك ألا تذكر شيئا من هذا واعتبر كأن شيئا لم يكن . ثم أراد أن يلقيني بالكذب فقال : فإذا سألتك سائل : لماذا جئت إلى هنا ؟ قل : جئت لأتسلم جدول الخطب والدروس في رمضان .. وهكذا كما جاء إخوة يوسف أباهم عشاءا يكون قالوا : يا أيها إنا ذهينا نستيق وتركا يوسف عند مناعتنا فأكله الذئب . فمتى كنت أذهب لأتسلم الجدول ؟ ومتى كنت أذهب لأتلقى التوجيهات الخاصة بالخطب ؟ إن الخطبة يجب أن تكون موجّهة (بكسر الجيم المشددة) فإذا صارت موجّهة (بفتح الجيم) أضحيت لا تسمن من شبع ولا تغنى من جوع .

وعيد وإغراء

لما لم يجد الوعيد ولم ينفع التهديد لجئوا إلى أسلوب الإغراء ، ولكن أى إغراء ؟ لقد فوجئت بالسيد وكيل الوزارة يجلس بجانبى وقد تغيرت لهجة من محقق حازم إلى أخ ملأت قلبه الشفقة والرحمة لى فقال فى عبارة معسولة شممت منها رائحة الحديعة التى تزكم العقول قبل الأنوف . قال لى هامساً : إنك مطلوب بالاسم للسفر إلى ليبيا ثم أضاف مازحاً : (وببنى وبينك فيها قرشين كويشين) فإذا كان الختم معك فاحتم بالمواقفة وسوف نقوم بتجهيزات السفر ونيسر إجراءاته وأنت مستريح . ورددت على الفور : لست فى حاجة إلى مال بأتى من وراء المشاجرة بالعلم ، ولو كان معى الختم ما وافقت فقال مستكراً : أترفض السفر إلى ليبيا ؟ ولى أحد أقربائى قد بذلت فى سبيل سفره قسارى جهدى ومع ذلك لم أستطع أن أسير له السفر ، وهذه فرصة إن لم تفتنمها ندمت على فواتها ، فقلت : إننى مستعد أن أتأزل لقرينك هذا عن سفرى ، إن أمكن ذلك ، وأنا بهذا غير متألم ، بل أكون قدير العين مطمئن النفس ، فقال : عجبا لك ، أليس معك أولاد ؟ قد يكونون فى حاجة إلى هذا السفر ، فقلت له : إن الله تعالى قد كتب لنا الأرزاق ، ونحن أجنة فى بطون أمهاتنا . وتذكرت قول رسول الله ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خصاصاً وتروح بطناناً » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

إن الروح والرزق لا يملكهما إلا الله ﷻ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﷻ .. وألح الرجل فى العرض ، وصممت على الرفض ، والظاهر - والله أعلم - أنه كان مضغوطاً عليه ليفتنى بالسفر حتى يستريحوا من وجودى فى مصر داعياً إلى الله ولم يقتنع الرجل بالرفض ، فقال : لن أرسل برك إلى المسئولين لأننى سأعطيك فرصة أخرى ، وانصرفت وانتهت المقابلة .

عود على بدء

وفى لقاء آخر أعاد الرجل على العرض ، وذكر لى أن الراتب الذى سأقضاه فى ليبيا يعدل راتبى هنا عشرين مرة ، فقلت له : اسمع هذه القصة : سألو الحسن البصرى - رضى الله عنه - عن سر زهده فى الدنيا فقال : أربعة أشياء : علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى ، وعلمت أن عملى لا يقوم به سواى فاشتغلت به ، وعلمت أن الله مطلع على فاستحييت أن يرانى على معصية ، وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعددت الزاد للقاء الله .

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

إن شر ما يُبتلى به الإنسان أن يصاب بعقدة الخوف من المستقبل فيعيش فى قلق ، ويجيا فى فرح ، فيصير كما يقول القائل :

ليس من مات فاستراح يميت إنما الميت يميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قابل الرجاء

إن الرسول ﷺ أقام مملكة السعادة فى النفس عندما قال : « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

نعم :

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقير خير من غنى يظفيا
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما فى الأرض لا يكفيا

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرءون القرآن بتدبير ، فيقفون عند عجائبه ، ويحركون به القلوب ، أصبحوا وهمم الآخرة ، فجمع الله عليهم ثملهم ، وجعل غناهم فى قلوبهم ، وأتتهم الدنيا وهى راعمة . كانوا إذا قرءوا قوله تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعمالوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ كانوا إذا قرأوها ظلوا يبكون ، ويسأل كل منهم نفسه : من أى الفريقين أنا ؟ أمن الذين آمنوا وعمالوا الصالحات أم من الذين اجترحوا السيئات ؟ لذا سميت هذه الآية : بكاءة المؤمنين . لقد علموا أن من أراضى الله بإسقاط الناس كفاه الله ما بين الناس ، ومن أسخط الله بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس . ومن أصلح سريرته أصلح الله علاقته . لقد عرفوا حقيقة الدنيا فعاشوا فى قوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ نظر الله إليهم فى جوف الليل وأصلاهم منحنية على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بأية تبشر بالجنة بكى شوقاً إليها ، فإذا مر بأية تنذر من عذاب النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه .

لقاء غاضب

ما أشد غضب هؤلاء الذين هاجت عقارب البغضاء فى صدورهم فصدوا عن سبيل الله بعدما باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ما أشد غضبهم على أهل الحق وما أكثر أذاهم للذين

يؤدون الدعوة إلى الله على أنها رسالة يتفقون بها وجه الله مصداقا لقوله جل شأنه :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

ومصداقا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾ .

لم يجد الوعد والإغراء بالمال عادوا إلى عاداتهم وسيرتهم الأولى فكشروا عن أنياب الغضب وأوعدوا وهددوا ، وذات يوم صائف شديد القيقظ كأن فمسه أشرفت من بين الرمال لا من بين السحب ذهبت إلى ديوان الوزارة للتحقيق بناء على استدعاء وصلني وكان على رأس الدعوة شيخ فصيح اللسان ولكن قلبه لم يكن كفضاحة لسانه بل كان يخشى على كرسية ومررت عليه في الوزارة نيل أن أدخل على السيد المحقق وهو وكيل الوزارة مررت على الشيخ بصفته ممثلاً للدعوة وعرضت عليه أن يحضر هذا التحقيق ليكون حكماً بيني وبين هذا الإنسان الذي لا يعرف للعلم كرامة ولا للعلماء احتراماً ولكن الشيخ اعتذر عن الحضور بلباقة وتلك حتى يجامل الوكيل حرصاً على كرسية وهو الذي كثيراً ما سمعناه يصرخ على المنابر ويصيح كالأسد المصور نادياً بأعلى صوته قائلاً : إن الفضيلة تذهب .. إن الإسلام يحارب .. إن الباطل يهرم في عرصات الدنيا ، الكلام سهل والبلاغة مواتية والبيان والبديع .. والفصاحة والمعالى .. كلها بين يديه .. ولكن إذا نزل أحدهم ميدان التجربة اصفر وجهه وجلاً ، وفر من الميدان فراره من الأسد ، وهذا ما حلز منه صاحب الرسالة العصماء صلوات ربي وسلامه عليه في قوله : « أخوف ما أخاف على أمي منافق علم اللسان يجادل بالقرآن » .

مهما يكن من شيء فقد دخلت على المحقق وقد أحضر معه شيخين من شيوخ الأوقاف هما مكانة في إدارة الدعوة وكان السؤال هذه المرة .

هلنا نحتاج الإعلام ؟

وقت إن الإسلام لا يعرف الهجوم لأن الهجوم من صفة الباطل لكن الإسلام يعرف الدعوة إلى الحق وتصحيح المفاهيم المشرفة ، ولقد انعرف الإعلام عن سبيل الهدى ، واتباع غير سبيل المؤمنين ، فبدلاً من أن يكون عامل بناء صار معول هدم ، وهو سلاح له خطره ، حتى قل أحدهم أعطني شاشة أكبر بها شعياً ، وكان كارل ماركس يقول : لأتسبن الناس الله بالمرسح ولو كان في عصره الإعلام المرئي لكان أشد خطراً وأبعد أثراً في الفساد والإفساد .

فأى شيء في الدفاع عن الحق أو عندما يرفع أهل الباطل أصواتهم نستمع وننتصت فإذا

ما اتبرى لهم أهل الحق يؤذون ويستجوبون ؟!

أمن العدل انهم يردون ال ماء صفوا وأن يكذب وردى

أمن الحق أنهم يطلقون ال أسد منهم وأن تقيد أسدى؟!

وما أن فرغت من الإجابة حتى رأيت السيد المحقق يثور ويغور ويتوهج ويتأجج كأنه ليدع نهشته الثعابين أو لدغته العقارب فقلت له : أرجو أن تغير أسلوبك في التفاهم فقلت عبداً لك ، ولا لغيبك إنما عبوديتي لله وحده ، لا شريك له ولا أسمع لك أن تضرب على المكتب بيديك ، لأنني لست متبها وأنت البريء ، ولست منحرفاً وأنت المستقيم ، فأنا على حق ، لذلك فإني لا أخشاك ، وسوف أتركك عما قليل ، فاقض ما أنت قاض فالحكم لله العلى الكبير !

ونزلت هذه الكلمات عليه كأنها الصواعق خاصة وأن المكان كان به عدد غير قليل من العاملين بالوزارة فرجع إلى صوابه ، بعدما علم أنه سيقابل بكل ما يقور به برد حاسم ، وكعادة الباطل يرجع في الشدة إلى الاستشارة كما حدث من فرعون عندما قال لمن حوله : فماذا تأمرون ؟ ومتى كان يستشير أو يأتمر ؟! وهو الذي قال : ما أريكم إلا ما أرى وقال : أنا ربكم الأعلى وقال : ما علمت لكم من إله غيري ، ولكنه لما رأى العصا أمامه شعر بهزة عنيفة في عنفوانه وتخطيم وخزي داخل نفسه المستكبرة فرجع يستشير .

هكذا نظر السيد المحقق إلى الشيخين اللذين استدعاهما لحضور هذا اللقاء الغاضب وقال لأحدهما : ما رأى فضيلتكم في هذا الكلام الذي سمعته ؟ وكان يظن أن الرجل سيجماله ويؤيده ويصفه بالحكمة والحزم لكن الرجل بحق كان على مستوى المسئولية أمام الله فقال له : ما كان ينبغي أن يأخذ التحقيق دور المحصومة بينك وبين هذا الإمام الذي يدعو إلى الله على بصيرة !!

فبهت وخفت صوته وخياً جبروته فتوجه بالسؤال إلى الشيخ الثاني يستشيرته الرأي فقال له الشيخ : ومن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إذا لم يكن الدعوة إلى الله هكذا ؟!

ثم قال له إن الرجل لم يتجاوز حدود الرسالة ثم ساق له الحديث النبوي الشريف : « لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

واستطرد قائلا : لو وضعنا الأمور في نصابها وسمينا الأشياء بأسمائها لقدمنا لهذا الإمام
الشكر جزاء ما حمل عنا هذا العبء في الدعوة ؛ فإن الخير يجب أن يقابل بالخير ، هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان !!

ثم قام الشيخان وعانقاني ودعوا الله لي بالتوفيق والسداد وشعر ذلك المحقق بانطفاء في
قلبه وكأنه يجلس على الأشواك والخصي ، نظله سحابة دكناء ونجم محترق !!

لقاء عاصف

في يوم من أيام شهر أغسطس والشمس تضرب وجه الأرض بسياتها الحامية ، وقد
سال منها لعاب كامله يشوى الوجوه ، توجهت للتحقيق بدعوة من وزير الأوقاف وكان
شيخنا معهما ولما ذهبت إليه قيل لي : إنه قد سافر إلى مدينة الاسكندرية قلت سبحان الله قوم
تهب عليهم نسائم البحر تحمل في ثناياها فطرات الندى معطرة بأعراق الزهر وقوم يلمحهم
قيظ الهواجر من فيح جهنم لكن وكيل الوزارة أرسل إلى من يقول لي : إن السيد الوزير قد
كلفه بأن يحقق معي ودخلت للتحقيق وقد أحضر حوله بطاقة تؤيده فيما يقول وتؤمن على
كلامه .

وكانت التهمة الموجهة هذه المرة : إنني رددت على الذين أرادوا أن يعدلوا قوانين الله
في أحكام الأسرة والمتعلقه بالزواج والطلاق ولما بدأت أتحدث وأرد دخل في الحديث شخص
غريب على التحقيق وسألته ما شأنك ؟ فقال وكيل الوزارة ألا تدري من هذا ؟ إنه المسئول
عن الأمن في الوزارة فقلت : إن المسألة علمية لا تتعلق بالأمن إنما تتعلق بأحكام الله ولاشأن
له بذلك وكانت العاصفة كرماد اشتدت به الريح وأوعد وهدد كعادته ، وانصرفت من عنده
وأنا أعلم انه قد بيت شرا مستطيروا ولكن الله غالب على أمره .

عبدالحميد كشك

المجلد السادس

من كتاب

قصة أيامي

عبدالحميد كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

استدعاء بسبب القذافي

كان الخلاف محتدا بين حكومتى مصر وليبيا ، وكان بالطبع خلافا سياسيا وقد حدث
أن حاكم ليبيا تعرض للإسلام في أمور كان لا بد من الرد عليها ودفع به ذلك الجموح
أو جنوح إلى أن ينكر الاستدلال بالسنة النبوية الشريفة . ولقد سمعته بأذى رأسى عن طريق
الإذاعة يقول هذا الكلام الذى فيه استهانة بسنة خير الأنام ، بل لقد قال كلاما لا يليق
بصاحب الرسالة العصماء .. وكان لا بد أن يقول المنبر كلمته ؛ ليرد الحق إلى نصابه ، ويصل
الباص . ونوكره بخرمون .

وأنفقت خصبة بيئت فيها مكانة السنة من القرآن الكريم ، وأنها بمثابة المذكرة
التفسيرية لأيات الكتاب ، كما أنها تأتي مؤكدة لما فيه من معان ، كما تأتي مفصلة لما فيه من
مصق ... وكان ذلك كله بتوفيق من الله وفضله لكن الأمر الذى لم أكن أتوقعه أن يصلنى
استدعاء كالعادة ، وذهبت لأقف على حقيقة هذا الموضوع فكان الاستجواب خاصا بمهاجمة
شئى ؛ ماذا تهاجم العقيد ؟ فقلت : وأى شئ فى هذا ؟ إنه ليس هجوما كما تدعون
ويت هو دفاع عن الحق . لقد كان الأول بهذا السؤال أن يوجه إلى إعلامكم بمختلف قنونه

مقروءاً أو مرثياً أو مسموعاً أو معروضاً .. قالوا : ولكن تلك قنوات شرعية . قلت : بل على قنوات قانونية ، أما القنوات الشرعية فهي المنبر الذي ينطق بلسان الإسلام .

وعجبت : أحرام على بلبله الدوح حلال لتضير من كل جنس ؟

أو كما يقول القائل :

إذا قلت يا ليل استلتم سيوفكم وإن قتم يا هند استجبم نداءي

أ إذا قال غبري ترددون قوله بشنى اللغات ، فإذا نطق الإسلام ونطقه الحق وقوله الصدق يوضع في قصص الأهم ويكتل بالقيود ولأغلال : ما لكم كيف تحكمون أفلا تدركون ؟ أم لكم سلطان ميين فأتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين .

لكنني علمت أنها سياسة الذئب مع الحمل ، ورددت قول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

أمن العدل أنهم يردون الـ ماء صفواً وأن يكدر وودي ؟؟

أمن الحق أنهم يظفون الـ أسد منهم وأن تُفقد أسدى ؟؟

عالم يخشى الله

ذلكم هو الشهيد الشيخ محمد حسين السبي ، تولى وزارة الأوقاف وفوجئت بعد توليته الوزارة بأنه يطلبني للقاء به في الوزارة وذهبت إلى هناك وفي نفسي أفكار وأفكار : إن الرجل لم يمض على توليته إلا وقت قليل : فهل استطاع انغرضون أن يعكروا ليضطادوا وأن يسعوا بالوقعة بيني وبينه ؟ لكنني لما تفتيت به رأيت فيه الشهامة والرجولة وكرم الأخلاق ، فما أن علم الرجل بقدمي عليه حتى قام إلى باب غرفة المكتب واستقبلني بخفاوة تدل على أن العلم رحم بين أهله ، وأن الإيمان هو خير مؤلف للقلوب . قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وأخذنا تتجاذب أطراف الحديث فيما بيننا ، ونفسه - الله على أنه ما جاء في إليه إلا لأنه ذهب إلى المسجد يوم الجمعة لينفاني هناك لكن لشدة الزحام وضيق المكان لم يجد مكاناً يصل فيه ، فصنئ على درج السلم . وكان اللقاء طيباً مشعراً ، فقد كان يدور حول منبر الدعوة إلى الله ، ويبان الخطوط الأساسية لهذا المنبر ، وأهم الصفات التي يجب أن يتحلل بها الداعية . والأمر الذي جعلني أشهد لهذا الرجل بالشهامة أن حرس المانف دق في مكتبه وكان يتحدث من مجلس الوزراء ، واهتمت من الحديث به بقول : إن مجلس الوزراء قد اجتمع

فعلبك بالحضور ، ورد الرجل بصرامة لا تنقصها الصراحة وقال : إنني في مقابلة مع الشيخ كشك ، ولا أستطيع أن أحضر حتى تم تلك المقابلة ، ورأيت من الواجب أن أستأذن .. ولما هممت بالانصراف وقف الرجل مودعاً واستغرق في الوداع وقتاً وصلنا فيه من الحديث ما كان قد انقطع ، وكأنه لا يريد لهذا اللقاء أن ينقضي لولا الضرورة . وسألني الرجل الدعاء فدعوت الله له أن يكثر من أمثاله ، فأمثاله قليل ، فالرجولة عملة نادرة والرجال قليل .

جامعة المنيا

فوجئت بالسادات يهاجمني في أجهزة الإعلام ويقول في كلماته وباللغة العامية والأحضر من كدة إنهم استدعوا الشيخ كشك ولما لم يحضر قاموا بالمظاهرات ثم حتم هذا الكلام بكلمة تتفاخر سما وحيثاً كأنها فحيح الأفاعي . قال : « وانتم عارفين الشيخ كشك بعمله به ، وليته بين ماذا أعمل . إن عمل - والله تعالى مزهد الحمد - كان لله ، وفي الله ، ومع الله ، وبالله . ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَعِبَادِي وَمِمَّا قَدْ رَبَّ الْعَالَمِينَ لِأَشْرِكُ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ . ليته وضح ماذا أعمل ، لكنه ترك العبارة هكذا مبهمه ، لتذهب فيها النفس كل مذهب ، ولكن بحمد الله كنت أؤدي عمل والشمس طالعة ، وعلى مرأى وسميع من الناس . فماذا كنت أعمل ؟! إن الذين يحاولون أن يثيروا الشراب على السماء فسوف يثيرونه على أنفسهم ، وتبقى السماء هي السماء ضاحكة السن بسامة الهيا ، لقد أثارت تلك الكلمة التي فاها يخافون الناس عنى . وظنوا أنني لا محالة سأعتقل عما قريب ، وأردت أن أبعث نكت الوسواس عن صدور الناس ، فكان ذلك يوم الجمعة فقد خصصت الخطبة يومها على الثبات على المبدأ . وعشت فيها بين نبين كريمين ، عشت فيها مع خليل الرحمن إبراهيم عندما أشعلوا له النار ، واندلعت أستبا تبتك حجاب الليل ، وجاءه الأمين جبريل وقال له : ألك حاجة إلى يا خليل الرحمن ؟ فقال : وكيف أحتاج إليك وأنسى الذي أرسلت ؟ أنا في حاجة إلى الله وحده . قال له جبريل : إذن فاسأله . قال الخليل : حسبي بسؤال علمه بحال . حسبي لله ونعم الوكيل .. وكان الخليل يردد هذه الكلمة عندما أتقى في النار ، فهي أمان الخائف .. لم بعد ذلك استشهدت بموقف رسول الله ﷺ عندما طلب منه عبه أبو طالب أن يدع هؤلاء القوم وشأنهم فاغرورقت عيناه بالدمع ، وقال كلمته التي سارت بها الركبان ما تعاقب الملوان واختلف جديدان . قال : يا عمي . والله لو وضعوا الشمس في

بيني والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه . فقال له عنه أبطالب : يا بن أخى قل ما شئت فوالله لا أسلمك إليهم أبدا ثم أنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

استدعاء من وزارة الداخلية

استدعاني النبوى إسماعيل وزير الداخلية ، وذهبت إلى مبنى الوزارة وأخذ يذكر لي ما حدث في جامعة المنيا ، وهو الموضوع الذى ذكره السادات في خطابه وأجبرني بأن الجامعة أرادت أن تقيم حفلا ساهرا يقوم فيه بعض الضربين بالغناء ، ولكن الطلبة المتدينين رفضوا إقامة هذا الحفل وقاموا بطبع إعلانات كتبوا فيها أن الشيخ كشك سيحضر إلى الجامعة لإلقاء محاضرة دينية . ثم أضاف الوزير قائلا : ونظرا لك من رصيد في قلوب الناس فقد اجتمعت حشود غفيرة وتوافدت الكتل البشرية من جميع محافظات الصعيد على مبنى الجامعة ، فقام بعض الطلبة وأعلن أن الشيخ كشك كان في طريقه إلينا لإلقاء محاضرته ، ولكن رجال الأمن منعه فانسحب الموقف وطافت نظاهرات بشوارع المدينة ، ورفعت التقارير إلى رئيس الجمهورية بما حدث ، فقلت : ونكى لم أعصم بشيء من هذا ؟ فلم توجه إلي دعوة ، ولم أسافر ، ولم أمتنع ، فكيف تكتب عنى هذه التقارير دون أى علم منى بما حدث ؟ والله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ . فقال لي النبوى إسماعيل : « إنى من جهتي سأقوم بتصحيح ما حدث لدى رئيس الجمهورية .. وعلمت أنه كلام لا مضمون له إلا أنه يقصد به تهذئة الحواظر ، وانصرفت وأنا أردد هذه الكلمات : « حسى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » فقد استقر في بىنى أن هناك شرأً بُيئت إذ كيف يحدث هذا الذى كُتبت عنه التقارير دون أن يعلم صاحب الشأن شيئا عنه ؟ إن هذا لشيء يُراد . لقد بلغ من المأساة أن يقول السادات عنى ما نيس له به علم . أليس من الخطأ الجسيم أن يقول إنسان ما لا يعلم ؟ وأن يُعلم قبل أن يتعلم . ولا يخاف أن يأثم وإذا أثم لا يتدم . سبحانك هذا بهتان عظيم !! وكم في السجن من مضمومين وكم في هذه الأرض من ظالمين وسبحان من سيقول للمظلوم يوم القيامة : أيها المضموم تقدم . ويقول للظالم : أيها الظالم لا تتكلم ، « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » . سبحانك ربى يا صاحب العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، يا من تقول للطغاة يوم حساب : « هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيدون » .

فيا بن آدم :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تتام عينك والمظلوم منتهى يدعو عليك وعين الله لم تتم

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من دخول القبر :

غدا توفى النفوس ما كتبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا قبيس ما صنعوا

دعوة من وزير الإعلام

في يوم من أيام شهر رمضان حمل البريد إلي خطابا كُتب عليه « عاجل وهام » فوضعت في مكتبتي بالمسجد وذلك لاشتغالي بشئون المسلمين الذين جاءوا يستفتون في مسائل تتعلق بالأحكام الشرعية ، وأنساني الله أن أفتح هذا الخطاب لأعرف ما فيه ، وكان الله تعالى في ذلك حكمة بالغة ، إذ بعد أيام من استلام الخطاب تذكرته ولما قرئ على عرف أن فيه دعوة موجهة من وزير الإعلام إلى الدعاة الإسلاميين لحضور اجتماع مع رئيس الجمهورية في استراحتهم بمدينة الإسماعيلية وأراد الله أن أفتح الخطاب بعد فوات الموعد ، وكان الحق جل جلاله أراد أن يكفينى مؤنة التفكير في قبول الذهاب أو الرفض فهو سبحانه وتعالى يعلم أنتى لا أحب التردد على هؤلاء ، ولا مجالستهم « إذا رأيت العالم يغشى بيوت الأمراء فاتهموه في دينه » . وكان عبدالله بن عمر يقول : « لا تجمعنوا ظهورنا جسورا إلى جهنم » . وكان الإمام ابن الجوزى رضى الله عنه يقول : « إنى لأظن طول الليل أنقلب في فراشى أبحث عن كلمة أَرْضى بها السلطان ولا أغضب بها الله فلا أجد » .

لقد أراد الله خيرا عندما أنساني أن أفتح ذلك الخطاب وشغلنى بأمر المسلمين ، فقد عُقد الاجتماع بين بعض الدعاة وأنور السادات وكان ذلك ليلة القدر عام ١٢٩٩ من الهجرة - ١٩٧٩ ميلادية . وقد حدث صدام بين السادات وبين الأستاذ عمر التلمسانى قال فيه الأستاذ عمر للسادات : « لو كان بينى وبين أحد الناس خصومة لرفعتها إليك ، أما والخصومة بينى وبينك فإننى أشكوك إلى الله فقال له السادات : اسحب شكواك يا عمر ، فقال له : لا أسحبها لأننى أشكوك إلى عادل لا يظلم عنده أحد .

وكان هذه الكلمة وقع عظيم في قلوب أهل الحق لأنها كلمة حق عند سلطان جائر ، فإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه فقد يُودع منهم .. قال ﷺ : « لتأمرون بالعرف و لتنهون عن المنكر ، وإلا ليسلطن الله عليكم شراكم ، فيدعو خياركم

זהו שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

הוא שם קטן וקטן שם זהו שם קטן וקטן

وعتبت بتلك المؤسسات الأسرة والمسجد والمدرسة والإعلام بأجهزته مقرّواً ومسموعاً ومرتبياً ومعمّواً . فإن هذه المؤسسات إذا تم التنسيق بينها آتت أكلها ولم تنظم منه شيئاً ، وذلك إذا قامت على بناء النفوس بناءً أساسه القيم الأخلاقية والمثل العليا .. وأسألوا التاريخ عن مسجد رسول الله الذي تخرج فيه أساتذة الأخلاق وأساطين الفكر وجهابذة الإصلاح .. أسألوا التاريخ عن المصلح العظيم أبي بكر ، والزعيم الملهم عمر ، والحسين الكريم عثمان ، والعبقري الفدعلى ، والمفتى الحبير ابن عمر والمحدث العظيم أبى هريرة والقائد الجبار خالد ، والزاهد الورع أبى ذر ، والفيلسوف البارع سلمان الفارسي .

ماذا قال لى شيخ الأزهر ؟

بعد أن انتهى الاجتماع وحسمت بالانصراف ، أخذ شيخ الأزهر بيدي إلى مكتبه وقال لى : لماذا أغضبت الرئيس منك ؟ قلت له : لا أدري وأريد أن توضح الأمر لى ، فقال : لماذا لم تذهب إلى الاجتماع الذى دعاك إليه فى الإسماعيلية فى رمضان ؟ فقلت له : لأن الله أراد ألا أحضر . وشرحت له : كيف نسيت أن أفتح الخطاب حتى نسيت الموعد المضروب واستشهدت بذلك الحديث القدسي الجليل : « عهدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد . فإن سلّمت لى فيما أريد كفتيك ما تريد وإن لم تسلّم لى فيما أريد أتعتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد » .

ثم سألت الشيخ : وما الذى أعلم فضيلتكم أنه غاضب منى ؟ قال : لقد كنت أجلس عن يمينه وقد سألت وزير الإعلام وقال له : أم يحضر ؟ فقال له الوزير : نعم لم يحضر . فهزأ الرئيس رأسه غضباً . قلت له : يا فضيلة الشيخ ولماذا لم تحاول أن تقول كلمة تطفىء بها غضب القلوب ؟ فقال : إنك تستطيع أن تقدم الآن اعتذار عما حدث . فقلت له : وهل أخطأت حتى أعتذر ؟ فقال : ألا تعلم أننا نعيش فى ظل الرئيس ورعايته ؟ فقلت له بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : إن ولئى الله الذى نزل الكتاب وهو يتوفى الصالحين . وألقت السلام وانصرفت وأنا أردد آية الكرسي التى اشتملت على الجلال والكمال والجمال ووصف الله تعالى بالحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، ووصفه بالعزى العظيم . فهذا هو الذى نعش فى رعايته وعنايته وخبره ورزقه . يرحم الله شيخ الأزهر فقد لحق بالدار الآخرة وعلم أن ما عند الله خير وأبقى . ولكن أذلّ الحمرص أعناق الرجال .

تأخّر لو عاش الفتى فى دهره ألفاً من الأعوام مالك أمره
مطئذاً فيها بكل نيسة متعمماً فيها بنعمى عصره
لا يحتره السقم فيها مرة كلا ولا ترد المصوم بهاله

ما كان هذا كله لى أن يقى بيته أول ليلة لى قسره

قال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه لتقى الدين الحسن البصرى : يا حسن عظمى وأوجز . قال : يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا وأفطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صباحها يوم القيامة . وقد قيل للحسن رضى الله عنه : يا تقى الدين ما سر زهدك فى الدنيا ؟ فقال : زهدت فى الدنيا لأربعة أسباب : علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فأطمأن قلى . وعلمت أن عملى لا يقوى به سوى فاشتغلت به . وعلمت أن الله مطلع على فاستحييت أن يراى على معصية . وعلمت أن الموت ينتظر لى فأعددت الزاد للقاء الله تعالى .

يا ابن آدم :

لا تخضعن مخلوق على طمع
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة
فلا تصاحب غيباً تستعزبه
واسترزق الله مما فى خزائنه
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

استمع أخى إلى تلك النصائح النبوية :

عليك بالإفلاس بما فى أيدى الناس وأذ صلاتك وأنت مودع وإيّاك والطمع فإنه الفقر
الحاضر ، وإيّاك وما يُمتلئ منه وأعلم يا أخى أنه من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح سائحاً
على ربه ، ومن شكوا مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل ومن قعد إلى غنى لبنان من ماله
فقد ذهب ثلثا دينه .

دياك ساعات سراع الزوال وإثما العقبى خلوسد المأل
فهل تبسح الخلد يا غافلاً وتشترى دنيا المنى والضلال

لدنيا ساعة فاجعلها طاعة . النفس طاعة عودها القناعة

فتن ومحسن

فى سنة ١٩٨١ تلبدت السماء بالغيوم وغابت الشمس واكفهر الأفق وذلك عندما وقع
صدم بين المسلمين والنصارى على أرض مسجد الندير فى حى الزاوية الحمراء لى ١٧ يونيو
١٩٨١ . وسالت دماء وتحركت عواصف الفتن وأندلر الجو بأوحى العواقب .

كنت في تلك الأيام في إجازة سنوية ، ولما ترامت إلى سمي تلك الأنباء قلت إن هذا لشيء بُرء ، وسألت ربي اللطيف فيما جرت به المقادير فقد كانت كل الأحداث تشير إلى أن هناك أمورا خطيرة ستقع ، واستأنفت الخطابة يوم الجمعة ٢٦ يونيو ١٩٨١ ، وكنا على مشارف شهر رمضان ، ودعوت المسلمين إلى اليقظة التامة ، وأن يكونوا على مستوى المسئولية ، وألا يُسترجعوا إلى معارك جانبية يكون وراءها شر مستطير ، فإن معظم النار من مستصغر الشرر ، وذكرت أن هناك قوما يعكرون ليصطادوا ، وذكرتهم بأحداث حصلت في التاريخ ، استطاع اليهود أن يثيروها وينفخوا في نارها .

وتحركات الأحداث .. وبعد أن انقضى رمضان فوجئت بتحقيقات موجهة إلى لم يسبق لها مثيل . فقد كان التحقيق يدور حول خطبة واحدة ، ولكنه هذه المرة ، دار حول عشر خطب مرة واحدة وقضيت الساعات الطوال بين سؤال وجواب . وكان من أغرب الأسئلة : لماذا لم تذهب إلى مكان الفتنة لتلقى كلمة بين المتصارعين ولقد كنت ساعتها في إجازة قضيتها في بلدي ، فماذا كنت أبصع ولم تصلني أخبار المعركة إلا بعد أن هدأت ؟ ولما استأنفت الخطابة ، وجهت المسلمين إلى ما يرضى الله ورسوله بعيدا عن كل غرض دنيوي دنيء .. ولكنني شمت رائحة الشر نفسد الهواء النقي وتعكر الماء الحبيب .

وبعد انتهاء هذا التحقيق بأهام قلائل جاءت استدعاء من وزارة الداخلية سئلت فيه عن أمر لم يخطر لي على بال : قال لي المحقق : هل ذهبت منذ أيام إلى أسوان ، وألقيت محاضرة دينية بها ؟ قلت : إن كان ذلك قد حدث فقد علمته ، إنني لم أذهب إلى هناك وبالتالي لم أحاضر . ثم سئلت : ما هو المنهج الذي تسير عليه في دعوتك ؟ وأجبت : إنني أستمد منهجى من كتاب الله وسنة رسوله ، ففيهما المنهج الكامل الذى ينظم أصول العقائد وشعائر العبادات ، وشرائع المعاملات ، ومناهج السلوك ، ومبادئ الأحكام ، وقواعد النظام . قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ . وقال ﷺ : « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ وقال صلوات ربي وسلامه عليه : لقد جتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان أخى موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي .

وانتهى التحقيق ثم انصرفت .. وبعد أيام استدعاني النبوي سماويل ليقرأ عليّ شكوى قدّمت ضدى ، وبعد أن انتهى من قراءتها على مسامعى سألته : هل وقع عليها كاتبها ؟ قال : نعم .. قلت : فما اسم صاحبها ؟ فذكر لي اسم أحد كبار المشايخ . قلت : إن كان ذلك كذلك ، فليس فيما كتبه تهمة تُوجه إلى إلا كما يقول القائل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتاب

ثم قلت : إن ما احتوته تلك الشكوى إن دل على شيء فإنما يدل على أن صاحبها قد هاجت عقارب البغضاء في صدره ، وتحركت ثعابين الحقد في قلبه ، وأسأل الله له الشفاء من الحسد فهو الداء العضل ...

وانتهى التحقيق وانصرفت ، ولكنني كنت أتوقع أن الأمر ليس أمر شكوى تُقدّم من حاقد أو تهمة يختلقها حاقد . لقد كنت : أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له أوار . فقد بدأت الصحف المالية للحكومة تُصعد من نبرة التهديد بالاعتقال والوعيد للمستمسكين بالدين ، وسلّمت الأمر لصاحب الأمر مرددا قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .. فتحن عبيده ، والوجود ملكه ، والقضاء حكمته ، وكل الكائنات طوع إرادته .. لقد تنزه عن الشريك ذاته وتقدست عن مشابهة الأعيار صفاته ، بالبر معروف ، وبالإحسان موصوف ، معروف بلا غاية ، وموصوف بلا هاية ، واحد لا من قلة وموجود لا من علة . كل شيء قائم به ، وكل شيء خاشع له . عز كل ذليل ، وغنى كل فقير وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف ، واحد بلا عدد وقائم بلا عمد ، ودائم بلا أمد ، علا فقهر ، وبطن فخير ، وملك فقدر لا يشغله سائل ، ولا يقصه نائل ، من تكلم سمع نطقه ، ومن سكت علم سره ، ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاله منقلبه . ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون والله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

دع الأقدار تفعل ما تشاء	وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي	فما حوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا	وشيمتك السماحة والوفاء
يُعطي بالسماحة كل عيب	وكم عيب يغطي الوفاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا	فلا أرض تقيسه ولا سما
وأرض الله واسعة ولكن	إذا نزل القضاء طاق القضاء

سبحانك رب أدعوك إذا ما احتدمت اخن ، فأجد في رحابك السكينة والطمأنينة :

يارب جيك في دمي وكياني	نور أغرّ يذوب في وجداني
أنا لا أضام وفي رحابك عصمتي	أنا لا أخاف وفي رضاك أمانى

أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والساعة حق والجنة حق والنار حق ، والنيون حق ، ومحمد حق .. اللهم لك خاصمت ، وبك حاكمت وعليك توكلت واليك أتيت ، فاعفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي ولا إله إلا أنت .

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
إن كان أهل التقى فازوا بما عملوا فمن يجود على العاصين بالكرم

أدعوك بما دعاك به نبيك محمد ﷺ يوم الطائف ، وقد تكالبت عليه قوى الشر من كل ناحية ، فما وهن وما استكان وما ضعف فقد سالت منه الدماء الزاكية عند ما رماه الصبية والسفهاء بالحجارة ، أخذ يردد تلك الكلمات التي تكاد السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض لهولها ونحر الجبال هدا لجلالها : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إني من تكلني : إني يعيد بتجهمني أم إني عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل في غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قل جلال الله إذ يقول : ﴿ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يظعم ولا يطعم . قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ .

إلهنا ما أعظمك :

ما منسى قدر بكره أوزنا إلا اهتديت به إليك طريقا
أمضى القضاء على الرضا منى به إني عرفتك في البلاء ريفيا

الخطبة رقم ٤٢٥

في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر أغسطس ١٩٨١ صعدت المنبر وكنت أشعر وأنا أصعد درجة بسخونة الأحداث وارتفاع درجة حرارتها ، فقد كان كل شيء ينذر بوقوع أشياء حسيمة وخظيرة ورأيتني في مقدمة الخطبة أصرخ بأعلى صوتي قائلا : اتق الله أيها نظام ، فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من دخول القبر . إذا غرتك قوتك فانظر إلى قوة العزيز الجبار من فوقك . اتق الله فالبر لا يبلى . اتق الله فالسب لا يبسى . اتق الله فالديان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين ثدان .

يا نامم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يأتين أسحارا

وظنت أردد كلمات فيها الوعيد للظالمين ، وكأني كنت ألقى خطبة الوداع : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهضعين مقنعى رءوسهم . لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب . فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبوع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال . فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله . إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار وترى الجحرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران ، وشفى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ .

لقد تحدثت في هذه الخطبة عن العدالة الاجتماعية في الإسلام . واستشهدت على ذلك بعصر الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز الرجل الذي كان يخاف الله مخافة من يعتقد أن النار لا تحق إلا له وحده ، وكان يقول : لو أن مناديا نادى يوم القيامة كل الناس يدخلون الجنة إلا واحدا خشيت أن أكون أنا ذلك الواحد . ولقد ذكرت أن الركاة جمعت في عصر عمر بن عبدالعزيز فلم يجد فقيرا أو مسكينا يأخذها ، وكان أرحام الدوة عفت أن تلد مسكينا وحدا فأصدر قرارا إسلاميا يقبض رحمة وأمنا وطمأنينة وسكينة ويشع نورا وبهاء وسنا

وضياء قال فيه : « أيما شاب أراد الزواج فزواجه في بيت مال المسلمين » فزوج الشباب وبقي من المال شيء كثير وأصدر قراره الثاني الذي يقضى بأداء الدين عن المدنيين فأدّى الديون من بيت مال المسلمين ، وبقي من المال شيء كثير .. فأصدر قراره الثالث : « إيما عبد كاتبه سيده فأداء ذلك في بيت مال المسلمين » فأعتق العبيد ، وبقي من المال شيء كثير .. ذلكم هو عمر بن عبدالعزيز الذي سأل عامله على مصر : كيف تركت الناس ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت الناس وغنيتهم موفور وفقيرهم مجبور وظالمهم مقهور ومظلومهم منصور .. لقد وسع عدلك جميع الناس ذلكم هو عمر الذي كان في عصره يرعى الذئب الغنم ، وسئل في ذلك ، فقال : أخلصت ما بيني وبين ربي ، فأخلص الله ما بين الذئب والغنم .. وما علم الرعاة بموته إلا عندما رأوا الذئب يأكل الغنم .

خُملت أمرا عظيما فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمر

إن الإسلام بعدائه قد وسع الناس أجمعين ، وبرحمته ألف بين قلوب المؤمنين ، ولو عدد إلى ينابيع الصافية ونهلنا من منبه العذب المورود ، ما كان بيننا جناح ولا عريان ولا مقبون ولا مهضوم ، ولأفترت الجفون من المدامع ولاطمأت الجيوب في المضاجع ، ونحت الرحمة الشفاء من المجتمع ، كما يحمو نور الصبح مداد الظلام ، إنه الإسلام الذي يقول بلسان حبه ومقاله : « أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء ، وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

ولله لو أكرمنا كتاب الله ما أهانا أحد ، ولو طبقنا أحكامه لرفرفت راية الحبيب محمد على كل بلد ، ولو اتبعنا هدى الله ما رأيت في الطريق سائلا ولا في البيوت عاضلا ولا في السجون قاتلا . ألم يقل نبي الرحمة : « من كان لنا عاملا وليس له مسكن . فليتخذ له مسكنا . ومن كان لنا عاملا وليس له دابة فليصخذ له دابة . ومن كان لنا عاملا وليس له زوجة فليتخذ له زوجة » .. هناك عدالة أرحب أفقا وأشمل رحمة من تلك العدالة . لسا في حاجة إلى أن نغرب الشرق أو الغرب والله ينادى علينا ويقول : ﴿ فأين تذهبون . إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ ألم يقل نبي الإسلام : « من كان أخوه يعمل تحت يده فليظمه مما يطعمه وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوه من العمل ما لا يطيقون ، فإذا كلفتموهم فأعيرهم » .

وختمت الخطبة وصليت الجمعة ، وألقيت الدرس بعد الصلاة وانصرفت .. ولم أكن أدرى أن هذه آخر خطبة وأن هناك نيات بيئها الحاكم ، وأن الرياح قد تآتى بما لا تشتهي السفن ولكن الإيمان يهون دونه كل شيء ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيدورها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ﴾ . ولن يصح إلا الصحيح ﴿ فأما الزبد

فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ . إن الله لا يجعل كعجته أحدكم ، إن الله يعلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته « افرعوا إن شئتم : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ﴾ .

صدقت ربنا وبلغ رسولك ، فالحرام لا يدوم وإذا دام لا ينفع والظلم لا يتوهم ، وإذا

دام دمر .

وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

والناس لو تحولوا إلى كناسين لثيروا التراب على السماء فلسوف يثيرونه على أنفسهم ويشفى السماء هي السماء ضاحكة السن بسامة اخيا .

إن الجواهر في التراب جواهر والأسد في قفص الحديد أسود

فلا أمان للدهر ولو صفا ، ولا أمان للمال ولو كثر ، ولا أمان للسلطان ولو قرب منك ، ولا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت ، ولا راد لقضاء الله ، ولا معقب لحكمه ، ولا راحة إلا بعد لقاء الله .

يا باري الكوث في عز وتمكين وكل شيء جرى بالكاف والنون

يا من لطفت بحالي قبل تكويني لا تجعل النار يوم الحشر تكويني

ليلة القبض

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والشروات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

﴿ أم حسبت أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم اليأس والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ .

﴿ أم حسبت أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ .

﴿ ولنبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ .

﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ .

صدق الله وبلغ رسوله ونحن على ذلك من الشاهدين أشدكم بلاء الأنبياء ثم الصالحون
ثم الأمتل فالأمتل .

يتلى المرء على قدر دينه

ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب إلا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة
يشاكها وصبر عليها إلا كفر الله بها من خطاياها .

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

﴿ ولئن صبرتم فهو خير للصابرين ﴾

﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون إن الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على
الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾

﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين ﴾

﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا فأوحى
إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكنكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه
ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

ما أعدل حكم الله وما أسرع حسابه وما أحكم فضائه وهل أهلك هؤلاء إلا لما قالت
ثم رسوله ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن
نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

صليت العشاء يوم الأربعاء لثاني من شهر سبتمبر ١٩٨١ واستمعت إلى أسئلة
المصلين وكنت كعادتي آخر من يصرف من المسجد وذهبت إلى بيتي وأخذت أدرس العلم
وأمل بعض الموضوعات في كتاب قمت بتأليفها، وقد جعلت يوم الأربعاء موعداً للإملاء وبعد
أن انصرف أخى وصديقي عبدالرحمن لزيته الذي كان يقوم بالكتابة ذهبت لأنام وكان بجانبى
طفلي (مصطفى) الذي بلغ الثالثة من عمره وأخذ كعادته يمضغني بوابل من الأستنة حتى

قلت له يا (مصطفى) لقد حان الوقت لننام فقد أوشكت دقائق الساعة أن تعلن الثانية .
قبل الفجر وما أن قرأت أذكر النوم . اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ،
وفوضت أمري إليك وأجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك
إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت .. ما أن فرغت من قراءة هذا
الدعاء وقرأت قوله تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد
هدانا سبيلنا ولنصبرن على ما آذيتنونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ .

ما أن فرغت من قراءة هذه الآثار الكريمة والآيات المباركة حتى سمعنا صوت أقدام
تكاد تلك سلم البيت دكا حتى كأن أصواتها أصوات جند يقتحمون موقعا حصينا وعلمت
منذ الوهلة الأولى أنه بلاء قد وقع سألت الله أن يلهمني الصبر عليه وسرعان ما سمعت بالباب
طرقات عفيفة تكاد تصح الأذان صخاً وفتحت الباب وإذا هجوم عيب بعدد كبير من الجند
وقد دخلوا البيت وأخذ كل موقعه في أرض المعركة دخلوا على سبعة أطفال فأفزعوهم
وأقلقوهم وكانت ساعات رهيبية كأنها الشدائد التي تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها .

كأن الشمس قد كورت والنجوم قد انكدرت والجبال قد سبرت وكان السماء قد
انفطرت والكواكب قد انتثرت ، والبحار قد فجرت والقبور قد بعثت !!

وكانه قد نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض لذلك علمنا الرسول
أن نستعبد بالله من كل طارق يطرق بليل إلا طارقا يطرق بخير وهذا دعاء يعرف قيمته من
ابتلى بأحداث الليالي ورأيتني أتشيت بلطف الله بمن وجد الله فماذا فقد ؟ ومن كان الله معه
فمن عليه ؟

وإذا بليت من الزمان بشدة وأصابتك الأمر الأشق الأصب

فاضرع لربك إنسه أدنى لمن يدعو من جبل الوريد أو قرب

ولقد أمرت بأن أرتدي ثيابي للذهاب معهم فمجلت بذلك حتى لا أترك لأهل لحظة
للبياء والحزن العميق ، وأخلوني بينهم ، وذكرت ساعتها ساعة رحيل الإنسان من الدنيا إلى
الأخرة وقد ترك كل شيء وراء ظهره ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركم
ما خلقناكم وراء ظهوركم ﴾ ذكرت ساعة ترفرف الروح على نيش الميت وتنادى بأهل
يا أبنائي لا تلعن بكم الدنيا كما لعبت بنا وبرحم الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو
يقول للدنيا : يا دنيا غري غيري إلي تعرضت أم لي تشوقت هيات هيات !! لقد
ظلفتك ثلاثاً لا رجعة فيا فعمرتك قصير وخطرك حقيق آه من قنة الزاد وبعد السفر ووحشة

الطريق !! ويرحمه الله عندما وقف بين سكان المقابر يقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لا حقون أنتم فرطنا إلى الجنة ، ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية بأهل المقابر إن بيوتكم قد سكنت وأموالكم قد قسمت ونساءكم قد تزوجت بغيركم هذا خير ما عندنا فما غير ما عندكم ثم انصت قليلا وقال من حوله : لو شاء الله لهم أن يتكلموا لقالوا إن خير الزاد التقوى !

ما أشبه هذه الساعة التي خطفت فيها من بين أضغالي السبعة وجذبت بعنف من قوم غلاظ شداد لو وزعت قسوة قلب واحد منهم على أهل الأرض ما بقى للرحمة سبيل إلى قلب إنسان ممن يسكنون تلك المعبرة لقد أتونا بغته دون ما مقدمات ، ولو أنهم أرسلوا إلى بالحضور إليهم ما امتنعت لحظة فكثيرا ما أرسلوا وذهبت وما تأخرت إن الذي كان له أسوأ الوجود في قلبى توديع هؤلاء الأفعال الذين بانوا يشكوب لربهم ظلم العباد وقد أحرى صاحب القلب الرحيم والخلق العظيم محمد صلوات ربي وسلامه عليه قتل : « من رذع مؤمنا فليس منا ، وقال : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا ، وقد فتح الله أبواب النار لتدخلها امرأة بسبب هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا . وفتح الله أبواب الجنة لرجل كان عاصيا ، لكنه نزل بئرا فشرب منها فوجد كلبا يلهث الثرى فقال ندى بلغ هذا مثل الذي بيع في فعلا له خفه ماء وسقاه فشكر الله له صنيعه فغفر له فأدخله الجنة ، فهل من مذكر ؟ فهل من معتبر ؟ ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

والليالي من الزمان حياى متقلات بلدن كل عجيبا

إن خروج الإنسان من بين أهله بغته ودون مقدمات في ساعة متأخرة من الليل وقد هدأت العيون ونامت الطيور ل أوكرها وهجعت الخفون وأغنقت الملوك أبوابها ولم يبق سوى باب الله إن هذه الساعة تدفع الإنسان دفعا أن يستعد في كل لحظة وحين للقاء الواحد الديان .

تزدود من التقوى فإنك لا تدري
فكم من فنى أمسى وأصبح ضاحكاً
وكم من عروس زينو ما لزوجها
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم
وكم من صحيح مات من غير علة
وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

إلى أين

حملت في سيارة بين الحرس المسلح وكأننى مجرم حرب أو هارب من وجه العدالة وأخذت أقرأ « يس » فقال لي الحرس لا تحسبن علينا فنحن ننفذ الأوامر ووجدت ألا أنشغل عن قرءة القرآن بالرد عليهم فقد أسلمت كيافى كله لمن بيده الأمر وأنا لا أدري من هؤلاء الذين أجدنى بينهم كما لا أدري إلى أين يذهبون في ولماذا ؟ وما المصير ؟ ووضعت كل الاحتفالات بين يدي وتذكرت قوله جل جلاله : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ وتذكرت قول القائل :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعي !!

إن اليقين في الله يريح النفس ويطمئن القلب والإيمان سكينه إذا تمكنت من شغاف القلوب تكاد تجعل الاستئجيل ممكنا والملح الأجاج عذبا فراناً سلسيلا وما قدر لفكيك أن تمضغاه فلا بد أن تمضغاه فامضغه بعزة والمؤمن القوى هو الذى يفوض الأمر لله عند الشدائد .

كن عن همومك معرضا وكل الأمور الى القضا
وانعم بطول سلامة تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق وربما ضاق القضا
ولرب أمر مسخط لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعصرا

وقفت بنا السيارة أمام مكان علمت فيما بعد أنه قسم الوايلى وجلست وحدى في مكان شديد الحرارة أغلقت أبوابه ونوافذه وتصيب الجبين عرقاً غزيراً وفتح الباب بعد ساعة ليدخل على أفراد عرفت بعضهم ولم أتشرف بمعرفة الآخرين .

وكان من بينهم فضيلة الأخ « عبدالمتعال الجابرى » والحاج « حسن أحمد عيسى عاشور » وأفراد آخرون اختلفت أعمارهم كان معظمهم من الشباب الذى ضبط متلبساً بصلاة الفجر وتحركت الساعات وصلينا الفجر وأحضرت لنا سيارة ذهبت بنا إلى مكان كنا نحن أول داخله لند تجاذبنا أطراف الحديث فيما بيننا ما الذى جمع بين هذه الأفراد قوم متدينون وآخرون سياسيون شباب وشيب ولكن كانت نهاية المطاف إن الأمر لله وحده ، وغداً تبين الحقائق وينجلي الغموض ، فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما

طال فلا بد من دخول القبر ﴿ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سحروا منه قال إن تسحروا منا فلإنا نسخر منكم كما تسبحون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويغل عليه عذاب مقيم ﴾ نعم إن سفينة نوح هي النجاة وسيظل الإسلام كما كان وما زال سفينة النجاة ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ فلمن كانت العاقبة ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ .

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ .

فكم زالت رياض من رباها وكم بادت بحيل في البوادي
ولكن نخلة الإسلام تصور على مر العواصف والعداوي
ومجدك في حمى الإسلام باق بقاء الشمس والسبح الشداد

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ربنا الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

ثم إلى أين ؟

وتوقفت بنا السيارة أمام مؤسسة السجون في طرة وأمام سجن الاستقلال ونحت حراسة مشددة وجنود مدججين بالسلاح كأنهم يستعدون لغزو معركة فاصلة على أرض فلسطين في هذا الجو الرهيب وتلك الأصوات التي ارتفعت تهتك حجاب السكون أمرنا بالتزول واحداً واحداً حتى يفتشوننا تفتيشاً دقيقاً حتى يدخل أحدنا إلى الزنزانة وليس معه أي شيء إلا ثيابنا التي تسترته فالقلم ممنوع ، والورق ممنوع ، وكل شيء ممنوع ، وبعد أن تم التفتيش تحت الزجر والنهر والردع وزعنا على الزنازين وكان في كل زنزانة عشرة ودخلت الزنزانة رقم ١١ على ٢ .

وعلق علينا باب الزنزانة وقد صرف لكل واحد منا بصانية للنوم عليها والغطاء بها وما أن جلسنا وتعارفنا حتى أخذ النعاس يغالبنا ، فقد كنت اللبنة التي أخذنا فيها من ديارنا ، وانتزعنا فيها ، انتزعاً من بين أحضان أبنائنا ، كانت ليلة عصبية على الأنفوس والأبدان ولم يندر إلا وقد غشانا النعاس ، وكان رحمة من الله وأمنا ذكرني ذلك بقوله جل شأنه : ﴿ إذ يمشيكم النعاس أمة منه ﴾ .

وقوله تبارك اسمه : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمة ناعسا ﴾ .

واستيقظنا على وقع أقدام الحراس تفرع المكان جبهة وذهاها كما كان لأصواتهم وقع ثقيل على الأذان ومرعب ومفرع للنفوس ، وكأننا أسرى حرب في أيدي الأعداء وما أن استيقظنا حتى أخذ كل منا يسأل الآخر لماذا جيء بنا إلى هذا المكان ؟! فمن قائل : إنه بسبب أحداث زاوية الحمراء وما سمي بالفتنة الطائفية !!

ومن سائل : لماذا جيء بالشيعيين معنا ؟

ومن قائل : ولماذا جيء بالسياسيين والنصارى ؟

إنها أنماط من البشر يوج بعضها في بعض لا يكاد يجمع بينها قاسم مشترك أعظم، لقد اعتقل في هذه الليلة على حد قول المسئولين (١٥٣٦) اختلقت مذاهبهم ومشاربهم وتناقضت أفكارهم وانجاساتهم ولكن غدا سيظهر ما كان مستورا وتوضح الأمور ولم تغرب الشمس في هذا اليوم يوم الخميس الثالث من سبتمبر حتى كانت البحاري قد طفحت فأغرقت البطاطين وكان موقفا عصبيا فباب الزنزانة قد أخلق والأرض قد غطتها المياه النجسة وماء الشرب قد انقطع وقد جاءوا لنا بطعام تأباه النفوس النظيفة كما وصفه الأخ الأستاذ سليمان الشيمي ، الذي كان يعمل مدرسا للعقيدة في معهد شين الكوم الأزهرى وهو رجل عوضه الله عن نور بصره ذكاه قلبه وصف الشيخ سليمان ضمام السجن فقال :

أما الجبن فهو قطعة من جبال العصور الوسطى ، لا يعرف حقيقته إلا علماء طبقات الأرض ، وأما الفجل فإنه خشب ميلول وريوسه تصلح أن تكون أرجلا للطيال .

وأما القول فإنه يصلح لفض المظاهرات السلمية ، وأما البصارة فهي طعام الأتيم تغلى في البطون كغلى الحميم ، وأما اللحوم فما أكل منها إنسان صحح إلا أصيب بنزله معوية حادة .

لقد جاءوا لنا بخبز هو إلى قطع الأسمت أقرب وجين انطبق عليه وصف الشيخ وعسل أسود حامض تشتمر النفوس من رائحته وطعمه ولكن فمن اضطر في شحمية فإنه لابد أن يكره على الأكل .

إذا لم تكن إلا الاسنة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

لقد كان اليوم يوما عبوسا فمطريرا وكانت الليلة ليلاء ، وكان شرها مستطيرا . ولكننا كنا نستعذب كل هذا العذاب ابتغاء مرضاة الله إذ كان هدفنا ساميا طاهرا زاكيا فكان سجننا كسجن يوسف الصديق الذي قال : ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾

فلم يرض أن ينام على الحرير فوق السرير في معصية الله ورضى أن ينام على الحصير راضياً بضاعة الله ، وقال ما قال في السجن عندما خرج وفرج الله كربه قال للسجن : وداعاً يا مقبرة الأحياء يا مشمت الأعداء ، يا محزن الأصدقاء ، يا مفرق الأحياء نعم .. إن أصحاب المبادئ السامية والقيم الأخلاقية ، والمثل العليا ، يجردون في الليونة الملتصقة شراباً حلواً للهدا.

ومن تكن العلباء همه نفسه لكل الذي يلقاه فيها عجب
وما أنا ممن تأسر الحمر له ويملك سميه البراع المنقب
نفي النوم عن عينيه نفس أبية فلا بين أطراف الأسنه مطلب
إذا أنا لم أعط المكارم حقها فلا عزى حال ولا ضنى أب

تقد تعلمنا الثبات على المبدأ من أستاذ الإنسانية الأكبر ، وقائد المسلمين الأعظم ، وصاحب الرسالة العصماء ، عندما قال في ثبات الجبال وسمو النجوم : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله ، أوأهلك دونه » .

إن موافقه ^{صلى الله عليه وسلم} تراحم الشمس في الجلاء وتناضح الجوز ، وترتفع بالنفوس من غياهب الظلمات وفنول الدجى وحضيض الغبراء إلى باذخ لعنبا ، ترتفع بها من كثافة المادة ، إلى لطافة الروح ومن مدارج الجمال ، إلى مسابح الأفلاك في أبراجها .
إنه الصامد الثابت ، إذا ادلهمت الخطوب واحتدمت المن .

ليس هو الذي قال يوم الطائف لربه : إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي !! ليس هو الذي وقف يوم حنين يعلنها عالية مجلجلة مدوية في جموع المشركين : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا داعياً للواحد الديسان يا هازماً للبعي والطغيان
يا رافعاً صوت العدالة عالياً ومؤدباً في الناس بالقرآن
صل عليك الله يا علم الهدى ما هت السام وما ناحت على الأبهك الحمام
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

إن أصحاب المبادئ ليس أمامهم هدف إلا رضا الله ، وليس لديهم غاية إلا رفع راية الحق ، ولسان حال كل منهم يقول :

فليتك تحار والحياة مريرة ولتكن ترضى والأثم غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين حمراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

الخطاب المشوم

علمت أن المصلين في مسجد عين الحياة قاموا بمظاهرات بعد صلاة الجمعة لما علموا أنني قد تم إلقاء القبض عليّ كما قام المصلون في مسجد النور بنفس المظاهرات احتجاجاً على اعتقال عدد من الدعاة إلى الله وكان الناس ينتظرون الخطاب الذي سيلقيه السادات يوم السبت الخامس من سبتمبر وقد سمى بعض أصحاب الأعلام وحملة القمامم والسياسي : سمو الخامس من سبتمبر بثورة ثالثة فتكون الثورة الأولى يوم الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ، والثانية يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، والثالثة يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٨١ ، وهكذا يفعل الشاققون بالمجمعات، إنهم موجودون في كل زمان ، وإنهم عالة على المجتمع في السراء ، وسوس ينخر في عظام الأمة في الضراء . هل يسمى يوم الظلم ثورة ، ثورة على من ؟ ثورة على المظلومين ؟ أم ثورة على المبادئ والقيم ؟ إن كان ذلك كذلك فإنها ثورة طائلة والظلم مرتعه وخيم ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ فأخذناه وجوده فيذناهم في اليم فانظر كيف كان عقابية الظالمين - وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون - وأتيناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ .

إن عبدالناصر كان ظالماً ولكن السادات قن هذا الظلم وسن له القوانين الجائرة .

لقد أجرى استفتاء على القرارات التي اتخذها ضدنا وأدخلنا بمقتضاها السجن حتى صارت مهزلة استفتاء في مصر تضحك النكالي ، وصارت هناك نكته تتردد على ألسنة الناس في الانتخابات والاستفتاءات تقول هذه النكته: إن الرئيس الأمريكي كارتر طلب من السادات أن يرسل له النبي إسماعيل ليحجى الانتخابات بينه وبين ريجان ، وذهب النبي وأجرى الانتخابات على ما يرام واتصل به السادات وسأله قائلاً : يا نبوي ، من الذي فاز في الانتخابات أكارتر أم ريجان ؟ فقال النبي : لا هذا ولا ذاك . قال السادات إذن فمن ؟ قل له: سيادتكم يا فدم ؟ أيسفتني على الظلم وتكون نتيجة الاستفتاء كالعادة : خمس تسعات !!!
إن هذا لشئ عجاب !!

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء

تباركت ربنا وتعاليت يا من قلت وقولك الحق :

﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين - فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ، فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين - فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين - فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ .

يرحم الله أمير الشعراء إذ يقول :

يا له من بيضاء عقله في أذنيه
أنسر البهتان فيه وانطلق السوزر عليه
ملاً الجو صراخاً بجيافة فتليبه

ووقف السادات بخطب في الخامس من سبتمبر وقد فقد صوابه ، وطاش له ، وكأنه أصيب بالسكر فأنشب أنيابه وغالبه فأوعد وهدد ورزق وزيد وحمل على الجماعات الدينية . وحس الإخوان المسلمين بنصيب الأسد كما سعه كبار الدعاة الإسلاميين ، فرمى هذا بالجنون وذلك بالبداهة ، وذلك بأنه رمى كالكلب ، وبني أن يقول : ما علمت لكم من إله غيري أو أن يقول : أنا ربكم الأعلى . كما خصني في بيان من بياناته بتهمة كاذبة خاطئة ، ذكر فيها أن الرئيس السوداني جعفر النميري قد شكك في إليه ، وأنتى أهاجمه ، وماذا يحدث لو صح هذا ؟ أم أنك أحد فوق مستوى التوجيه ؟ أليس من عادة الأمراء والصالحين أن يسألوا العلماء المهلبين النصيح ؟ أم يقل أحد الناس لعمر من الخطاب اتق الله يا أمير المؤمنين ؟ قهره أحد الجالسين فقال الفاروق : لا خير فيكم إن تقولوها ، ولا خير فيما إن لم تقلها . أم يقل عمر ذات يوم : رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي ؟ أم يقل لأهله اتقوا الله يا آل عمر فإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى النحر ؟ أم يقل الله تعالى لنبيه ومصطفاه ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ أم يقل خليفته أبو بكر بعدما يوبخ بالخلافة أي الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعبنوني وإن أسأت فقوموني أطبعوني ما صنعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم . الصدق مائة وكذب خيانة ، القوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى حد الحق له .

﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدل ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ .

إن تعجب فاعجب لأمر هؤلاء الذين يتأججون ناراً إذا قيل لهم اتقوا الله في الرعية ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد ﴿ جل جلال الله إذ يقول : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴿ لقد كان لخطاب السادات في الخامس من سبتمبر أسوأ الأثر على قلوب الناس فقد أوعد بأنه لن يرحم . ونسى خلقه ، نسي أن من لا يرحم لا يرحم ، ونسى أن الرحمة لا تنزع إلا من شقى . ونسى ما رواه أبو بكر عن سيد الخلق عن الأمين جبريل عن رب العزة أنه قال : إن أردت رحمتي فأرجموا خلقي .

نسى قول الصادق المعصوم : الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

وقوله : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ، ومن شق عليهم فاشقق عليه .

صدق رب العزة إذ يقول « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا أمسكتكم خشية الإيدق وكان الإنسان تقوراً » .

يوم التحقيق

مرت بنا الأيام ثقيلة متباطئة كأنها سلسلة من الجبال تمشى اهوينا فالعيش في السجون نكد ، والناس قد ذبلوا وصاروا أشباحاً خاصة كبار السن الذين أصبحوا لا يستطيعون أن يقدموا شذائد الخيس ، والذين قد أصيبوا بأمراض مزمنة ، وأصبح الطعام لا يلائم حالتهم الصحية ، فمرضى الضغط لا يجد إلا جنباً قد قطع من جهال الملح . ومرضى السكر لا يجد إلا عسلأ أسود حامضاً تزكم رائحته الأنوف ، ولولا أن تداركنا الحق بلفظ بره لكانت تحت نثرى أجساماً هامدة !!

أعلموا أن التحقيقات قد بدأت وبين آونة وأخرى كانوا يتنادون على الأسماء التي سيحقق معها ، وكان مواعدي مع التحقيق يوم الخميس الرابع وعشرين من شهر سبتمبر

ففي صبيحة هذا اليوم جيء بقفلة من السيارات وفي مركب مسلح تتقدمه الدرجات البخارية التي ترمق مروق السهم من الرمية وقد انطلقت الصفارات تفسح الطريق لسيارتنا التي حشرنا فيها حشراً ، وأخذ المركب يتهادى شيئاً فشيئاً لا يخضع لتقواعد المرور لأنه فوق القوانين كلها حتى أستقر بنا المقدم أمام المبنى الذي سيحقق معنا فيه ، ودخلت على المحقق ووجه أسننته ، وكان أكثرها يدور حول الخطب ، ومن الأسئلة التي مازلت أذكرها هذا السؤال الخالد : لماذا تتهاجم نبلي ؟ وكأن نبلي هذه قد أصبحت ذاتها مصونة لا تمس !! ومن أرادها بسوء فقصمه الله وكأنتها كنانة الله في أرضه أو مبعونة العناية الإلهية ، وثمس الهداية الربانية لسيدة المصونة ، والجوهرة المكنونة !!

قت : إنما كنت أطلب بأخير فوزيرها حتى نصص نقيام ، فقد صرفت الناس عن صلاة القيم في رمضان ثم قلت : لقد صارت كاهلال نصوم لفوزيرها ونفطر لفوزيرها ، وتوالت أسئلة :

مد كنت تقصد بقولك على الذين يمثلون عمر أن يخذو حدوه ؟

قت : وأي شيء في هذا ؟ أي تهمة في تلك الكسبة ؟ أليس الدين كما أخبر الصادق المعصوم : نصيحة ؟ قالوا : لم ؟ قال : لله ولكنك به وترسونه ولأئمة المسلمين وعامتهم . وسنت لماذا تتهاجم عيد الأم ؟

قت : لأنه بدعة وفدت علينا من باريس فيس و إسلام ما يسمى عيداً إلا عيد الفطر . وعيد الأضحى ، فحرام علينا أن نظهر البر بالأمر يوم واحد ، ونعقها ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً .

قت : لماذا تتهاجم الكرة ؟ قلت لأنها تحولت إلى رياضة مذمومة وأصبح ضررها كالحمر ونيسر ؟ توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وسنت : لماذا تتهاجم الإعلام ؟

قت : لأنه أصبح يهدم رلا بيني ويهدم ولا يهون ويورث ضعف الوازع الديني والتفسخ لأخلاق ، والإخلال لأجتماعي ، والناس على دين إعلامهم . وقد قيل أعطني شائنة غير بها شعياً ، فهل شن هذا الإعلام الذي يبور حول فيلم أو مسرحية ، أو مسلسل ، أو فوزير وقد سرت السموم الناقعات في حلاياه ، هل مثل هذا بيني النفوس القوية تنصفه بالصدق المتحلية بالأمانة لقد استطاع إعلام أن ينسى الناس أن شهر رمضان شهر اقرآن والصيام والبر والنصر والقدر والقيام ، ويدبر . وهكذا كانت الأسئلة . وهكذا أجبت وتم تحقيق وعدت إلى السجن أنتظر ما سوف تتمحص عنه القضايا . وكان الإيمان .

دائماً يضع نصب عيوننا توله تعالى : ﴿ قل لن يضيئنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

مصرع السادات

لا تركن إلى القصور الفاخرة واذكر عظامك حين تمسى ناخرة
وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل يارب إن العيش عيش الآخرة

تباركت ربنا وتعاليت الوجود ملكك والقضاء حكمتك أنت مالك الملك وملك الملوك أنت الواحد في ذاتك لا قسم لك ، الواحد في صفاتك لا شبيه لك ، الواحد في أفعالك لا شريك لك .

ولى في فناء الخلق أكبر عيرة لمن كان في بحر الحقيقة راق
شخص وأشكال تمر وتنقضى ففنى جميعا والمهمس باق

أنزلت يا إلهي على نبيك كتابا فيه نيا من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا . هو الفصل ليس بالخبر من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . ولقد قص الله تعالى علينا في هذا الكتاب قصص الذين تجبروا وتكبروا ونسوا أن للكون إله يدبر أحكامه فيفعل ما يشاء ، كما نسوا أن في السماء مملكة قد كتب عليها ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ كان من هؤلاء اخبارية رجل غرّه ملكه فنأدى وقال : ﴿ أنا ربكم الأعلى فأخذته الله تكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ . وغرّه سلطانه فقال : ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعل أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ . وغرّه جبروته فقال : ﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾ .

وقص علينا قصة رجل غرّه ماله نصحه فومه خمس نصائح :

- قالوا له : ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة - ولا تنس نصيحتك من الدنيا .
- وأحسن كما أحسن الله إليك .
- ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ .

لقد غرّه المال فأنساه ذكر الله قال إنما أوتيته على علم عندي فقال له صاحب العزة والجبروت : ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ . لقد سيطر عليه سلطان المال وطمع عليه رنين الذهب وبريق الفضة ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ .

وتنسى قارون أو تناسى أن الدنيا إذا حلت أو حلت وإذا كست أو كست ، وإذا جلت أو جلّت ، وإذا أهدت نعت ، وإذا أوجفت جفت ، وكم من قبور نبي وما نبينا ، وكم من مريض عدنا وما عدنا ، وكم من ملك رفعت له علامات فلما علامات !!

قال تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ .

صدقت يا ربنا وبلغ رسولك الذي قال : « إن الله لا يعجل كمجلة أحدكم . إن الله يجمل لنظام حتى إذا أخذه لم يفلته . أقرءوا إن شئتم ﴾ . وكذلك أحد ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ .

ويشاء ربك أن يعقب على هاتين القصتين في سورة القصص قصة الفرعونية الحاكمة والفاشونية الكاذبة بقوله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ . كما شاء ربك أن يختم سورة نفسها بقوله : ﴿ ولا تدع مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

وعسد بالزيارة

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تيسن إلا على اليبال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

ووعدتنا إدارة السجن بمناسبة قرب عيد الأضحى المبارك بفتح باب زيارات حيث يروى - أهل ، ولكنهم جعلوها زيارة سلكية . أي يجوز بيننا وبينهم حاجر سلكي يشوه جملة الزيارة بحيث يكون بين الزائر والمزور حائل سلكي لا يسمع كل منهما الآخر إلا إذا تكلم بصوت مرتفع فما ظنك بأصوات العشرات ترتفع في وقت واحد ، وهو وقت الزيارة وأحد كل منهم ينادي على الآخر يسأله عن حاله وحاله . زيادة وذوبه .. الخ فإن هذه الزيارة

التي وعدنا بها كان لها أسوأ الأثر في النفوس ، حتى أنني أذكر عندما التقيت بالذكور عبد الله رشوان ، وكان معتقلاً معاً قلت له : هل ستروى إن شاء الله ؟ فقال : لا ، إنها زيارة لا تليق إلا بالفردة ولنا فردة .. وعقدت كل زنازاة جلسة في تلك الليلة ليناقدوا تلك الزيارة هل يقبلونها ؟ وعقدنا جلسة في زنازاتنا ، واختلفت الآراء بيننا . فمننا من قبل الزيارة وقال : « شيء أحسن من لا شيء » ، ومننا من رفضها وقال : إن ضررها أكثر من نفعها إذ أنها ستثير الأحران ولن تتمكن من إجراء أى حديث مع الأهل حيث اللقاء غير مباشر . وسطت الرأي ، فقلت : أنا لا أنبل ولا أرفض ولكن أفوض الأمر إلى الله وحده ، ودعوت الله قائلاً : اللهم رضنا بقضالك وبارك لنا في قدرك حتى لا تحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت .

وجاء الليل وقد أغلقت أبواب الزنازين ، والزيارات سبتاً صبيحة الغد والقلوب واجفة وقد برّح بها الشوق للأهل والأبناء ولكن لا يعلم ما في غدٍ إلا الله وحده .. وقبيل الفجر جاء من يوقظني ويكاد يصاب بالجنون من شدة الفرح ويقول : قم لقد قتل السادات ولكنى لم أعره التفاتاً فقد ظننت أن هذا نوع من الشائعات التي يُفصد بها تغيير الجو الكتيب . ولكنى صحوت على المعتقل كله يهتف بصوت واحد : لا إله إلا الله . وكادت جدران السجن تهتز من مدير الخناجر التي يهمل وتكبر حتى اضطر مأمور السجن أن يذبح نبأ موجزاً قال فيه : لقد توفى الرئيس السادات وأعلنت حالة الطوارئ ، من أسوان إلى الإسكندرية وازدادت الأصوات حماساً ، فقد أصبح الخبز يقينا لا مراء فيه وسبحان صاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة . سبحان من يقول : ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا ترجعون ﴾ ومن يقول : ﴿ وإنا نحن نحى ، ونميت ونحن الوارثون ﴾ . ومن يقول : ﴿ إنا نحن نحى ونميت وإلينا المصير ﴾ .

كيف بلغنا نبأ موته ؟

كما ممنوعين من سماع الإذاعة وقراءة الصحف بحيث صرنا ممنوعين من الاتصال بالعالم الخارجي لا ندرى عنه شيئاً كما يقول القائل :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن بالأموات فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان معنا أخ اشهر بإذاعة الأنباء عن طريق الأخوة الذين بهم اعتقادهم ويحملون أحدث الأخبار من الخارج ورأت إدارة السجن أن ينتقل هذا الأخ الذي يذيع الأنباء بحيث يعزل في الزنازين الأرضية حتى لا يتمكن من إذاعة الأنباء وشاء ربك أن يكون نقله غيراً فيوم مات السادات جيء ببعض المعتقلين ليلاً حيث وضعوا في الزنازين الأرضية بجانب هذا الأخ فسألهم هل من جديد حدث فأخبروه بأن لسادات قد قتل وإذا هذا الأخ يصبح بأعلى صوته وكان جمهورياً صاح قائلاً : بيان هام وظل ينادى حتى استيقظ الجميع وانظروا إذاعة هذا البيان فقال : أيها الأخوة لقد قتل السادات اليوم والله على ما أقول وكيل وشهيد وكان هذه الكلمة كانت شرارة كهربائية فقام الجميع مكبرين مهللين حيث اهتزت جنبات السجن وكان زلزالاً يرج الأرض رجاً ويس الجبال بساً ولم تجد إدارة السجن مفرأ من تأكيد الخبر وفي الصباح أمرت إدارة السجن بالتدابير بعض الإخوة الذين سمعوا نشرة الأخبار في المذيع وأبلغوها المعتقلين .

وهكذا كانت المسألة بل سهاة حاكم اسند برأيه حتى جاء اليوم الذي قال فيه ﴿ ما يبدل القول لدى ﴾ وقال فيه : لن أرحمهم وبيع من يدق المنافقين أن بعضهم أراد أن يلقه بسادس الخلقاء الراشدين كما نسبوا فاروقاً من قبله لأن البيت الطيبين الظاهرين عن طريق الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين والتاريخ حافل بمفتريات لظغاة لقد قال عمرو بن كعبان من قبل : أنا أحيى وأميت وقال فرعون : أنا ربكم الأعلى وقال : ما علمت لكم من إله غيري ، وقال : ما أرىكم إلا ما أرى . وقال فاروق : إنما أوتيته على علم عندي . قال تعالى : فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من حسبنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

ان قوى الشر مهما تحالفت وإن الطغاة مهما تكروا لم يبروا فمثلهم كمثل العنكبوت الخلدت بيتاً وإن أوهر البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

لقد قتل السادات بين رجال جيشه وفي حصص الشيع وضلوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله . فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقد خاب من فترى قتل يوم الزينة بعدما جمع الناس ليقات يوم معلوم وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع وعن طريق أجهزة الإعلام .

وإذا النية أنشبت أظفارها ألقت كل تيممة لا ترفع

﴿ أيها تكولوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ .

إن يد الله تعمل في الخفاء فنورها تعمل بطريقها الخاصة فليس لأحد أن يستعملها أو يقترح عليها اقرأ قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى نوح أخاهم صالحاً أن أعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسبيته قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائرهم عند الله بل انتم قوم تقتنون . وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكرأ ومكرونا مكرأ وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ألا دمرناهم وقومهم أجمعين . فقلك بيوتهم عابرة بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ قف عند قوله تعالى : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ وعند قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴾ وعند قوله تعالى : ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾ وعن قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وأوحينا إليه لتبينهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ قف عند هذه الآيات تجد يد الله تعمل في الخفاء وتجد ان قلوب بني آدم جميعاً بين أصابع الرحمن كقلب واحد تصرفها كيف يشاء ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، هل أغنت فواته عنه شيئاً ؟ إن الله تعالى لا يمجزه شيء في السموات ولا في الأرض وقد قال سبحانه : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ .

فيا ابن آدم إذا اغرتك فتوتك فلماذا استحكمت فيك شهوتك وإذا فرك عنك فارزق عباد الله يوماً .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تتم

ماذا بعد قتل السادات

لقد ألغوا الزيارة التي وعدونا بها فقد حدثت أحداث جسام فقد رحلنا إلى سجن أفي زعيل ومرت بنا الذكريات الأليمة عبر الستين الحياتية فهذا هو السجن الذي كنا فيه من قبل سنة ١٩٦٧ وقد ساءت حاله حتى أصبح لا يطلق حيث أسراب الذباب نهاراً وجحافل البعوض ليلاً بالإضافة إلى ما تحويه دورات المياه من سوء دونه أي سوء أضف إلى ذلك سوء التغذية والتبوية وما حل بنا من إرهاب شديد فقد كان ينادى على بعض الأسماء في منتصف

مجال التأليف والكتابة

في سنة ١٩٦٩ رأيت أن يتعاون اللسان مع القلم وأن يكون بجانب المسمعة مكتبة حتى يسيرا في طريق تثبيت العلم فألفت كثيرا من الكتب خرج منها إلى النور خمسة وأربعون كتاباً وإليك أسماءها .

- ١ - طريق النجاة .
- ٢ - البطولة في ظل العقيدة .
- ٣ - رياض الجنة .
- ٤ - نفعات من الدراسات الإسلامية .
- ٥ - بناء نفوس .
- ٦ - أصحاب النفوس المظمنة .
- ٧ - حياة الإنسان .
- ٨ - مع التوحيد والاخلاق .
- ٩ - اليوم الحق .
- ١٠ - صور من عظمة الإسلام .
- ١١ - إرشاد العباد .
- ١٢ - أضواء من الشريعة الفراء .
- ١٣ - البعث والجزاء .
- ١٤ - شفاء القلوب .
- ١٥ - حقائق وحديث عن الروح .
- ١٦ - حديث من القلب .
- ١٧ - الصلاة رأس العبادات .
- ١٨ - الإسلام واصل التربية .

الليل ليذهب بهم إلى سجن الاستقبال حيث دارت رحى العذاب بعنف ولقد عشنا في هذا الجو الكئيب من التاسع والعشرين من أكتوبر إلى السابع والعشرين من نوفمبر حيث ذهب بنا إلى مستشفى إيمان طرة ولقد كان الله لطيفاً بنا حيث لم نمكث في هذا المستشفى أكثر من يوم ولست أدري لماذا سمّوه مستشفى فليس فيه ماء ولا غذاء ولا هواء ولا دواء ولكننا لا نقف كثيرا عند الأسماء !!

إسماء مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

ولقد ذهب بنا من هذا المستشفى إلى سجن ملحق طرة حيث غادره السياسيون الذين تم الإفراج عنهم في محفل مهيب . ومكثنا بالملحق يوماً حيث ذهب بنا إلى عنبر المعتقلين بالقصر العيني حيث تنفسنا الصعداء فكانت الزيارة لا تقطع من الأهل والأحباء والأبناء والأصدقاء وتم الإفراج عنا بعد ذلك في اليوم السابع والعشرين من يناير ١٩٨٢ خرجت من السجن إلى البيت ولكن لم يصرح بالعودة إلى المسجد وظلت رهين البيت حتى كتابة هذه السطور في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر شوال ١٤٠٦ السادس من شهر يوليو ١٩٨٦ .

وسوف أشيد إشارة موجزة إلى ما اشتملت عليه بعض هذه الكتب من موضوعات .

طريق النجاة

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

- القرآن العظيم وأثره في النصر .
- من قصايا القرآن الكريم .
- أضواء من السنة على طريق الهدى .
- العقيدة والصحية .
- الطريق الأقوم .
- القرآن : طريق العصمة من خطوات الشيطان .
- دروس خالدة .
- عواقب الإعراض عن ذكر الله .
- توجيهات ربانية .
- مسالك الشيطان مع الأنسان .
- نتائج الإعراض عن ذكر الله : النتيجة الأولى .
- النتيجة الثانية .
- توجيهات نبوية .
- وقفه اعتبار وعظة .
- نتائج الإعراض عن ذكر الله النتيجة الثالثة .
- من صور يوم القيامة .
- نتائج الإعراض عن ذكر الله النتيجة الرابعة .
- حرص الرسول ﷺ على أمته .

البطولة في ظل العقيدة .

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

- الحروب الصليبية .
- كيف بدأت تلك الحروب ؟
- تهضة مباركة .
- طريق النجاة .
- فجر جديد .

- ١٩ - الوصايا العشر في القرآن الكريم .
- ٢٠ - ورثه الفردوس .
- ٢١ - الهدى والنور .
- ٢٢ - جدد السفينة .
- ٢٣ - أعد الزاد .
- ٢٤ - الفتوحات الربانية .
- ٢٥ - رحلة إلى الدارة الآخرة .
- ٢٦ - صم عن الدنيا وأفطر على الموت .
- ٢٧ - الصراع بين النفس والمال .
- ٢٨ - اخلص العمل فإن التمدد بصير .
- ٢٩ - صاحب الرسالة المعصاء .
- ٣٠ - سياحة مباركة .
- ٣١ - فضل القرآن يوم آخر .
- ٣٢ - مصارع الظالمين .
- ٣٣ - الصلح مع الله .
- ٣٤ - الناس بغير ما تناصحووا .
- ٣٥ - الوقوف بين يدي الله تعالى .
- ٣٦ - على مائدة الإسلام .
- ٣٧ - غذاء الروح .
- ٣٨ - حالات من نور .
- ٣٩ - ساعة صفاء مع النفس .
- ٤٠ - في رحاب السكينة .
- ٤١ - الإسلام شجرة طيبة .
- ٤٢ - إذا ذكر الله نزلت الضمانية .
- ٤٣ - رسائل رحمانية النفعات .
- ٤٤ - من جوار الخلق إلى رحاب الحق .
- ٤٥ - منطق الحق المبين .

الصهيونية حركة سياسية عنصرية
خطوات تنفيذ الخطط الاستعماري الصهيوني .
هل هناك حملات بعد ما ذكرنا .
الحروب الصليبية وأثرها في أوروبا .
الحضارة الإسلامية في أوروبا .
أثر الحروب الصليبية في انحطاط العالم الإسلامي .

رياض الجنة

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

- رحلة مع القرآن العظيم .
- أقوال الأئمة فيه .
- أقوال المستشرقين فيه .
- البحث على مدارسة القرآن .
- فضل تعلم القرآن .
- آراء المنصفين من علماء الغرب في القرآن الكريم .
- الترغيب في تلاوة القرآن .
- دعوى باطلية .
- اعرف للقرآن حقه .
- حاجة العالم إلى الإسلام .
- الرشوة المقنعة .
- من المفلس ؟
- حرمة الدماء في الإسلام .
- حرمة المال في الإسلام .
- الإسلام : شريعة العدل والرحمة .
- حق الرعية على الراعي في الإسلام .
- الإسلام شريعة الأخلاق .
- محمد نبي الرحمة ﷺ .
- شريعة الحق في الإسلام .
- الرسول رحمة مهداة .
- المساواة في الإسلام .
- العدالة في الإسلام .

- الرباط في سبيل الله .
- العزة في الجهاد .
- عماد الدين والجيوش الغازية .
- بعد وفاة عماد الدين .
- نور الدين ومدينة الرها .
- الحملة الصليبية الثانية .
- ذكر الله في الجهاد .
- أهداف البطولة والعقيدة .
- صلاح الدين الأيوبي .
- شهادات من الأعداء .
- الجهاد المقدس .
- صلاح الدين ومبدأ الشورى .
- مع سير الأحداث .
- حول بيت المقدس .
- منزلة المسجد الأقصى .
- إن الدين عند الله الإسلام .
- صلاح الدين وموقعة حطين .
- صلاح الدين وبيت المقدس .
- نهاية صلاح الدين .
- خواطر وذكريات .
- الحملتان الصليبيتان : الرابعة والخامسة .
- حصار دمياط .
- الحروب الصليبية السادسة .
- عودة بيت المقدس إلى أيدي المسلمين .
- ملك فرنسا والحملة الصليبية السابعة .
- موقعة دمياط .
- نهاية الحرب الصليبية السابعة .
- النقاء بين الاستعمار والصهيونية .
- اقتراحات لجنة باترمان
- ما هي الصهيونية ؟
- مؤتمر بال .

النفاق
كلمة عن الوفاء
الرياء وأثره في النفوس
الإيمان وبناء النفوس
سورة النحل ووحداية الله تعالى
عالم الحيوان
عالم النبات
نعم الله على خلقه
العلم الحديث ووحداية الله تعالى
خطرات في الحب الإلهي
وقته تأمل
ولا يظلم ربك أحدا
فضل الله على عباده
عسل النحل وفوائده
إلهي ! ما أعظمتك
العقاد والرد على المشركين
الإيمان والعدم
هنا خلق الله
عالم الطير
لمحة قرآنية
المهكمة الإلهية العليا
صاحب اللواء المعقود
قواعد البناء القوية
العدل وتناججه والظلم وعواقبه
صلة الرحم
الظلم ظلمات يوم القيامة
الوفاء بالمهود في الإسلام
مشيئة وحكمة وتوجيه

محمد : جعل من العبيد سادة .
زيد بن حارثة
بلال بن رباح
سلمان الفارسي
أهميه الدعوة .
ذكر الله تبارك وتعالى .
حقيقه الذكر . ما هو الذكر ؟
فضل الإكثار من ذكر الله
فضل مجالس الذكر
أدب الذكر .
فضل من قال لا إله إلا الله .
فضل التسبيح والتحميد .
الترهيب من عدم ذكر الله .
فضل الاستغفار .
الذكر المضاعف وجوامعه .
ما يقوله من اغتاب أخاه المسلم
أذكار اليوم
المؤمنون الصادقون

بناء النفوس

وقد اشتمل هذا الكتاب على الموضوعات التالية :

العقيدة وأثرها في التربية .
التربية في مكة
كل مولود يولد على الفطرة
العقيدة الصحيحة
العقيدة ومراقبة الله تعالى
الداء والنواء
الإيمان والإخلاص
إنما الأعمال بالنيات
الإخلاص في الجهاد

وجه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ لتفسدن في الأرض مرتين ﴾ رأى جديد في تفسير الآيات القرآنية من أول قوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ﴾ .

بشرى للمؤمنين
المسجد الأقصى
عمر في بيت المقدس
محمد ﷺ أستاذ الإنسانية الأعظم
نظرة الإسلام إلى الأموال العامة
مع أمير المؤمنين عمر إلى بيت المقدس
موقف هرقل من الحرام
محمد نبي الرحمة
معركة القادسية
من أخلاق الإسلام
أين طريق النصر ؟
عوامل النصر

ورثه الفردوس

ويشتمل على الموضوعات التالية :

قد افلح المؤمنون
المؤمنون
صفات المؤمنين
فضل المساجد
فضل تنظيف المساجد
فضل السعي إلى المساجد
فضل الصلاة في المساجد
على كل عضو صلاة
كثرة الحطى إلى المساجد
أبواب الخير كثيرة
كيف تمحو خطاياك وترفع درجاتك ؟
فضل المشي في الظلم إلى المساجد
فضل الخروج لأداء الصلاة

رحمة الإسلام

الشذوذ الجنسي
ما عقوبة من أتى هذا العمل ؟
ما رأى الفقهاء ؟
الاستمناة
آراء الفقهاء فيها
ما العلاج ؟
ماذا يقول العلم ؟
الزهري
الزهري والجهاز العصبي
السيلان
إصابة المرأة
الفرحة الرجوية
الفرحة الآكالة
ماذا يقول العلم عن الشذوذ احسى ؟
أكمة الربا - ما هو الربا ؟
ما حكمه ؟ . حرمة الربا بطريق السنة
قوة الإيمان بالله .
فضل الجهاد في سبيل الله .

نفحات من الدراسات الإسلامية

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

القرآن قانون الله السماوي لعباده
صراع بين الحق والباطل
دروس في العقيدة
فضل لا إله إلا الله
وصايا نوية
سنة الله في عباده
عقبة وغرة .
منطق العدالة الإلهية
عود على بدء

السنن الراتبة
 سنة الفجر
 عناية الشرع بأدائها
 ما ورد من الدعاء بعد أدائها
 سنة الظهر
 ما عددها
 سنة المغرب
 سنة العشاء.
 بين غير مؤكدة
 ركعتان أو أربع قبل العصر
 ركعتان قبل المغرب
 ركعتان قبل العشاء
 صلاة الوتر
 عدد ركعاته
 النوم على طهارة
 قيام الليل
 منازل الناس ثلاث
 احياء الليل بتلاوة القرآن
 وقت قيام الليل
 عدد ركعات قيام الليل
 الطريقة الفاضلة

مع التوحيد والأخلاق

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

الرسالة الخالدة
 هذا خلق الله
 لا مجال للصدقة في هذا الكون
 انكون يتحدث عن وحدانية الله
 آيات ناطقة بالحكمة والقدرة
 آية أخرى
 آية الله في الماء

دعاء مأثور
 أحب الأشياء إلى الله وأبغضها إليه
 فضل الجلوس في المساجد
 الشهادة بالإيمان
 مجالس مباركة
 أوتاد المساجد
 للمساجد آداب
 تحظى رقاب الناس
 المرور بين يدي المصلي
 دفع الأثر بين يدي المصلي
 صلاة
 الصلاة مطهرة من الذنوب
 خطبة نسي صلى الله عليه وسلم
 الله تعالى يسأل الملائكة عن عباده
 أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة
 مكانة صلاة في القرآن
 عناية إسلام بالصلاة
 أقوال العلماء في تارك الصلاة
 الحد الشرعي لتارك الصلاة
 موقف جليل
 المحافظة على أدائها في وقتها
 رؤيا سوية كريمة
 شروط الصلاة
 شروط صحتها
 متى تكون الصلاة مقبولة ؟
 الصلاة المفروضة
 النوافل
 فضل نوافل
 صلاة التطوع في البيت
 أقسام صلاة التطوع

آية الله في نظام الفلك
 الشمس والأرض والقمر والنجوم
 عناية الله بالكوكب الأرضي
 حقيقة علمية
 من عناية الله بعباده
 لحم الخنزير
 الإيمان طمأنينة وأمان
 الدواء الناجح
 تأملات وتنبهات
 إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق
 مقارنة بين عصرين
 كان رسول الله قرآناً
 تحذير وإرشاد
 فضل تلاوة القرآن
 نقحات مباركة
 من أقوال الرسول عن القرآن
 الدين يحبه الله
 الإحسان
 التوبة والظهارة
 حقيقة توبة
 ويحب المتطهرين
 نظرة في الآية الكريمة
 ماذا يقول الطب الحديث
 آلام الحيض
 عرضة خائض للأمراض
 أذى وصء امرأة أثناء الحيض
 الأذى لدى يهيب الرجل
 الناحية النفسية في المنع
 أحكام ترعية
 دم النفس
 ما يهره عن حائض والنفساء

دم الاستحاضة
 احكام تتعلق بالفسل
 مسائل تتعلق بالفسل
 ما هي الأغسال المستحبة ؟
 اتاع رسول الله ﷺ
 الأسوة الحسنة
 رجاء الله واليوم الآخر
 ذكر الله تعالى
 ذاب الذكر
 أنواع الذكر
 نصلاة على رسول الله ﷺ
 كيفية الصلاة على رسول الله ﷺ
 بركات الصلاة على رسول الله ﷺ
 من أغل الناس ؟
 الصلاة على المختار يوم الجمعة وليلتها
 هؤلاء أحبه الله
 التقوى
 يحب اصابرين
 من أقوال الرسول ﷺ في الصبر
 المغاتنون في سبيل الله .

أصحاب النفوس المطمئنة

ويشتمل على الموضوعات التالية :

حديث الغزالي عن الموت
 سكرات الموت
 الأعضاء عند سكرات الموت
 رؤية المطيع لملك الموت
 رؤية الملكين الخافطين
 بيت يعرف أين مقعده

الموت حق على جميع العباد

وفاة النبي ﷺ

موقف الصحابة بعد وفاة الرسول

كيف غسل رسول الله ﷺ

لنا في موت رسول الله عبدة

أبقاء لله وحده

أبو حازم وسليمان بن عبد الملك

حسن الظن بالله

عثمان بن عفان يكي

اصطلحوا مع الله

كلمات طيبة

من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله

الخوف من الله

ما يرقق القلوب

نبذة عن وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

كيف استشهد عمر؟

شهادة النبي ﷺ لعمر

شهادة علي بن أبي طالب لعمر

وفاة عثمان بن عفان

سخوة وجوده

خصائص عثمان

وفاة علي كرم الله وجهه

كيف توفي رضي الله عنه؟

قص في كلام الصالحين وهم عن فراش الموت

عبدست بن مروان

معد بن جبل وسلمان الفارسي

بلا بن رباح

عبد الله بن المبارك

برهه النخعي

ابن المنكدر

عامر بن عبد القيس

ابن المبارك

أبولقاسم الخنيد

العرف بالله الكثافي

يوسف بن سباط

الإمام الشافعي

أحمد بن حنبل

تذكرة لأولي الألباب

يا بن آدم

في زيارة القبور

الحديث عن الموت وحقيقته - إلى النفع في الصور

ساعة صفاء مع النفس

الصدق هو الأساس في بناء النفس المطمئنة

الصدق مع النفس

صدق نية وأثره في تيسير الأمور

الصدق منجاة

الصدق أول الصريق إلى الجنة

إن تصدق الله بصدقك

صدق السلوك

الصدق من أمهات الفضائل

الصدق والصدقة

جامعة لعبادات الإسلامية

مدرسة الصوم

الصيام بين الإيمان والتقوى

الروح والنور وليلة القدر

آية الدعاء بين آيات الصيام

صيام التطوع بعد رمضان

من حوار الخلق إلى رحاب الحق

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

- البعث حق
- منهج القرآن في إثبات البعث
- الجنة والنار
- تكذيب الجاحدين
- أطوار خلق الإنسان
- المجادلة في البعث
- قوم أحياهم الله بعد موتهم
- أصحاب موسى عليه السلام
- دحض شبهة باصة
- قصة العزيز
- إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام
- البعث في القرآن الكريم
- عام الأرحام
- منح إلهية للمطاعمين
- دلالة إحياء الأرض على البعث
- النموذج الثاني في الاستدلال على البعث
- كلمة العلم في إثبات البعث
- عود على بدء
- شبه المنكرين ودحضها
- النفخ في الصور
- عجب الذنب
- حديث عن الصور
- ما هو الحشر؟
- أول من تشق عنه الأرض؟
- أرض الحشر

الإسلام شجرة طيبة

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

- اعرف القرآن حقه
- من حق القرآن على كل مسلم
- نصائح لأهل القرآن ومستمعيه
- شهادات الأجانب من علماء العرب لقرآن الكريم
- أنوار القرآن من وبركات الأوقات
- نفحات ربانية
- ذلك الفضل من الله
- سيد الأيام
- منحة إلهية لأمة خير البرية
- يوم الميزان
- فيه ساعة إجابة
- لا تيأسوا من روح الله

الصراع بين النفس والمال

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

(الغنى في القناعة)

صدق الله العظيم إذ يقول : من كان يريد العاجلة عجزنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا ثم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

عندما نضاع آيات الله ونصيح كلماته في كتبه وتعدد تلاوته نطالع دروسا ونفوسا نعم : ما أجمل القرآن إذا عرض سروس على النفوس واستحسن لعواقب واستنصح العبر به الكلام الوحيد الذي نلتبس فيه حكمه البالغة والعبرة دافعة عن لا نجد لها تفسير أعظم من كلام رسول الله ﷺ فاستمع إليه ﷺ وهو يقول في هدح مح الذي نحن بصدهه ، ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

إلى أين تصير الأرواح ؟
كلمة عن تلاقى الأرواح
أعمال الأحياء والأموات
المثابرة

الناس على مراتب في لقاء ربهم
السؤال في البرزخ
الأحاديث الدالة على حقيقته نعم القبر وعذابه
غير بائغة
الأسباب الشجية من عذاب القبر
عظيمة لاستعداد للموت
أدب مكر
استحباب الاجتماع في مجالس الذكر
فضل من قال لا إله إلا الله مخلصاً
فضل تسبيح والتحميد والتهليل
فضل الاستغفار
ذكر كفاءة المجلس

دعوة أسأل الله فيها

كنت دائماً أدعو الله قائلاً : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً
وشفاءً من كل داء وكثيراً ما سألت الله أن يوفقني لتفسير كتابه حتى أتوج أعمالاً
بهذا العمل الجليل وقد وفقني الله تعالى فعكفت على كتابة التفسير تفسيراً توخيت
فيه اليسر والوضوح والتركيز والعناية بالأبحاث العلمية وقد وصلت في تفسير
حتى كتابه هذه السطور أول ذي القعدة ١٤٠٦ السابع من يوليو ١٩٨٦ وصت
إلى قوله جل شأنه في سورة التوبة :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمواضهم بأن هم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾

وقد كان من بشير النبي أن يختتم هذا الكتاب (قصة يأمن) بهذه الخاتمة سعيدة
الفوز العظيم ، إنها أمنية كل مسلم وهدف كل مؤمن ورجاء كل مخلص أنهم جمعوا من

الذين فازوا بهذا الشرف الرفيع والذين وصفتم بقولك الكريم : ﴿ التائبون العابدون
الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ .

يا إلهي

رضاك خير من الدنيا وما فيها
يا مالك النفس قاصيا ودانها
فليس للنفس آمال تحققها
سوى رضاك فذا أقصى أمانها
فظرة منك يا سؤلي ويسألي
خير إلي من الدنيا وما فيها

سيدي إيا القاسم يا رسول الله

انت الذي من نورك البدر اكتسى
والشمس مشرقة من نور بهك
انت الذي لما رفعت الى السما
بك قد سمت وتزينت لسراك
انت الذي ناداك ربك مرحبا
ولقد دعاك لقربه وجباك
وخفضت دين الشرك يا علم الهدى
ورفعت دينك فاستقام هناك
ماذا يقول المادحون وما عسى
ان تجمع الكتاب من معاك
صل عليك الله يا علم الهدى
ما اشتاق مشتاق إلى مشواك

خاتمة

نسال الله تعالى حسن الخاتمة .

وبعد ..

فهذا كتاب قصة أيامي حاولت جهد طاقتي أن أضع فيه تجارفي في مجال الدعوة في مدة استغرقت ثلث قرن من الزمان شرفني الله تعالى فيها بالدعوة إليه ﷺ ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﷻ وقد سألت ربي جللت قدرته أن يكون هذا الكتاب سراجاً يستضيء به الساري في سبيل الله فإنه جهد متواضع لكنه تابع من تجارفي في مدرسة الدهر وأسائدها الأيام والليالي .

ولقد خلصت من هذه التجارب إلى أن الدنيا ما هي إلا مزرعة للآخرة فعلى العاقل أن يهتم بما قبله من شياه قبل هرمه وصحته قبل سقمه وغناه قبل فقره وفراغه قبل شغفه وحياته قبل موته . فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

غدا توفى النفوس ما كتبت

ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا حسروا لأنفسهم
وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

الحمد لله أوله وآخره وصلى الله على سيدنا محمد

المؤلف

عبد الحميد كشك

فهرس

٥	مقدمة
٧	قصة أيامى
٧	المولد والنشأة
٩	صعود المنابر
١٢	مرض الوالد
١٣	وفاة الوالد
١٣	الواقع المر
١٥	بين المسكن والمهد
١٥	مجيء الام إلى القاهرة
١٧	على أبواب الامتحان
١٨	مفاجأة
١٨	إن الفرج مع الضيق
١٩	أمام اللجنة
٢١	مع الشيخ أحمد الكومى
٢٢	البحث عن صديق
٢٣	العام الجديد
٢٤	هل من صدين
٢٨	وجاءت السنة التالية
٢٩	فى مساجد الجمعية الشرعية
٣١	إخوان كرام
٣٢	دعوة مستجابة
٣٤	أمنية تحققت
٣٥	عام حاسم
٣٦	شدة أعقبها تسير
٣٨	فى يوم الامتحان

٢١٦	قاهر الجبابرة
٢١٨	موقف حرج
٢١٩	مضارع الظالمين
٢٢٢	الأحقاد تتحرك
٢٢٤	عقارب البغضاء
٢٢٥	عمر بن الخطاب
٢٢٧	وعيد وإنذار
٢٢٨	وعد وإغراء
٢٢٩	لقاء غاضب
٢٣٢	لقاء عاصف
٢٣٤	عالم يحشى الله
٢٣٥	جامعة الميما
٢٣٦	استدعاء من وزارة الداخلية
٢٣٧	دعوة من وزير الإعلام
٢٣٨	دعوة من شيخ الأزهر
٢٤٠	ماذا قال لي شيخ الأزهر
٢٤١	فن ومحسن
٢٤٥	الخطبة رقم ٤٢٥
٢٤٧	ليلة البهس
٢٥١	إلى أمين
٢٥٢	ثم إلى أمين
٢٥٥	الخطاب المشهور
٢٥٧	يوم التحقيق
٢٥٩	مصرع السادات
٢٦٠	وعد بالزيارة
٢٦١	كيف أبلغنا بأموته
٢٦٣	ماذا بعد قتل السادات
٢٦٥	جمال التأليف والكتابة
٢٦٧	طريق النجاح

٢٥٩	أجمع المشرق
٢٦٠	عوامل النصر
٢٦١	مقارن المدم
٢٦٢	مجمع مفكك العرى
٢٦٣	نفاق رخيص
٢٦٤	الإيمان قوة والنفاق ضعف
٢٦٥	ذات ليلة
٢٦٦	سيف الحياء
٢٦٧	موقف ليل
٢٦٨	دعوة غريبة
٢٦٩	أقرب الساعة
٢٧٠	يوم النكسة
٢٧١	مع البهائين في أي زعل
٢٧٢	حقيقة البهائية
٢٧٣	ماذا قال الباب في دعوته
٢٧٤	مخالفات الباب
٢٧٥	نماذج من تفسيرهم
٢٧٦	نموذج آخر
٢٧٧	لا جهاد في البهائية
٢٧٨	عقائد البهائين
٢٧٩	أهم يقدمها البهائون
٢٨٠	فتح باب الزيارة
٢٨١	لهي عجيب
٢٨٢	موقف حرج
٢٨٣	يوم الإسراج
٢٨٤	وفود الناس تأتي للبهنة
٢٨٥	والعنة عجيبة
٢٨٦	فرس الضى وبقرة الفقير
٢٨٧	العودة إلى المسجد

٢٦٩	رياض الجنة	٢١٢
٢٧٠	بناء النفوس	٢١٣
٢٧٢	شغفء القلوب	٢١٤
٢٧٢	صور من عظمة الإسلام	٢١٥
٢٧٤	نفحات من الدراسات الإسلامية	٢١٦
٢٧٥	ورثة الفردوس	٢١٧
٢٧٧	مع التوحيد والأخلاق	٢١٨
٢٧٩	أصحاب النفوس المطمئنة	٢١٩
٢٨٢	الصراع بين النفس والمال	٢٢٠
٢٨٣	من حوار الخلق إلى رحاب الخلق	٢٢١
٢٨٤	في رحاب السكينة	٢٢٢
٢٨٥	منطق الحق المبين	٢٢٣
٢٨٥	أعد الزناد	٢٢٤
٢٨٥	دعوة أسأل الله قبولها	٢٢٥
٢٨٦	خاتمة	٢٢٦
٢٨٩	حقوق الطبع ونشر محفوظة لدار إختار الإسلامى	٢٢٧
	رسالة تلبية	٢٢٨
	رسالة تربية	٢٢٩
	رسالة توعية	٢٣٠
	رسالة تفاعل	٢٣١
	رسالة تفاعل	٢٣٢
	رسالة تفاعل	٢٣٣
	رسالة تفاعل	٢٣٤
	رسالة تفاعل	٢٣٥
	رسالة تفاعل	٢٣٦
	رسالة تفاعل	٢٣٧
	رسالة تفاعل	٢٣٨
	رسالة تفاعل	٢٣٩
	رسالة تفاعل	٢٤٠

مقدم لكم من صفحة **اروع الكتب** علي الفيس بوك



<http://www.facebook.com/EBookZ>

اخوكم **محمد المغازي**

moghazi@live.com

www.moghazi.com

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

ملحوظة: لم نقم لا بالمسح الضوئي ولا بالكتابة كل ما قومنا به هو اعادة النشر الالكتروني وتسهيل وصوله للناس ولا نبغي من وراء ذلك الا ارضاء الله والمساعدة في نشر الثقافة للناطقين بالعربية.